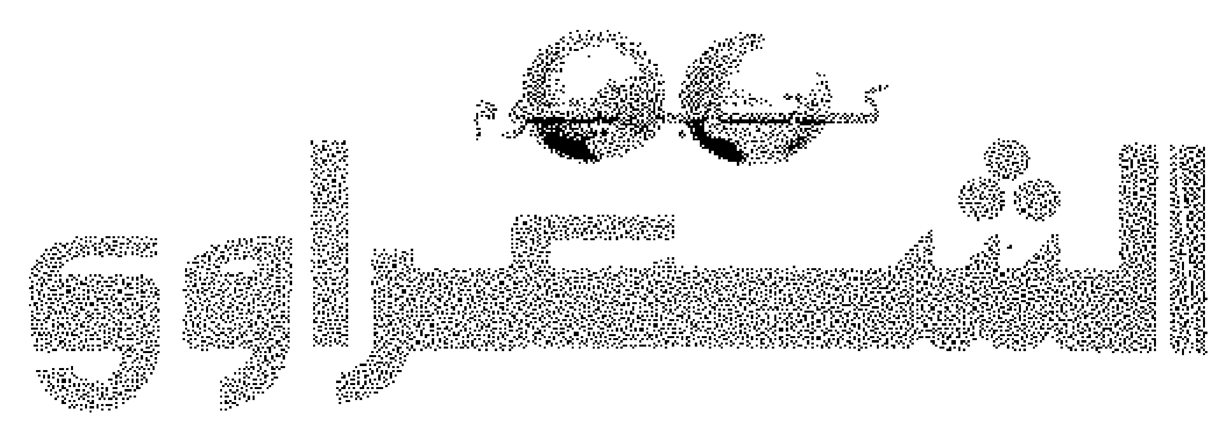


الذى لا نعرفه

سعيد أبو العينين

كتاب اليوم

يصدر عن دار
أخبار اليوم
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

نوفمبر ١٩٩٥

طبعة رابعة

أسعار كتاب اليوم في الخارج

البلد	السعر	العملة
الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٥	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	٧٥٠	فلس
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٢٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بني
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ جنيها مصريا

البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربي ٢٠ دولارا

اتحاد البريد الافريقي ٢٥ دولارا

أمريكيا أو ما يعادله

أوربا وأمريكا ٣٠ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

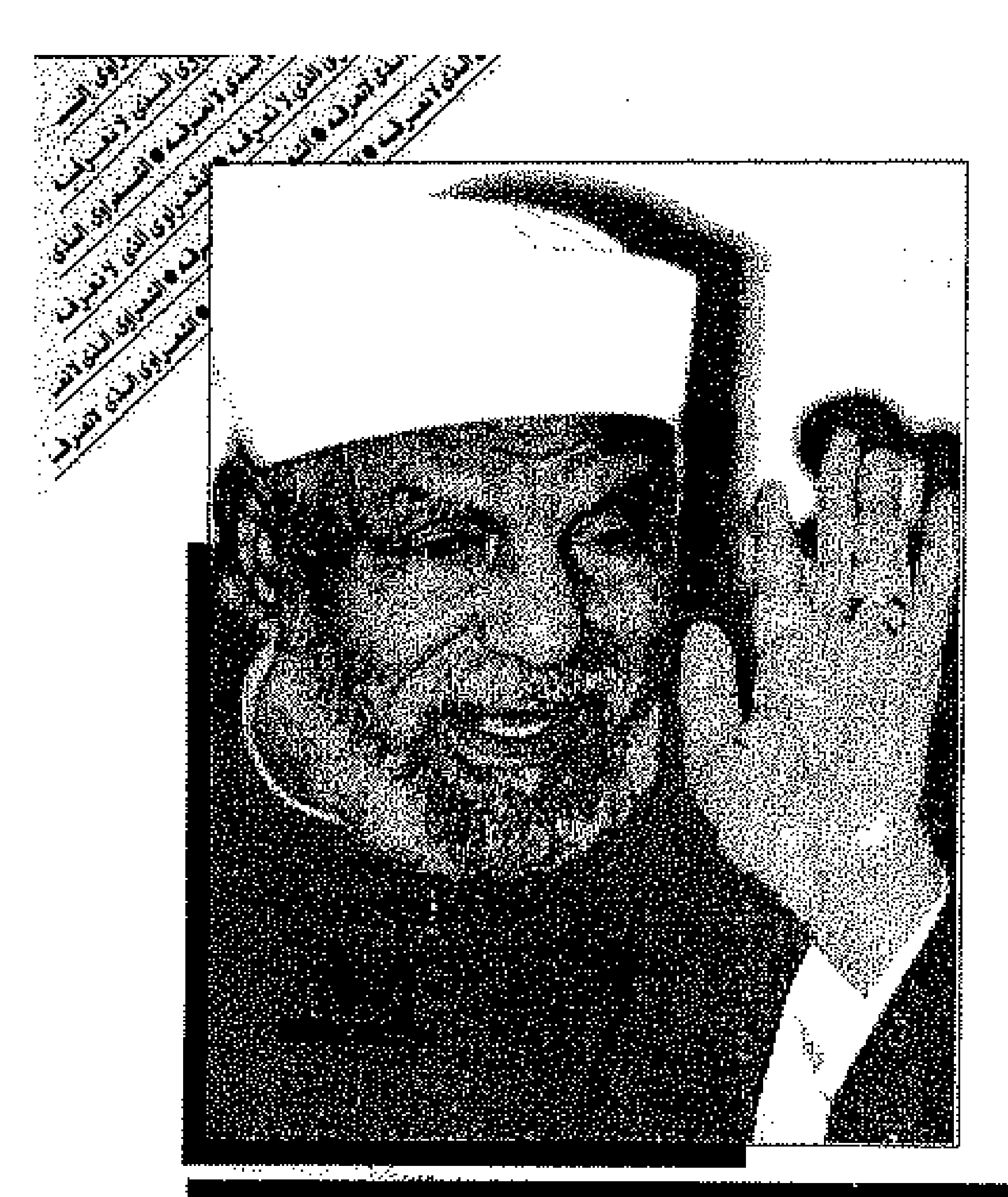
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت: ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس: ٥٧٨٢٥٤٠



الشعراوى .. الذى لا نعرفه

سـعيد أبـو العينين

الشعراوى .. الذى لا نعرفه



الغلاف بريشة الفنان :

مصطفى حسين

الإخراج الفنى :

مجدى حجازى



المقدمة

حوارى مع الشيخ الشعـراوى.. لم يكن حوارا تقليـديـا أو كلاما فى الحلال والحرام الذى لاينتهى حديث الشيخ فيه، وإنما كان مواجهة.

مواجهة تـروى بكل صراحة مشوار الشيخ الذى ملأ الدنيا وشغل الناس بأحاديثه وخواطره وتفسيراته للقرآن الكريم على نحو غير مسبوق.

المشوار الطويل الذى بدأ منذ ليلة الميلاد، حتى الآن أطال الله عمره .

من فجر تلك الليلـة، ليلة الميـلاد، يبدأ المشـوار الطويل، بكل مقدماته الغريبة..

ففى تلك الليلة، تأخر والده عن صلاة الفجر على غير عادته، لقد انتظـره أصحابـه فى جامع سيدى عبدالله الانصـارى الذى يبعـد خطـوات عن البيت، لكنـه جـاء متأخرا بعـد أن أقـامـوا الصلاة.

سألوه: لماذا تأخرت يامتولى؟

قال: جماعتنا كانت فى حالـة وضـع، لقد جاءها المخاض قبل الفجـر وذهبت لأحضر لها «الـدايـة».. وقـد وضعت حملهـا والحمدلله..

جاءنا ولد!

ورد الخال، خال متولى، وقال: لقد رأيت الليلة حلما غريبا استيقظت منه على موعد صلاة الفجر.

رأيت «كتكوت» فوق هذا المنبر!

وأشار بيده إلى منبر الجامع، وقال:

رأيته وهو يخطب فى الناس!

وضحك الحاضرون.

وقال الخال: هذا « الكتكوت » هو الولد الذى جاءنا الليلة!

قال متولى: سوف أحبسه للأزهر الشريف.. وأسأل الله أن يعيننى على هذه المهمة.

من تلك الليلة.. ليلة الميلاد.. ليلة رؤية «الكتكوت» فوق منبر جامع سيدى الانصارى يبدأ المشوار الذى يحكى عنه الشيخ، ويبوح فيه بكل أسرار حياته، حتى تلك التى يراها البعض من أدق خصوصياته!

كيف كانت طفولته؟ كيف عاش صباه؟ كيف كان طريقه إلى الأزهر الشريف؟ كيف انشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، وخاض غمارهما شابا ثائرا من زعماء الطلبة؟ كيف تعرض للاعتقال والمطاردة والقبض عليه ومحاكمته والحكم عليه بالسجن والفصل من الأزهر؟

ثم حكايته مع الأحزاب السياسية..

حكايته مع الوفد والنحاس باشا الذى ظل الشيخ يقبل يده حتى بعد أن تخرج فى الأزهر! ويحكى عنه كما لو كان واحدا من أولياء الله الصالحين أصحاب الكرامات! ولماذا طلب النحاس باشا مقابلة «أم الشعراوى»؟ ماذا قالت له، وماذا قال لها؟

وحكايته مع الإخوان والشيخ حسن البنا؟ كيف كتب بخط

يده أول منشـور الإخوان المسلمين.. ولماذا اختلف معهـم وقرر الابتعاد عنهم؟

ثم حكاية الشيخ مع ثورة يوليو وعبدالناصر؟ وكيف اتهمته مخابرات عبدالناصر بأنه يقرأ «الفاتحة» فى الكعبة المشرفة ضد الثورة؟! ولماذا صلاة الشكر يـوم الهزيمة! لماذا سجد الشيخ شكرا لله يـوم الهزيمة الكبرى، بينما القلوب تدمى من جـراحها وجراح الوطن؟! ومن الذى رشح الشيخ بعـد ذلك ليتولى «أمانة الفكر» فى التنظيم السياسى لعبدالناصر ورتب له اللقاء الذى لم يتم بسبب موت الزعيم!

أيضـا حكـايتـه مع السـادات ودوره فى ذلك العصر، عصر السادات، عصر التحولات الكبرى، عصر كامـب ديفيد الذى كان الشيخ فيه وزيـرا وشاهـدا على كل ماجـرى، بداية من زيارة السادات التـاريخية للقدس، حتى تـوقيع الاتفاقيـة التى تطوى صفحة الحرب مع العدو الصهيونى فى حديقة البيت الأبيض؟

خرج الشيخ من الوزارة، أو «رفدوه» ـ حسب تعبيره ـ بعد ٢٨ يومـا من إتفاقية الصلح مع إسرائيل، فما الذى يقـوله الآن عن أيامه مع السادات؟

إن أحدا لايعرف أن الشيخ كان هناك.. كان فى كامب ديفيد!

ولاأحد يعرف أيضـا أن السـادات، قبل اغتيـاله بأسبوع، قال إن الشيخ الشعراوى يعلم الناس كيف يقتلون رؤساءهم!

لم تقتصر ذكـريـــات الشيخ على جـانـب الحياة العــامـة ومشاركتـه فيها، بكل مـا حفلت به هـذه المشاركة مـن مواقف ومعارك وأسرار.. وإنما تتنـاول أيضا الـوجه الآخر للشيخ الذى لايعرفـه أحد! الشيخ الـذى أعطاه والـده مهلة أسبـوع ليختار عـروسة وهـو لايزال تلميـذا فى الابتـدائية! وكيف أصبح هـذا

التلميذ زوجا وأبا وصاحب عيال وهو طالب في الثانوية الأزهرية!

الشيخ الذي يحكي عن «الشياكة والأناقة والعصا» التي لم تفارق يده من سبعين سنة! ويقول: زمان كانت العصا في يدي «للعياقة» والآن «للضرورة»!

طويل هو المشوار.

ومتدفقة هذه الذكريات التي يرويها الشيخ عن حياته التي تختلط فيها الدموع بالبسمات، والفقر بالغنى، والإحباط بالأمل، والهزائم بالانتصارات، والظلال بالأضواء، وأيام الشدة وليالي الهموم والديون والبحث عن عشرة جنيهات ولو بالفائدة، بأيام الرخاء التي بدأت «بقفة» فلوس!

إنه تاريخ إمام الدعاة، الذي هو بصورة أو بأخرى جزء من تاريخ الوطن.

من هنا كان الحرص على أن نقدم هذه السيرة، بكل أمانة.

مشوار الشيخ..

للحقيقة.. والتاريخ..

سعيد أبو العينين



الشعراوى الذى لا نعرفه



بداية المشوار

ليلة الميلاد ..

ليلة رؤية «الكتكوت» فوق المنبر!

- لم أكن أرغب فى دخول الأزهر

وضعت « الشطة » فى عينى

لأسقط فى الكشف الطبى

- أبويا « الغلبان » اشترى لى أجمل عمامة



عن بداية المشوار يتكلم الشيخ.

يعبر السنين الطويلة إلى الوراء، ويتذكر، ويروى.

تسألنى عن بداية المشوار.. عن طريق الأزهر الشريف وكيف كان؟

وأقول : لم تكن تلك رغبتى !

نعم ، لم أكن أرغب فى دخول الأزهر.. لأننى لم أكن أريد أن أبتعد عن بلدتى الصغيرة.. عن دقادوس الجميلة.. عن الأرض التى أحببتها، المزارع والحقول، عن حدائق الليمون والعنب، عن النيل والريّاح والجزر التى تغمرها مياه الفيضان ثم تنحسر عنها فتكسوها الخضرة.

كنت أحب أن أكون مزارعا، وأن أبقى فى دقادوس.

ودقادوس الجميلة التى لم أكن أطيق البعاد عنها، هى القرية التى فيها ولدت، وعشت طفولتى وصباى وشطرا من شبابى، ورغم تغريبتى الطويلة، وتجوالى وسفرياتى هنا وهناك، فهى مازالت فى القلب وعلى اللسان .

فى دقادوس كانت الجذور..

كان الأب والأم والأخوة والأهل والأحباب والصحاب والناس الطيبون..

ودقادوس هى إحدى قرى مصر القديمة، وهى على مسافة أمتار من مدينة ميت غمر محافظة الدقهلية، وقد كرمها الله بالموقع وإن ضيق عليها رقعة الحيازة، فتعدادها حوالى ١٥ألف نسمة، وزمامها

يصل إلى نحو ٨٠٠ فدان، وبينها وبين ميت غمر شريط السكة الحديد، وقد أفاء الله على أهلها وأعطاهم خيرات كثيرة.

فهي شبه جزيرة، من الناحية الغربية تجد نهر النيل، فرع دمياط.. ومن الناحيتين الشرقية والشمالية تجد الرياح التوفيقي.

وقد سمعنا ان اسم «دقادوس» هو تحريف لاسم «دقلديانوس» وكان حاكما من حكام الرومان، وكان له قصر في بلدنا على النيل، وكان القصر عبارة عن استراحة من الاستراحات العديدة التي كان يبنيها على امتدد النيل .

وقيل انه كان لها اسم رومي هو «اتوكوتوس».

أما اسمها العربي فهو «دقدوس».

ووردت في كتاب نزهة المشتاق باسم «دقدوس».

وفي معجم البلدان باسم «دقدوس».

وصارت على اللسان «دقادوس».

والمؤرخ الجبرتي تكلم عنها وقال: ان منها الشيخ أحمد القدوسي الذي كان ماهرا في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها..

وقبل أن تتوسع دقادوس، كانت تحتوي على أربع حارات كبيرة.

حارة الباز، والاسم لشيخ من شيوخ الصوفية.

وحارة الجامع الكبير، نسبة إلى أكبر جوامع القرية.

وحارة أبو بكر السطوحي، نسبة إلى اسم الجامع الملحق به ضريح ومقام أبي بكر السطوحي.

وحارة الشيخ عبدالله الانصاري وهي الحارة التي ولدت فيها في ١٥أبريل١٩١١ .

ودقادوس لم تعد تلك القرية الصغيرة التي كانت قبل ٨٤سنة يوم ولدت فيها فقد كبرت واتسعت وزحف العمران إليها ومن حولها وصارت جزءا من «ميت غمر».. صارت «قسم ثان» ميت غمر.

لكنها لاتـزال فى وجدانى وذكرياتى هى نفسها القرية التى رأيتها فـلا، وجريت فى شوارعها وحواريها، وسبحت فى ترعهـا ورياحهـا نيلها. وتعلمت فى كتاتيبها القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم على شيوخها، ولم أكن أريد البعاد عنها أو فراقها .

●●●

ويمضى الشيخ فى حديثه عن بداية المشوار .

عن التنشئة الدينية.. يقول :

مازلت أذكر وقائع أيام طفولتى.. لقد تعلمنا فى «الكتاتيب».. تعلمنا قراءة والكتابة ونحن نحفظ القرآن الكريم.

كان القرآن الكريم هو طريقنا ووسيلتنا لتعلم القراءة والكتابة النطق الصحيح.

كنا نستخدم «الألواح».. ألواح الاردواز.

وكانت المرحلة الأولى فى تعلم القراءة والكتابة هى مرحلة «النقط» «التنقيط».

كان «العريف» يمسك «اللوح» ويقوم بوضع «النقط» التى تصور شكل الكلمة.. أى أنه كان يكتب الكلمة «بالنقط» مثل «قل هو الله أحد».

ويقوم الطفل بتوصيل «النقط» بعضها ببعض، وبهذه الطريقة يجد الطفل نفسه قد صور الكلمة بالكتابة.

ثم تأتى مرحلة الحفظ جماعة.

العريف يقول: والأطفال يرددون وراءه: «قل هو الله أحد».

ويحفظها الأطفال .

وتشرع أيديهم على كتابتها فى اللوح.. وبطريقة التنقيط يتعلمون شكل وهندسة! الكلمة.. ويتعلمون قراءتها..

«والعرّيف» الذى كان يقوم بهذه المهمة فى الكتاتيب أيام زمان، كان بصرا بطبيعة الحال.. أما الشيخ فليس ضروريا أن يكون كذلك .

وإذا كانت مهمة «العريف» هي «التنقيط» والقراءة.. فمهمة «الشيخ» هي التحفيظ وتصحيح النطق.

وعلى أيامنا كان شيخ الكتاب يتقاضى أجرا قدره «قرش تعريفة» فى الأسبوع، وكان الأجر يقدم له كل يوم خميس.

أما أطفال الموظفين فكانوا يدفعون للشيخ «شهرية» «قرشين صاغ»!

والذين ليس عندهم فلوس كانوا يقدمون للشيخ «رغيفين عيش» أو عدد من «كيزان الذرة»!

وبالنسبة لى كان الشيخ الذى تعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم على يديه هو «الشيخ عبدالمجيد باشة».

على يد شيخى هذا حفظت القرآن وأنا فى العاشرة.. وعلى الرغم من كبر هذا الشيخ وشيخوخته فقد كنا جميعا نهابه ونخشى عكازه و«الفلكة» التى كان يعلقنا فيها إذا نحن لم نحفظ حفظا جيدا، أو لم ننطق نطقا سليما..

وكان والدى يقول له : اضربه واكسر له ضلعا إذا هو أهمل فى شيء.

وكثيرا ما أخذت نصيبى من هذه «الفلكة».

ومازلت أذكر «العلقة» الساخنة التى أخذتها بسبب النطق الخطأ للآية التى تقول : «حم عسق» ولهذه الجملة فى القرآن نطق خاص غير كتابتها، فهى تنطق كل حرف مفردا هكذا : «حاميم.. عين.. سين.. قاف».. ولكننى أخطأت ونطقتها كما كتبتها فى اللوح هكذا : «حم عسق».. فأدرك الشيخ عبدالمجيد أننى لم أصغ إليه جيدا وهو ينطقها، فوضعنى فى «الفلكة» وكانت العلقة ساخنة، ولم ينفع الصراخ ولا الاستغاثة!

وقد عرفت بعد ذلك لماذا نزل القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «مسموعا وليس مكتوبا» وهذا إعجاز من إعجاز القرآن،

وإعجاز من إعجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سمعه، وهو الأمي من جبريل عليه السلام، « إن هو إلا وحي يوحى ».

●●●

كانت بلدنا دقادوس مشحونة «بالهبات الدينية الروحية» ومشغولة بها على مدار السنة ، ثم يأتي رمضان كتتويج لهذه الهبات الدينية الروحية.

فإلى جانب المناسبات الدينية كالميلاد النبوى والاسراء والمعراج أو العيد الكبير أو العيد الصغير أو فترة الحج وما يصاحبها من احتفالات.. إلى جانب كل ذلك.. كان عندنا خمسة مشايخ طرق.

شيخ لطريقة سيدى أبوخليل..

وشيخ لطريقة أبوالحسن الشاذلى

وشيخ لطريقة سيدى أحمد الرفاعى

وشيخ لطريقة سيدى عبدالقادر

وشيخ لطريقة سيدى أحمد البدوى

وكان لكل شيخ مريدوه..

وكل جماعة من المريدين كانت تدعو شيخها إلى البلدة في بعض أو كل هذه المناسبات.

وعندما يأتي شيخ من هؤلاء المشايخ تحتفل به البلدة كلها، وتجد جميع المساجد عامرة والخير ظاهر.. كل بيت «يطلع صينية أكل»..

وإذا كان عندنا خمسة مشايخ طرق.. وكل شيخ يأتي ويقيم في البلد لمدة ١٥ يوماً.. فمعنى هذا أن جميع شهور السنة كانت لاتخلو من مناسبة لشحن المواجيد والمشاعر الدينية.

ومع الاحتفالات الدينية كانوا يوزعون علينا «دلائل الخيرات» فكنا نقرأها ونحفظها.. ولكل ذلك كانت النشأة هي نشأة الالتزام من الطفولة .

●●●

● ويمضى الشيخ في ذكرياته عن طفولته: كانت لى هواية.. هى

«تشكيل» وعمل التماثيل من «الطين».. وكان معروفا عني ذلك.

كنت آخذ قطعة من الطين وأشكل منها «جملا» أو «كلبا» أو «جاموسة» أو«حمارا».

وأحيانا كنت أعمل «ساقية تجرها قطة».. وأعمل للساقية «غيط» وللغيط «غفير»!

كنت مغرما بهذه الهواية .

وكنت «أدهن» التماثيل بسائل لزج يشبه اللبن كنت أستخرجه من أشجار الجميز ومن ثماره.. فكانت التماثيل تبدو لامعة جميلة كأنها مدهونة بمادة «الجملكة»!

شغلتني هذه الهواية.

وكنت محبا للزراعة، كما قلت، وكانت رغبتي أن أكون مزارعا.. مثل والدي، وكان عندنا خيل وعربات وبساتين ولكن ليس لنا «مِلْك» فيها.. كنا نستأجرها.. وكنت مستريحا و«مبسوطا» من هذه الحياة.

ولم أكن أفكر في الخروج من بلدتي الصغيرة هذه، ومن عالمي الصغير هذا.

كنت مرتبطا بكل ما حولي إلى حد الالتصاق .

لكن والدي رحمه الله كان يرغب في أن أدخل الأزهر .

● وقال الشيخ . كان والدي محبا للعلم.. ومصاحبا للعلماء.. وكان يخدم كل واحد متصل بالعلم، وكان اصراره على دخولي الأزهر بسبب «رؤيا» رآها خاله ليلة مولدي .

كان من عادة والدي أن يذهب لصلاة الفجر ويحرص على ذلك حرصا شديدا !

وكان له «خال» من الناس الطيبين.. يحرص بدوره على صلاة الفجر في جامع سيدي عبدالله الأنصاري .

وفى الليلة التى ولدت أنا فيها.. تأخر والدى عن الذهاب لصلاة الفجر .. فجلسوا ينتظرونه فى المسجد .

ولما حضر.. سأله خاله :

— كنت فين يا متولى ؟

فقال : الست بتاعتى ولدت الليلة.. وكنت مشغولا بهذا الموضوع.. حت أجيب لها «الداية».. والحمد لله وضعت حملها وجابت «ولد» .

فقال الحاضرون : ماشاء الله.. مبروك يا متولى

وقال له خاله : أنا بشرت به الليلة ! رأيته فى «رؤيا» .

وأشار الخال إلى منبر الجامع وقال :

— رأيته فوق هذا المنبر.. كان فى صورة «كتكوت» وقف يخطب فى لناس!

واندهش الحاضرون.. وقالوا : «كتكوت» فوق المنبر!.. وبيخطب!

وعلق أحد الحاضرين وكان معروفا عنه الظرف.. وقال : أصل الكتكوت» الفصيح.. يخرج من البيضة يصيح ! وضحكوا..

وقال الخال :

— ده موش «كتكوت» خارج من البيضة يصيح.. ده ابن متولى لشعراوى!

ولما سمع والدى ذلك قال :

— لازم يبقى عالم !

ومن يومها أخذ يعدّنى للأزهر.. لكننى لم أكن راغبا فى الالتحاق الأزهر .

●●●

ويذكر الشيخ الشعراوى أنه حاول أن «يسقط نفسه» فى الكشف طبى عندما قدم له والده فى معهد الزقازيق الابتدائى التابع للأزهر.. قول :

— قبل الكشف بعدة أيام اخذت أضع «الشطة» فى عينى .. لكى تحمر.. وتورم.. وتلتهب.. ويقولوا «عينيه تعبانه» ولايصلح .

ولكن عينى كانت «تفنجل» أكثر !

واكتشفت أن هناك قسما للمكفوفين».. فقلت نفسى.. وليه أخسر عينى إذا كان الكشف الطبى لايغير من شىء!

وحاولت مرة ثانية أن «أسقط نفسى» فى الامتحان الشفوى .

وكنت أتعمد اللخبطة .

ولاحظ ذلك الشيخ الذى كان يمتحننى فسألنى ؟

فيه حد جاى معاك هنا يا ولد ؟

قلت : أيوه .. أبويا .

قال الشيخ وهو يشير إلى أحد الحاضرين :

— هاتوه .. نادوا عليه .

وجاء والدى ..

وسأله الشيخ : ابنك ده .. حافظ القرآن ؟

فقال والدى : نعم.. انه حافظ للقرآن الكريم حفظا جيدا.

قال الشيخ : الولد بيعمل انه مسوش حافظ، وبيلخبط عن قصد.. وأنا ملاحظ كده !

ووجه الشيخ الممتحن كلامه لى قائلا :

— قوم يا ابن الكلب .. ناجح !

ويضحك الشيخ الشعراوى من قلبه ويقول :

وهكذا شاءت إرادة الله أن أدخل الأزهر الشريف.. وأن تتحقق رغبة والدى.

ويذكر الشيخ الشعراوى انه رغم التحاقه بالتعليم الأزهرى، إلا أنه لم يكن راغبا فى الاستمرار فيه فى مراحله الأولى، وكان يعاوده الحنين للعودة إلى قريته والاستقرار فيها والعمل بالزراعة.. وأنه أخذ يثقل على

والـده فى طلب المصروفـات وشراء الكتب حتى يضيق بــه ويـوافق على عودته والانقطاع عن الدراسة .

يقـول الشيخ : أذكر اننى كتبت لـه (يقصد والـده) قائمـة طويلـة بأسماء الكتب التى أريـدهـا بـاعتبـارهـا من الكتب المقـررة علينـا فى الـدراسـة.. ولم تكن هـذه الكتب ضمن الكتـب المقـررة ولكنى أردت التضييق عليه وتعجيزه.

كـانت الكتب التى طلبتهــا من بين أمهـات الكتب فى التراث وغيره، ومنها على سبيل المثال :

العقد الفريـد وهو لابن عبدربه الأندلسى وفى ثـلاثة أجزاء.. وشرح نهج البلاغة لعبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد، وهو من تحقيق محمـد ابـراهيم أبـو الفضـل ابـراهيم، وفى ٢١جـزءا.. ومجمع الأمثـال لأحمد بن محمـد الميـدانـى، وهـو عبـارة عن أربعـة أجـزاء.. والمزهـر فى علـوم اللغـة وأنـواعهـا لجلال الـدين السيـوطى.. وجميع مؤلفات مصطفى لطفى المنفلوطى .

هذه الكتب وغيرها كثير طلبت شراءهــا.. وقلت له: اننى محتاج لها.. وفى أسرع وقت.

وفوجئت بـوالدى يشـتريها ويحضرهــا لى.. كل الكتب التى طلبتها.. وقـال وهـو يقدمهـا لى : اننى أعلم يـابنى أن جميع هـذه الكتب التى طلبتها ليست مقررة عليك.. ومع ذلك فقد اشتريتها لك.. لكى تنهل من علومها.. وتنمى ثقافتك !

وقـال الشيخ : بعد هـذه الـواقعة بـدأت التفت جـديـا للدراسـة.. وأدركت أنه لا عذر لى بعد ذلك ولاحيلة .

ويضحك الشيخ وهو يقول : الكتب التى طلبتها واشتراها لى والدى كان ثمنهـا يزيد على ثمانيـة جنيهات.. وهذا المبلغ فى ذلك الـوقت كان يكفى لشراء جاموسة !

ويتحدث الشيخ الشعراوى طويلا عن والده، وعن حبه للعلم والعلماء.. ثم يقول :

— يشهد الله أنني أخذت من معلمى ١٠٪من ثقافتي .. وأخذت من أبى الرجل الأمى ٩٠٪ من ثقافتي !

وقال الشيخ : لقد تحمل والدى الكثير من أجل أن أواصل دراستي فى الأزهر.

أذكر أنني طلبت منه يوما، وأنا طالب، أن يعطيني عشرة جنيهات.. وسألني: لماذا عشرة جنيهات؟ فقلت له : أنا فى حاجة إلى عشرة جنيهات .

وفى اليوم التالى أعطاني الجنيهات العشرة بصورة أغضبتني ..

لم يضع العشرة جنيهات فى يدى مرة واحدة.. وإنما أخذ يعدها جنيها جنيها!

وتأثرت من ذلك كثيرا، فهو لم يسبق له أن فعل ذلك معى.. كان دائما يعطيني كل ما أطلبه وهو فى غاية الرضا والسرور.

وسألته فى غضب: بتعد العشرة جنيه يابا ؟!

فقال وهو يخفى ضيقه : إيوه.. علشان لما تاخد شهادة العالمية وتتخرج وتتوظف تبقي ترد لى هذا المبلغ !

قلت وأنا فى دهشة : واشمعنى المرة دى يعني تقول الكلام ده؟!

وسكت والدى ولم يرد..

وأحسست أن هناك شيئا لم يفصح عنه فقلت له :

روح ياشيخ .. الله لايحوجك لى !

وابتسم والدى وضمني إلى صدره، وقبلني .

ومرت الأيام وأنا لا أنسى تلك الواقعة التى حزّت فى نفسى.. وهى أن والدى لم يعطني العشرة جنيه مرة واحدة، بل راح يعدها جنيها جنيها! ولم يحدث من قبل أن فعلها.. فما هو السبب يا ترى؟ !

ثم حدث بعد أن تخرجت وعملت أستاذا بكلية الشريعة فى مكة المكرمة.. وجئت فى الاجازة، ومعى مبلغ من المال.. فأشار والدى بأن يبنى لى بيتا، واشترى لى قطعة أرض بالفلوس التى بقيت معى وشرع فى بناء البيت، ولم تكف الفلوس فباع بقرتين وجاموسة وأعطانى المبلغ فى يدى.. فتذكرت يومها حكاية الجنيهات العشرة التى أعطاها لى جنيها جنيها.. وقلت له : انت فاكر يوم أن أعطيتنى العشرة جنيه وأنت تعدها جنيها جنيها ؟

قال : أيوه فاكر ..

قالت : سألتك يومها لماذا تعدها ؟ فقلت: لكي أردها لك عندما أتخرج فى الأزهر وأتوظف ؟

قال : أيوه..

قلت : ولم أرد لك العشرة جنيه حتى الآن ؟

قال وهو يضحك : أيوه.. ولكنك دعوت لى بها !

قلت : الآن تضع فى يدى مبلغا كبيرا ، مرة واحدة، ولم تسألنى عن رده! أريد أن أعرف منك ياوالدى : لماذا عددت العشرة جنيه يومها؟ وطالبتنى بأن أردها لك عندما أتخرج وأتوظف ؟

قال والدى وهو يتذكر : لم أقل لك وقتها من أين أتيت لك بالعشرة جنيه! ولم يكن معى هذا المبلغ، وكانت الظروف صعبة جدا، وفكرت طويلا من أين أحصل عليه.. وأخيرا قصدت انسانا وطلبت منه أن يقرضنى العشرة جنيه وأن يمهلنى فى ردها، وعرضت عليه أن أكتب له «إيصال أمانة» وأن أجعل للمبلغ «فائدة» إذا أراد! وأدرك الرجل أننى فى حاجة ضرورية لهذا المبلغ فأعطاه لى دون أن يقبل بكتابة «إيصال أمانة».. وقال : على مهلك، وفى أى وقت ترده لى !

وأضاف والدى يقول : وجئت من عند هذا الرجل بالعشرة جنيه لأعطيها لك دون أن أفصح لك عن هذه الحكاية !

قلت : أنا لم أرد لك المبلغ طبعا.. ولكنى دعوت لك به يومها.. فهل تذكر دعوتى لك ؟

قال : فاكر كويس.. قلت لى يومها : «الله لايحوجك لى»..

قلت : أما دعوتى لك اليوم.. فهى «الله لايحوج بعضك لبعضك ياوالدى» ! فضمنى إلى صدره .. وقبلنى ..

وقال الشيخ : كان والدى يعلم معنى دعوتى له.. فقد كان له صديق مصاب بعاهة فى إحدى يديه.. وكان يستعين بيده غير المصابة فى تحريك يده المصابة.. اى أن بعضه يحتاج إلى بعضه !

●●●

ويروى الشيخ ذكرياته عن أول يوم لبس فيه العمامة وهو فى طريقه للأزهر.. ومن أين اشترى هذه العمامة؟ وكم دفع ثمنا لها ؟ يقول :

أراد والدى أن يحببنى فى الأزهر فاهتم كثيرا بكل ما كنت أطلبه منه وكانت طلباتى كثيرة ومرهقة لكنه كان يفعل كل ما فى استطاعته لكى يلبى لى طلباتى وإلى حد «التدليل» مع أنه كان «غلبان» !

أجمل عمامة ، وأجمل هندام ، كان يشتريه لى ..

كنت ألبس «السيكوبيس» .. والحرير اليابانى.. والصوف الممتاز .

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يقول :

ـــ هل تصدق أن أبويا «الغلبان» ده.. كان يجيب اتنين يمسحوا لى «الجزمة» كل واحد فردة ! علشان يشوف مين اللى «فردته» بتلمع أكتر ! كان والدى ، كما قلت ، يدللنى كثيرا .

ويهتم بكل طلباتى لكى يحببنى فى الأزهر، وبذلك استطاع أن «يكسر مناخيرى» وبدأت أهتم بدراستى وانتظم ولم يعد لى شاغل سوى الدراسة والتحصيل .

وقال الشيخ : قبل دخولى المعهد الابتدائى الأزهرى بأسبوعين

أخذني والدى ورحنا الزقازيق.. أخذني ليشترى لى «العمامة» والجبة والقفطان .

ذهبنا إلى محل «الطرابيش».. وأخذ الرجل «مقاسى».. وقال له والدى :

— عايز أحسن طربوش «طربوش عمامة» عندك .. أحسن خامة وأحسن صنعة.. ويكون «مضبوط» تمام !

ورد الرجل: حاضر يا سيدى.. كل طلباتك حتتنفذ.. بس تدفع ٢٥قرش!

وقال والدى : أنا موافق على المبلغ.. ومن غير فصال.. بس حاجة تكون محترمة. واللى يشوفها يقول دى أحسن «عمامة» ف البلد !

وأضاف والدى :

— وخليهم ثلاثة !

ورد الرجل : يبقى حسابنا ٧٥قرشا !

وهكذا اشترينا طرابيش ثلاث عمائم مرة واحدة !

واشترينا فى نفس اليوم «كمية» من «شيلان» العمائم !

ويضيف الشيخ وهو يضحك : أبويا كان يحب دائما «يقلوظنى» !

أما «الكاكولة» فقد اشترينا قماشها بـ٦٠ قرشا وفصلناها بـ٤٠ قرشا .

أى أنها كلفتنا جنيها ! وهذا مبلغ لم يكن بسيطا فى تلك الأيام، فالجاموسة كان ثمنها كما قلت ثمانية جنيهات !

ويوم لبست العمامة والكاكولة لأول مرة، وأنا فى طريقى من بلدنا دقادوس إلى الزقازيق للالتحاق بالمعهد الأزهرى.. يومها كان كل من يقابلنى يقدم لى التحية ويدعو لى بالتوفيق ويناديني «ياشيخ شعراوى» !

وكان لى «ابن عمة» اسمه صابر. وكان صابر فلاحا يقضى وقته وهو قاعد على الساقية يغزل الصوف والقطن .

كان يعمل «الطواقى» الصوف والقطن.. وكنت أنا من زبائنه.. وعندما رآنى بالعمامة قال: «خلاص راحت علينا! مسكت فى العمامة.. وصابر الله يعوض عليه»!

وضحكنا.

وكتبت له قصيدة زجلية كانت حديث الأهل والأصدقاء.. وفى هذه القصيدة المضحكة طلبت منه أن يطور فى عمل الطواقى ليواكب التقدم!

قلت له:

ياصابر يا ابن العمة
تقدر تعمل لى عمة!
أنا رحت الأزهر يا ابنى
ولاعدش ده ينفعنى
طور إن كان ولابد طواقى
يا قاعد رايق على السواقى
طور يا ابنى فى الحرفة
واعمل لى «طاقية لخفة»!

الشعراوى الذى لا نعرفه





أيام الأزهر

يوم القبض على الشعراوى.. وكيف حكموا عليه بالسجن .. والفصل من الأزهر ؟!

● اتهمونى بالتحريض على الثورة فى الأزهر والعيب فى الذات الملكية

● كنت أتخفى فى صورة « بائع العيش » وأركب « العجلة » للهروب من المباحث



التحق الشيخ الشعراوى بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق سنة ١٩٢٦..

ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٣٢..

ثم التحق بالثانوية الأزهرية بمعهد الزقازيق أيضا..

وكانت مرحلة جديدة فى حياة الشاب الأزهرى محمد متولى الشعراوى..

مرحلة الانشغال بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية..

عن الأزهر الذى التحق به الشيخ الشعراوى قبل ٦٩ سنة .. أزهر سنة ١٩٢٦.. يروى الشيخ:

يقول الشيخ : الأزهر الذى عرفناه سنة ١٩٢٦ غير الأزهر الذى كان قبل ذلك.

وأعنى أزهر ثورة ١٩١٩.

فثورة سنة ١٩ اندلعت من الأزهر الشريف.. ومن الأزهر خرجت المنشورات التى تعبر عن سخط المصريين ضد الانجليز المحتلين..

كان الأزهر هو مقر الثورة.. وهو مركز التجمع للثوار.. كانوا يأتون اليه من مختلف أنحاء البلاد.

وكان شيوخه وطلبته فى مقدمة المتظاهرين وأكثرهم جرأة وحماسة وتضحية، وعملا على بث روح الثورة فى الأحزاب وفى طبقات المجتمع.

وكانت ساحاته وأروقته مركزا لتنظيم المظاهرات الوطنية الكبرى وكان يموج كل مساء بالالوف المؤلفة لسماع الخطب. والقصائد الحماسية التى تلقى فيه ضد المحتلين.

وكان يتصدى للإلقاء هـذه الخطب والقصـائد طائفة كبيرة من قادة الثورة وخطبـائها من العلماء ، حتى المسيحيون كـانوا أيضا يذهبون للأزهر الشريف ويخطبون فيه.

وكان سعـد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ من رجال الأزهـر.. فبعد أن تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن فى مكتب القرية، انتقل الى الجامع الـدسـوقى حيث أتم تجويد القرآن وتلقى دروسـا فى النحـو والفقـه ثم دخل الأزهـر عـام ١٨٧١ ليتم دراستـه ويتعلـم على يـد شيوخه..

وكان دور الأزهر فى ثورة ١٩ هو استمـرار لدوره المجيد فى الحركة الوطنية على طول تاريخه الى جـانب أدواره الروحية الخالدة التى قاوم فيها شتـى تيارات الإلحاد والانحرافـات والمذاهب الهدامـة والحملات التبشيرية ودعـاة الانحلال، وتصديه للمستشرقين المنحـرفين وحفظه للتراث الاسلامي ودراستـه ونشره، وحمله أمانـة الرسـالة الإسـلامية إلى كل الشعوب.

●●●

وبعد ثـورة ١٩١٩ فكروا فى أن «يشتتـوا» جموع الأزهر! وقـالوا: «أحسـن حـاجة اننـا نعمل معاهـد أزهـرية فى الأقـاليم» حتى لايتكتل الأزهريون فى موقع واحد.. فى قلعة الأزهر الشريف فى القاهرة!

فأقاموا معهدا فى أسيوط. وبعده معهد قنا ثم معهد طنطا. ثم معهد الزقازيق فى سنة ١٩٢٤.

وكان معهد الزقازيق هو الـذى التحقت به سنة ١٩٢٦.. وهو الذى تربينا فيه.

لم يكن معهد الزقازيق على نظام الأزهـر القديم.. بل كان على نظام المدارس.. كان «حاجة فخمة».. مبنى كبير وفخم وكان لنا سكن «تحت المبنى»..

كل طـالب لـه سريـر.. وكـان نظام الـدراسـة ٩ سنـوات.. القسم الابتدائى ٤ سنـوات ونحصل بعدها على شهادة الابتدائية الأزهـرية التى كانت تمنحنا لقب «شيخ» فيقال: «يستحق هـذه الشهادة الشيخ محمد متولى الشعراوى».

وعلى أيامنا أيضـا.. كان القسم الثانوى قسمين:

قسم الكفاءة ومدته ٣ سنوات.. وقسم البكـالوريا ومدتـه سنتان. وكنـا نـأخـذ علـوم المدارس: الكيمياء.. والطبيعـة .. والحسـاب.. والهندسة.. والجبر.. وغيرها.

وقال الشيخ: هـذا النظام الجديد الـذى عملوه فى الأزهر بعـد ثورة ١٩ والذى تضمن اقـامة معـاهد أزهريـة فى الأقاليم، وكـان من بينها معهدنـا فى الزقازيق.. هـذا النظام صدر بـه قانون سنـة ١٩٢٤ وهو القـانون الـذى أصدره الملك فؤاد.. وقـال فيـه: أحمد شوقى ــ أمير الشعـراء.. أجمل مـا قيل فى الأزهـر الشريف، وهى قصيـدتـه المليئة بالعذوبة التى أشاد فيها بـالأزهر ودوره ومكانتـه وعلمائه، التى قال فيها:

قم فى فـم الـدنيـــا وحيى الأزهـــرا

وانثـر على سمع الـــزمــان الجوهــرا

واجعل مكـــان الـــدر إن فصلتــــه

فى مـــدحـــــه خـــرز السماء النيرا

واذكـــره بعـــد المسجـــدين معظما

لمســـاجـــد الله الثـــلاثـــة مكْبرا

واخضع مليـــا.. وخـــذ حـق أئمـــة

طلعـــوا بـــه زمـــرا ومـــالـــوا أبحـــرا

كـــانـــوا أجل من الملـــوك جـــلالـــة

وأعـــز سلطـــانـــا وأعظم مظهـــرا

وقال الشيخ: كان معهدنا .. معهد الزقازيق الأزهرى.. هو أنضج المعاهد الأزهرية التي أقيمت بمقتضى هذا النظام الجديد الذى قصد به «تشتيت» جموع الأزهريين وعدم تكتلهم في قلعة الأزهر في مصر!

كان معهدنا هو منطلق كل الثورات التي يقوم بها الأزهر خارج القاهرة! وكانت الظاهرة التي تربط بين طلبة معهد الزقازيق انهم كانوا في معظمهم طلبة فقراء! وأن أسرهم قد وهبتهم للأزهر الشريف ولرسالته النبيلة..

لم نكن في معهد الزقازيق بعيدين في أى يوم عن قلعة الأزهر الشامخة في القاهرة، لم نكن بعيدين عن تلك القلعة التي ظلت منارة للإسلام على طول ألف عام.. فكنا نزحف اليها لنلتقى في ساحاتها وأروقتها عندما نتنادى للقاء.

ويأتى الحديث عن مرحلة الانشغال بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية في تلك الأيام البعيدة. وانخراط الشيخ في العمل السياسى ومشاركته في ثورة الأزهر كواحد من زعماء الطلبة، وهو الدور الذى انتهى بالشاب الأزهرى محمد متولى الشعراوى الى الاعتقال أكثر من مرة والى القبض عليه ومحاكمته والحكم عليه بالسجن والفصل من الأزهر!

عن تلك المرحلة: مرحلة الانشغال بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، والاعتقال ومحاولات الهروب والتخفى بعيدا عن أعين المباحث، والقبض عليه ومحاكمته والحكم عليه بالسجن والفصل من الأزهر؟ يتكلم الشيخ.

يقول: العودة الى تلك الأيام البعيدة هى عودة الى أيامنا الجميلة.. أيام الشباب والنضال والجهاد.

أيام الثورات والانتفاضات.. من أجل الأزهر الشريف.. ومن أجل الوطن.. ومن أجل رسالة الاسلام والنهوض بعد طول رقاد.. ولاننسى أن البلاد وقتها كانت تحت الاحتلال البريطانى، وقال الشيخ: لقد

قبضوا علينا أكثر من مرة.. وفصلونا من الأزهر أكثر من مرة.. فصلونى أنا والشيخ الباقورى وفهمى عبداللطيف رحمة الله عليهما.. وهذه حكايات كثيرة.. فأى من تلك الحكايات تريد أن تعرف؟

● قلت : حكاية القبض على الشيخ ومحاكمته والحكم عليه بالسجن ٣٠ يوما؟

قال الشيخ: كان ذلك منذ زمان بعيد.. منذ ستين سنة بالضبط.. ومازلت أذكر ماجرى..

كنا فى عام ١٩٣٤.. وكنت وقتها طالبا فى الأزهر.. فى المعهد الثانوى الأزهرى، بالزقازيق.

وكنت رئيسا لاتحاد الطلبة.. وكنا فى ذلك الوقت نأخذ بمبادىء الوفد فى الحركة الوطنية.. ونأخذ بمبادىء أساتذتنا فى الأزهر إذا كان الأمر يتعلق بالحركة الأزهرية وشئون الأزهر.. وكان النحاس باشا فى الحكم ثم أقيل.. أقاله الملك.. وغضبنا لذلك.

وجاءت ذكرى سعد باشا زغلول.. وكنا قد تعودنا أن نحييها فى بلدنا «دقادوس».. وكانت قرية كبيرة فى ذلك الوقت.

وفى الاحتفال بهذه الذكرى وقفت وقلت غاضبا مما جرى للنحاس باشا ومن الملك الذى أقاله:

ما منطقى لك والحقيقة تخجل
قد جدت الدنيا وشعبك يهزل
فى كل عام تشتكى أوصابنا
ونؤمل الآتى فيقسو المقبل
مصر الأسيفة بح منها صوتها
فضراعة محمومة وتوسل
وارحمتاه للمستجير بجائر
والزافر الشكوى لمن لايعدل

أو كلما وهب الـــزمـــان زعـــامـــة
تعلى وتكمـل مـــــا بنـــــاه الأول
نهض العقـــوق بكل نـــذل غـــادر
دنس وفى يـــده الأثيمـــة معـــول

●●●

وقال الشيخ: لقد اعتبروا هذه القصيدة عيبا فى الذات الملكية..

وأخـذوا يترصـــدوننى للقبض على.. لكننـى كنت أهـــرب منهم فى الزقازيق وفى دقادوس..

كانوا يعتبرون الـزقازيق هى مهد الثورة والغضب لإقـالة النحاس باشا. ومنعوا الدراسة بها.

لكننـــا كنـا مستمـــرين فى التحـــريض على التظـاهــر والإضراب والاحتجاج.. وتجميع الطلاب للخروج فى المظاهرات..

وكنـا فى اتحاد الطلبة نحتـال ونتخفى للـدخول إلى القسم الـداخلى والالتقاء بالطلبة وتبليغهم بما اتفقنا عليه.

كنت اتخفى فى صـورة «بـائع العيش» وأحمل على كتفى طـــاولـة ممـلـوءة بـالـخبـز.. وأركب «عجلـة» وأدخل الى القسم الـداخلى والتقى بزمـلائى.. ونعقد اجتماعـا نتدارس فيـه الخطوات التـى سنقوم بها.. وكـان زميلى فهمى عبداللطيف يتخفـى فى صورة «سمكـرى» ويحمل «البورى» فى يده ويدخل ونلتقى معا فى القسم الداخلى.

وقد احتـار بوليس الـزقازيق فى القبض علينـا .. أنا وزميلى فهمى عبداللطيف..

لكنهم تمكنوا من فهمى عبداللطيف فوقع فى الخدعة التى استطاعوا بها القبض على الكثيرين من زعماء الطلبة.

كانت خدعة المخبرين هى أنهم يندسون فى المظاهرات.. ثم ينادون على الطالب الذى يريدون القبض عليه بصوت مـرتفع وكأنهم زملاء

له.. فيلتفت إليهم أو يرد بما يفيد أنه موجود هنا.. فيقبضون عليه!

وقد أدركت أنا هذه الخدعة.. فلم أكن ألتفت أو أرد على أى شخص يناديني! بل إن هذا النداء كان ينبهني إلى الخطر فكنت أحتاط أكثر وأبتعد وأزوغ منهم!

●●●

ولما تعبوا ويئسوا من مطاردتي هنا وهناك، لجأوا الى الطريقة التي تمكنهم من القبض علىّ بسهولة..

ذهبوا إلى بلدتنا «دقادوس».. وألقوا القبض على والدى.. وعلى شقيقي الأصغر.. واعتقلوهما..

وعرفت البلدة كلها أن والدى وشقيقي قد اعتقلا بسببي.. وأودعا السجن فى الزقازيق.

وعرفت بذلك فطار صوابي.. وركبت القطار الى الزقازيق لكى أسلم نفسي للمباحث وأقول لهم: افرجوا عن والدى وعن أخى الصغير.. واقبضوا على أنا وافعلوا ما تشاءون.

وأذكر أنني كتبت وأنا فى القطار فى طريقي لتسليم نفسي للمباحث قصيدة قلت فيها:

سر بى الى السجن واذهب بى إلى الهونِ
فإنني لمصيرى غير محزونِ
فما اعتقلت لجرم نال من شرفى
لكنني بالمعالى جد مفتون
فى ثورة الحق والاجماع زيّنها
وثورة الحق لا ترضى بمغبون
يسير مثلى لبيت جاء ساكنه
كبائر الاثم بالأوغاد مشحون
فهل تسوى بهم نفس لها أمل
شتان ما بين غبان ومغبون

فالصبر ياوالدى عهدى بكم رجل
له لدى الخطب رأس غير مأفون
وطب شقيقي فؤاد كفى شرفا
ان كنت بالسجن لكنى غير مسجون

●●●

وقال الشيخ : عندما وقفت أمام المحقق دخل علينا المأمور وكان اسمه رشدي ماهر.. وقال لي وهو يتشفى:

— والله ووقعت ياشعراوى!

فقلت له :

— بيدى .. لابيد عمرو!

فقال لوكيل النيابة:

— آفة البوليس أنه يعمل في أمة جاهلة.

فقلت له: لا.. آفة الأمة أن البوليس الذى يعمل بها جاهل.. لأنك جهلت مهمتك.. مهمتك أن تأتى بى إلى هنا.. وتقدمنى لوكيل النيابة .. ثم تخرج.. ولذلك فأنا سأمتنع عن أى كلام إلى أن تخرج من هنا.

وفعلا خرج..

ومضى الشيخ يقول: كان القاضى الذى تولى قضيتنا فيه وطنية تحكمه.. فكان يمد حبسنا ويجدده كل أربعة أيام بدلا من أن يفرج عنا! وكان ذلك يضايقنا كثيرا.. وقد ذهب إليه بعض الناس يقولون له: إن هؤلاء طلبة.. فكان لايسمع لهم.. ويقول: ابتعدوا انتم.. واتركوهم لشأنهم!

فلما جاءت الجلسة.. حكم علينا بشهر حبس!

وكنا قد قضينا الشهر في الاعتقال تحت التحقيق قبل أن يصدر الحكم علينا في القضية.. ولذلك أفرجوا عنا فور صدور الحكم.

وفهمنا ساعتها لماذا كان القاضى يجدد حبسنا طوال شهر كامل..

فهو لم يكن يريد لنا ان نقضى يوما من الحكم فى السجن بكل ما فيه من أهوال ومعاناة.. وحرص على أن نبقى فى تجديد الحبس حيث نلتقى بأهلنا ويأتينا طعامنا وننام حيث لانخالط المجرمين فى قضايا السرقة والقتل.

ويسكت الشيخ لحظات ثم يعود فيقول:

— ياسلام على عاطفة القاضى الوطنى العاطف علينا.. الذى يغلف الرحمة بالقسوة!

●●●

ويضيف: بعد هذا الحكم علينا.. صدر القرار بفصلنا من الأزهر..

ثم جاء النحاس باشا إلى الحكم فأتى بكل الملفات والدوسيهات الخاصة بالقضايا السياسية وقام بحرقها فى مجلس الوزراء.. وأعادنا إلى الأزهر.

ويتذكر الشيخ الشعراوى كلمات والده له يوم صدور الحكم عليه فى تلك القضية قائلا :

كان والدى رجلا طيبا وحكيما، ولم يقل لى يومها سوى تلك العبارة التى لاأزال أذكرها.. قال: «مادمت عامل من نفسك راجل سياسى.. يبقى ماتهربش أبدا.. ولازم تتحمل نتيجة عملك»!

وقال الشيخ: كانت أجيال تلك الأيام هى أجيال الشموخ والتصدى.. ولم تقبل الانحناء والركوع إلا لوجه الله.

وقال: شوف العقاد.. العقاد صاحب الشخصية القوية التى لم تنحن لظالم قط.. والذى وقف تحت قبة البرلمان وقال: «إننا مستعدون هنا لأن نسحق أى رأس يستهين بالدستور».. وحبسوه وتصوروا أنه سيسكت بعد ذلك ويستكين ويطلب السلامة.. لكنه خرج من السجن أشد صلابة.. وقال قصيدته المشهورة:

لبثت جنين السجن تسعة أشهر
وهأنذا في ساحة المجد أولد
عداتى وصحبي لااختلاف عليهما
سيعهدني كل كما كان يعهد

وأضاف الشيخ: يعنى دخل السجن وخرج ولم يتغير، ياسلام..!

قلت للشيخ : ثورة طلاب الأزهر التى وقعت فى سنة ١٩٣٤ والتى خرج فيها الطلاب يتظاهرون ويطالبون بإعادة الشيخ المراغى إلى الأزهر وإخراج الشيخ الظواهرى منه .. هذه الثورة التى عرفت «بحركة الشيخ المراغى» والتى كان الشيخ الشعراوى أحد زعمائها.. وتعرض فيها مع غيره للاعتقال.. ماذا عن الأسباب والدوافع لتلك الحركة؟

قال الشيخ : هذه الحركة ـ والحق يقال ـ قد خدعنا فيها..

قالوا لنا: إن الشيخ الظواهرى يعمل على توظيف العالم الذى تخرج فى الأزهر بعد ١٧ سنة دراسة بـ ٣ جنيه !

وكان هذا هو مرتب مدرس الالزامي.. فكيف يحدث ذلك؟

وقمنا .. وتظاهرنا مطالبين بإعادة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر.. وكان ذلك ضد الارادة الملكية..

وكان معهد الزقازيق الثانوى الأزهرى أول المعاهد الذى خرج طلابه يتظاهرون ويحتجون ويطالبون بإبعاد الشيخ الظواهرى عن الأزهر.

ثم تبينت لنا الحقيقة بعد ذلك.. وهى أن الميزانية التى كانت مرصودة لتوظيف الخريجين الجدد فى هذه السنة ليست كافية لتوظيفهم جميعا بالمرتب المعتاد.. فأراد أن يتيح لهم جميعا فرصة العمل بمكافأة شهرية قدرها ٣ جنيهات لكل واحد منهم حتى لايتعطل أحد.. وذلك لحين توفير الميزانية الكافية لتعديل الرواتب.

وهذا ما حدث فعلا بعد ذلك.

وقد استجابت الدولة.. وتم تعديل الرواتب.

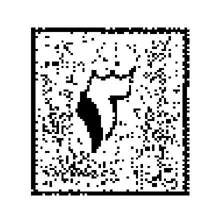
وجاء الشيخ المراغى إلى الأزهر على غير الارادة الملكية.

وقـال الشيخ الشعـراوى : لقـد احتفلنا فى الأزهـر بعـودة الشيخ المراغى.. ووقفنا نخطب فى هـذا الاحتفـال.. أنا والشيخ البـاقـورى.. وأذكر أننى ألقيت يومها قصيدة قلت فيها:

الله أكبر هـــــذا أجـــــر من صـــــبروا
وجاهدوا فى ســبيل الحق فـانتصروا
فـاضمن خلـودك يـامعمـور إن لــه
فتحـا مبينـا بـه تقديســك الظفـر
ســتصبح الأرض والاســلام قبلتهـا
مســاجـد الله فيهـــا يعبــد البشر
وارفع رؤوسـا عنـت وارفع كـرامتنـا
يـا مستهن بك طـاب الغـرس والثمر
ومــا الــرجـال ســوى تحقيق أمنيـة
على أيـــاديهمـــو أولى فهم صــــور
هل يحمـــد المرء سيفـــا لايظفـــره
أو يحمـد النـاس سحبـا مـا بها مطر
إننــا لننتظـــر الــدنيـــا مــوحـــدة
دنيـــا إذا أمـــر الاســــلام تأتمر



الشعراوى الذى لا نعرفه



حكايتى مع الوفد والنحاس

رأيت سعد باشا .. يوم وقوعه من فوق الحمار

- النحاس باشا كان رجلا طيبا وسياسيا بارعا .. وخصومه يظنونه « أهبل » !
- ضحكنا كثيرا يوم قابلت أمى النحاس باشا .. بناء على طلبه !



ونأتى لحكاية الشيخ مع «الوفد».

والحديث عن «الوفد» يبدأ بالحديث عن ثورة سنة ١٩١٩ التى عاش الشيخ يتغنى بها وبزعيمها سعد باشا.. ويحرص على المشاركة فى الاحتفال بذكرى سعد الذى كان يقام فى بلدته « دقادوس » التى لم يمنعها قتلها للحكمدار وفرض حظر التجول عليها وحصارها مدة أربع سنوات ، من إقامة الاحتفال فى موعده ، ووقوف الفتى الصغير النحيل ، طالب الأزهر ، بعمامته وقفطانه يخطب فى الاحتفال ويتغنى بثورة ١٩ وبزعيمها سعد باشا.

ثم يأتى النحاس باشا، زعيم الوفد، الذى ارتبط به الشيخ، واقترب منه، وحرص على أن يسميه دائما بالرجل الطيب!

لماذا الوفد؟

ولماذا النحاس باشا؟

وهل رأى الشيخ سعد باشا؟

لقد كان شيئا غريبا ومضحكا أن يطلب النحاس باشا رؤية «أم الشعراوى» وأن يلتقى بها!

لماذا طلب النحاس باشا رؤية «أم الشعراوى»؟

هذا ما يرويه الشيخ فى سياق حديثه عن حكايته مع الوفد، ومع النحاس باشا.

كانت بلدنا دقادوس وفدية، فى وقت كانت فيه كل البلاد وفدية.. هكذا يقول الشيخ.

ويضيف: وكنت بطبيعة الحال وفديا..

كان سعد باشا زغلول الزعيم الوطني هو أسطورة الريف.. لدرجة أنهم كانوا يقولون: إن «العجل» ينزل من بطن أمه وهو يهتف ويقول: «يحيا سعد».!

وكان يوم الثالث من أغسطس من كل عام هو يوم الاحتفال بذكرى سعد باشا.

وكانت بلدنا حريصة على إحياء هذه الذكرى والاحتفال بها.. وكانت البلدة كلها تحضر الاحتفال.

وكنت حريصا بدورى على المشاركة فيه وأستعد لذلك بالقصائد التي سألقيها في هذا الاحتفال..

وتسألني : هل رأيت سعد باشا ؟

وأقول : عندما قامت ثورة سنة ١٩١٩ الوطنية كنت صبيا في الثامنة من عمري..

وقد رأيت سعد باشا مرتين ..

كانت المرة الأولى في بلدنا «دقادوس».. وكان ذلك عندما جاء في السفينة «دندرة» من مصر.. أي من القاهرة.

ويومها خرجت بلدنا كلها لتحيته وهي ترفع في أيديها عيدان الذرة.. وكنت وقتها صبيا صغيرا.

والمرة الثانية كانت عندما «انكسرت» رجله وهو في بلدة مجاورة لنا اسمها «مسجد وصيف».. وكان سعد باشا قد ذهب إلى هذه البلدة.. وركب الحمار فوقع من فوق الحمار وانكسرت رجله.. وذهب الناس لزيارته.. وذهبت مع والدى وعمي عندما ذهبنا لزيارته.. ورأيناه وقابلناه وهتفنا بحياته.

●●●

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يقول: مازلت أذكر شاعرا اسمه الهيهاوى كان حاضراً عندما ذهبنا لمقابلة سعد باشا.. ووقف هذا

الشاعر يمتدح سعد باشا ويشيد بزعامته ومواقفه الوطنية.. ثم أضحكنا وأضحك الزعيم سعد باشا عندما ألقى قصيدة يتكلم فيها عن «الحمار» الذى كان يركبه سعد باشا.. ولعله قصد بذلك أن يضحك الزعم ويدخل على قلبه السرور.

قال الشاعر الهيهاوى فى قصيدته التى أسماها «حمار الزعيم»:

حمار الزعيم. زعيم الحمير
على عرش ملك الحمير أمير
أقام الحمير له حفلة
وأهدوا له قفة من شعير
فإن يكن «للتاكسى» صفارة
فإن «النهيق» مكان الصفير

وقال الشيخ: بلدنا «دقادوس» كانت صاحبة الفضل فى علاج سعد باشا عندما وقع من فوق الحمار وانكسرت رجله.. كانت توجد فى بلدنا عائلة تخصصت فى تجبير العظام المكسورة وكانوا يسمونهم «المجبراتية».. وكانوا يفاخرون بأنهم هم الذين عالجوا سعد باشا..

وقال الشيخ: بلدنا دقادوس كانت حريصة دائما على إحياء ذكرى سعد باشا حتى عندما وضعه إسماعيل صدقى تحت الحصار وفرض عليها حظر التجول مدة أربع سنوات بعد أن قتلت الحكمدار..

ويروى الشيخ حكاية قتل الحكمدار فيقول: كانت دقادوس هى البلدة الوحيدة فى طول البلاد وعرضها، التى تحدت صدقى باشا بقوة ولم تستجب له سنة ١٩٣٠ عندما أراد تغيير الدستور.. وهى أيضا التى قتلت حكمدار الزقازيق عندما جاء على رأس قوة ليجبر رجالها على الخروج من ديارهم والانصياع لأوامر صدقى باشا والرغبة الملكية فى تزييف إرادة الأمة.

يقول الشيخ: أيام صدقى باشا.. فى سنة ١٩٣٠.. قام صدقى

باشا بتغيير الدستور ـــ دستور ٢٣ ـــ ودعا للانتخابات العامة لإقرار هذا التغيير.. لكن الوفديين قرروا مقاطعة الانتخابات.. وأصرت بلدنا دقادوس على المقاطعة هي الأخرى.. ولكي تتجنب المواجهة والاحتكاك مع رجال السلطة قرر الناس أن يلزموا بيوتهم في هذا اليوم.. وهذا ما حدث فعلا.

وعلمت الداخلية بالخبر صباح يوم الانتخابات.. فأصدرت الأوامر إلى حكمدار الزقازيق الصاغ عبدالمجيد شريف بأن يتوجه إلى دقادوس ويرغم الأهالي على الخروج والذهاب للانتخاب.

وجاء الحكمدار على رأس قوة.. وصل الساعة الحادية عشرة صباحا.. ودخل إلى شوارع البلدة.. وأمر بإخراج الناس من البيوت بالقوة.

وكان أول بيت يقتحمونه هو بيت رجل اسمه عبدالرحمن الشهابي.. وأخذوا يجرونه بالقوة بينما الرجل يقاومهم.

وعرف الناس بما يجري في بيت عبدالرحمن الشهابي فخرجوا بالنبابيت والشوم.

وقامت المعركة.. النبابيت والشوم في يد الأهالي.. والبنادق في يد رجال الحكمدار.

وسقط عبدالرحمن الشهابي قتيلا برصاص رجال الحكمدار.

واشتدت المواجهة..وركز الأهالي هجومهم على الحكمدار وحده.. فحاول الهرب.. وظل يتراجع إلى أن وجد نفسه يغوص في «بركة».. ولم يتركوه.. وهاجموه حتى قتلوه في البركة.

كان الحادث كبيرا وخطيرا.

وفي الليل جاءت قوة كبيرة واعتقلوا أربعين رجلا من أهالي دقادوس من بينهم عمي وخالي.

وفرضوا حظر التجول وعدم الخروج من البيوت من بعد الساعة الرابعة عصرا إلى ما بعد شروق الشمس في اليوم التالي.

وحاصروا البلدة بقوة من رجال «الهجانة». واستمر حظر التجول.. مع الحصار.. أربع سنوات كاملة.

ورغم ذلك. رغم حظر التجول.. ورغم حصار «الهجانة» فقد كنا «نحتال» في ذكرى سعد باشا ونقيم الاحتفال في دقادوس.

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يقول:

— كنا نعلن عن وفاة أحد الأهالي دون أن تكون هناك وفاة! وتخرج بعض النسوة فتصرخ وتولول على «الفقيد» الوهمي! فيسمحون لنا بالجنازة وإقامة سرادق لتقبل العزاء.

وكان يأتي شيخان بحجة القراءة على روح الفقيد.. وكنت أنا أجلس بينهما.. وأتظاهر بالقراءة.. ثم أتلو القصيدة التي أكون قد أعددتها للمناسبة.

وكان الناس في السرادق يسمعون القصيدة فيأخذهم الحماس ويرددون «الله.. الله.. أعد.. أعد »!

ويغرق الشيخ في الضحك وهو يقول:

— طبعا كلهم.. كانوا فاهمين «الفولة»!

ويصمت الشيخ.. ويشرد بعيدا.. وتضيء وجهه ابتسامة هادئة.. ويأتي صوته عميقا خافتا وكأنه يحدث نفسه.. ويقول:

— كانت أيام !

ويعود الشيخ إلى ذكرياته ويروى :

أذكر أنه في الذكرى العاشرة لسعد باشا حدث شيء لا أنساه.. وهذا الشيء لا يتعلق بسعد باشا ولا بالنحاس باشا وإنما يتعلق بأمي!

كانت البلد قد خرجت كلها لتحضر الاحتفال.. وتكلم الخطباء الواحد بعد الآخر.. وكان لكل واحد منهم مدة محددة لا يتجاوزها.. وجاء دوري في النهاية.. ووقفت لألقي القصيدة التي أعددتها لهذه المناسبة.. وقلت:

عشـــر قـــرن يمـــر يـــا زغلـــول
والمصـــاب الجليـــل فيـــك جليـــل
مـــا سلـــونـــا مـع أن مـر الليـــالى
يســـتر الخطب أشـــهرا فيـــزول
غير أن المصـــاب في فقـد ســـعـــد
إن يطـــل عمـــره طـــويـل طـــويـل

كانت القصيدة طـويلـة إلا أنها أثارت حماس الحاضرين وأخـذوا يـرددون ويقولـون فى عقب كل بيتين: «أعد يـا شيخ.. أعد يـا شيخ».. فكنت أستجيب لهم وأعيد..

وعندما انتهت الحفلـة.. وذهبت فى طريقى إلى البيت ولم يكن البيت بعيدا عن مكان الاحتفال.. وجدت أمى قاعدة على الباب زعلانة!

وعندمـا لمحتنى قادمـا.. أشاحت بوجهها عنى.. فاندهشت.. ماذا جرى؟!

قلت لها بلهجتنا وكما تعودنا: سالخير.. ياأمه.

فلم ترد.. كانت زعلانة!

سألتها: مالك ياأمة.. حصل حـاجة؟!.. إيه اللى جـرى؟! فلم ترد.. فعدت أسألها: أبويا حصل منه حاجة؟

فنظرت إلىّ فى غضب واستنكار.. ثم أشاحت بوجهها عنى..

وجاء والدى فى هذه اللحظة فوجدها على هذا الحال.. فسألها بدوره:

— مالك.. زعلانة ليه.. إيه اللى حصل؟..

فلم ترد عليه..

وتصور والدى أننى أغضبتها فسألها فى انفعال:

— الولد ده.. حصل منه حاجة؟!

وردت أمى وهى تنظر إلىّ فى غضب واستنكار:

— إسأله إيه اللى حصل؟..

وسألني والدي في غضب:

— حصل إيه ياوله؟! قل لي إيه اللي حصل؟

ولم أجد ماأقوله.. فأنا لم أفعل شيئا يغضبها!

وقالت أمي وهي مازالت غاضبة وفي استنكار:

— الولد ده كسفنا قدام البلد كلها.. وخلي رقبتنا زي السمسمة!

وأضافت وهي ترمقني في غضب:

— اخص عليك! واندهشت.. واندهش والدي أيضا.. وسألها:

— عمل إيه الوله ده؟! قولي.. انطقي؟!

قالت في استنكار بالغ:

كل واحد من اللي اتكلموا في الحفلة.. قام وقال كلمتين ونزل وقعد في مكانه.. أما ده.. حضرة الشيخ.. فقعد كل ما يقول كلمتين.. الناس ترد عليه.. وتقول له: «أعد يا شيخ.. أعد يا شيخ»! علشان موش حافظ الكلمتين بتوعه!.. لما كسفنا قدام البلد كلها!

واشتد سخطها وغضبها وهي توجه كلامها لي وتقول:

— اخص عليك!.

وعادت فنظرت إلى ولدي وقالت في عتاب:

— موش تقول له.. يبقى يحفظ الكلمتين بتوعه كويس.. قبل ما يقف قدام الناس ويفضحنا!

وتركتنا ودخلت البيت..

وضحكت ، وضحك والدي كثيرا.. وقال:

— أنا موش قلت لك من زمان.. إن أمك دي أكبر واحدة مغفلة في البلد!

●●●

وقال الشيخ الشعراوي: أن النحاس باشا عندما سمع بهذه الحكاية.. حكاية أمي التي غضبت لأني «موش حافظ الكلمتين» ضحك

كثيرا.. وعندما زار بلدنا قال : «عايز أشوف أم الشعراوى»

وجاءت أمي.. وسألها النحاس باشا عن الحكاية.. فقالت: أنا فهمت الحكاية بعدين.. طلعت مغفلة!

وضحك النحاس باشا يومها طويلا.

ويقول الشيخ الشعراوى عن النحاس باشا: إن النحاس باشا كان رجلا طيبا. ومبروكا.. وكان سياسيا بارعا.. وإن كان البعض من الجهلاء كانوا يظنونه «أهبل».. كان سياسيا قديرا.. وكان يعرف ربه.. ولا يشرب الدخان.. وأنا كنت أحبه وأقدره لشخصه ولمواقفه.

ويذكر الشيخ أنه خاض الكثير من معارك الوفد وتصدى لخصومه، انتصارا للنحاس باشا ولمواقفه..

بعض تلك المعارك خاضها وهو طالب فى الأزهر.. وبعضها وهو رئيس لإتحاد الطلبة وكان وقتها يعد واحدا من زعماء الطلبة المؤثرين فى الحركة الوطنية.. وبعضها بعد تخرجه وتوظيفه فى الأزهر.

ويذكر الشيخ أنه كان يكتب للاذاعة حديثين كل أسبوع يتناول فيهما مواقف الوفد والنحاس باشا.. وكان يعطى أحد الحديثين لسكرتير النحاس باشا فيقدمه باسمه فى الاذاعة ويذاع فى المساء، ويتقاضى السكرتير عنه عشرة جنيهات! ولم يكن أحد يعرف أن الشعراوى هو الذى يكتب هذا الحديث.. وكان النحاس باشا يسعد بسماع الحديث ويثنى على سكرتيره!

أما الحديث الآخر فكان الشيخ يقدمه باسمه ويذاع فى الصباح ويتقاضى عنه ١٧٠ قرشا!

وأشار عليه أحد أحبائه وهو الشيخ سيد سعود (وكيل الأزهر الآن) بأن يتوقف عن هذا العمل.. وألا يقبل بأن يكتب أحاديث تقدم بأسماء الآخرين فى الاذاعة ويتقاضون عنها أجرا.. فاقتنع وتوقف عن الكتابة للاذاعة.

وحدث أن سأل النحاس باشا سكرتيره: لماذا توقفت عن تقديم الحديث؟

فتعلل السكرتير بأسباب تتعلق بالجهد والوقت والصحة ولم يذكر الحقيقة.

وكانت هذه الواقعة من بين الأسباب التي جعلت سكرتير النحاس باشا يقف ضده — أي ضد الشيخ الشعراوي — ويحاربه بضراوة!

●●●

وقال الشيخ: في إحدى المرات التي خرج فيها النحاس باشا من الحكم.. حدث أن تنادت أحزاب المعارضة للاجتماع ووجهت الدعوة للنحاس باشا لكي يحضر هذا الاجتماع.. لكن النحاس باشا لم يسمع لهم ولم يذهب إلى الاجتماع..

وحدث أن كنا — أنا وصديقي حافظ شيحا — في زيارة للنحاس باشا.. فسألناه:

— لماذا لم تذهب يا باشا للاجتماع الذي دعت إليه أحزاب المعارضة؟

فقال الرجل بكل هدوء: لأنني إذا ذهبت وقعدت معهم.. فسوف أكون أقلية!

وسألنا هو:

— هل فهمتم؟

قلنا فهمنا يا باشا؟

وأدركنا يومها أننا مازلنا صغارا في لعبة السياسة! وأن النحاس باشا.. الرجل الطيب جدا.. هو «داهية» في السياسة، فحضوره في مثل هذا الاجتماع سوف يجعل منه «أقلية» فعلا.. لأنه وهو زعيم الأغلبية سوف يصبح في حضورهم مجرد صوت مثل بقية الأصوات التي لاوزن لها ولا قيمة ولا شعبية!

● ويمضي الشيخ فيقول: وعندما جاء النحاس باشا إلى الحكم بعد ذلك.. تجمع الطلبة غير الوفديين في الجامعة.. وتظاهروا.. وهتفوا ضده.. وطالبوه بإلغاء الأحكام العرفية فورا التي كان يطالب بإلغائها وهو خارج الحكم.. وتهجموا عليه بعبارات قاسية وقالوا :«يا نحاس.. يا خناس.. يالي أعلنت الافلاس»!

يعني عملوا شوية تهريج.. وأساءوا للوفد.. وللنحاس باشا.

وخشينا — نحن الطلبة الوفديين — أن يستمر هذا التهريج.. وأن ينتقل إلى بقية الجامعات.

وقررنا أن نذهب إلى الجامعة.. وأن نرد عليهم..

وفعلا ذهبنا إلى الجامعة.. ووقفت أنا على الشرفة.. وتركتهم يهتفون ضد النحاس.. ثم تكلمت.. وقلت لهم:

— بارك الله هتافكم.. وبارك الله قبل ذلك نيتكم.. وأسأل الله أن يجنبنا هوى النفس.. وهوى الشيطان.. وهوى الاستئجار.. وأن تكون صرخة نابعة من الأمة.. ولعل الله يجعل في عهد النحاس ألا يرى مبررا بعد ذلك لبقاء الأحكام العرفية..

ثم قلت: وافترضوا أن هناك ظروفا يعلمها الحاكم ولا يعلمها المحكوم.. وأن هذه الظروف تجعله يختار الوقت المناسب لقراره.. ولذلك أناشدكم أن تخرجوا أقلامكم وأن تكتبوا ما أقول: «إن المشرط في يد الجراح غيره في يد السفاح»! وكان لكلمتي هذه أثرها..

وسمع النحاس باشا بما قلت في الجامعة.. فقال لنجيب الهلالي وكان وقتها وزيرا للمعارف «شوفوا الشعراوي قال إيه»..

وقام نجيب الهلالي وعمل اجتماع في «بيت الأمة».. وطلبني.. وذهبت إليه.. وقال لي: إن النحاس باشا عرف بكلمتك في الجامعة.. وأنه سر بها كثيرا..

ويواصل الشيخ الشعراوى رواية حكايته مع النحاس باشا أو «الرجل الطيب» كما يحب أن يسميه!

لماذا خاض الشيخ المعارك دفاعا عن النحاس باشا؟

لماذا هاجم على ماهر الى حد إعلانه احتقاره له؟

لماذا هاجم مكرم عبيد بشدة بعد اصداره «الكتاب الأسود» وناشد الأقباط بألا يغضبوا لفصل مكرم عبيد من «الوفد» وألا يجعلوها غضبة دينية؟

وكيف طلب منه فؤاد سراج الدين وهو وزير للداخلية أن يستقبل النحاس باشا على باب مجلس الوزراء وأن يقوم بتحيته فى يوم اشاعة وفاة النحاس؟

أيضا يروى الشيخ الوقائع الغريبة التى تضع النحاس باشا فى صورة الأولياء أصحاب الكرامات! ولماذا ظل الشيخ يقبل يد النحاس حتى بعد أن تخرج فى الأزهر!

كما يروى كيف تكتل ضده بعض كبار الوفديين وعملوا «رباطية» عليه — حسب تعبيره لإبعاده عن «الرجل الطيب»، عن النحاس باشا؟!

يقول الشيخ: أن «بيت الأمة» كان رمزا للوطنية.. وأنه كان حريصا على أن يحضر الاجتماعات الهامة التى تعقد فيه.. وأنه فى أول أجتماع يحضره وقف وألقى قصيدة قال فيها:

لازال روضك مورقا يا دار
عرش الزعامة فيك لا ينهار
أمل الكنانة أنت مبعث نوره
وبك الرجاء إذا قسى المقدار
المجد فيك عتيقه وحديثه
عبق به تتحدث الآثار
فعتيقه مجد لسعد الخالد

وبمصطفى هــــذا الحديث فخــــار
يــــا دار قــد أديت كل رســالــة
نحــو القضيــة كلهــا إكبــار
الــوفد ربى فــوق حجرك ناشئا
لــــذا فكل جنــــوده أبــــرار

●●●

● يذكر الشيخ أنه تصدى لعلى ماهر بالكلمة وهاجمه هجوما شديدا عندما أصدر الدستور وقام بالتزوير ثم خرج ذليلا مهانا بعد كل ما فعل لحساب الملك.

يقول: قلت مخاطبا على ماهر باشا:

أبلغ عليــا عــــاتبــا لا شــامتــا
فمقــامــه كــالثــرى لا يتحمل
إنــى وإن كنت احتقــــرت مصيره
لكن أقــــول هــــو المصير الأعــدل
فلقد أعنت على الزعيم غريمنا (أى الملك)
فطغى وهنت وهــان مــا بك ينــزل
البرلمان صنعتــــه وطبخته
وحــرمت منــه وبــات غيرك يــأكل
البرلمان أعــــوذ من أعضــــائه
بــــالله إلا من عليــــه نعــــوّل
متــذبــذب يــرضى بكل وزارة
ويلــون كل حكــومــــة يتشكل

● ويقول الشيخ أنه لم ينس الدفاع عن الرجل الطيب النحاس باشا.. فراح يخاطبه ويقول:

حمل الزعامة مصطفى فبدا له
حزم وباع فى السياسية أطول
يا حامى الدستور من طغيانهم
ومحرر الدستور مما كبّلوا
لولاك يا نحاس لاقى حتفه
حذفا ولم يك للنيابة هيكل
الله فى وقفاته..
الله فى غضباته..
الله فيما يفعل..

●●●

● وقال الشيخ: إنه تصدى أيضا لمكرم عبيد باشا وهاجمه هجوما شديدا عندما انشق مكرم عبيد عن الوفد وخرج عليه وأصدر الكتاب الأسود.. الذى يتهجم فيه على النحاس باشا.

يقول الشيخ: مكرم عبيد كانت علاقته بالنحاس قوية جدا.. كانوا يسمونه ابن النحاس.. وكانوا يعتبرونه لسان الوفد وخطيب الوفد.. فلما خرج على الوفد، وعمل الكتاب الأسود الذى يتهجم فيه على الرجل الطيب النحاس باشا.. احتوته «السراية».. وأخذته فى صفها..

وجاءت الذكرى الـ ٢٥ لتاليف الوفد.. وأقيم مؤتمر ضخم لهذه المناسبة فى بيت الأمة.. ونظمت قصيدة بهذه المناسبة تحدثت فيها عن سعد باشا.. وعن النحاس باشا.. وعن مكرم باشا الذى خرج على الوفد وأصدر الكتاب الأسود ليشتم فيه الرجل الطيب النحاس باشا.

ووقفت فى الاحتفال وألقيتها.. وقلت فيها:

عيد الجهاد وأنت عنوان الدم
مازال مسرك كل عام ملهمى
إن هجت من هول الضحايا أمة

أسبلت من بـرد الخلـود على الـدم
يـا سعـد إن تك مصر بعـدك يتمت
وبـدا الـذئاب الأوصيـاء بميسم
الله أولاهـا العنـايـة فـارتأت
في مصطفي النحـاس خير قيـم
مـا فـوز إلا بـالعقيـدة وحدهـا
فمن استعـز بها فخير مقـدم
المخلص الجبـار يعمـر قلبـه
فإذا تلـون كـان تحت الميسم
لا يشفع الـود القـديـم وحسبكم
قل للخـوارج في طهـارة مصطفي
سر فمن يخرج عليـه يعـدم
مهما جمعتم أمـركم وفلـولكم
سيظـل أمنـع مـن محل المعصـم
كـالطـود حطمت الوعـول قـرونها
في صخـرة وأقـام غير محطم
إخـواننـا الأقبـاط فيما بيننـا
ود قـديم ثـابت لم يفصم
عطف الهلال على الصليـب فحـاذروا
أن تجعلـوا روح المسيح بمكـرم
لا تجعلـوهـا غضبـة دينيـة
فلكم فصلنـا قبلـه من مسلم

وقال الشيخ: إنني كنت أعني بذلك أننا قبل أن نفصل مكرم عبيد فصلنا أحمد ماهر والنقراشي باشا.

ويذكر الشيخ أنه عندما صدر تصريح «هوره وزير الخارجية

البريطانى بشأن الاحتلال فى مصر.. عندما صدر هذا التصريح فى عام ١٩٣٥.. ثارت ثائرة المصريين فى كل أنحاء البلاد.. وقامت مظاهرات الشباب احتجاجا على هذا التصريح.. وذهب ضحية لهذه المظاهرات عدد من شباب الجامعة كان من بينهم واحد من دار العلوم وثلاثة من الجامعة.

وكان على رأسهم الشهيد عبدالحكم الجراحى.. عندم فتحوا عليهم كوبرى عباس.

عندما وقع هذا الحادث خلال المظاهرات العارمة.. رفضت الحكومة إقامة حفل تأبين هؤلاء الشهداء فى القاهرة..

لكن الزقازيق تحملت عبء إقامة هذا الاحتفال.

رأوا أن من الحكمة أن يقفوا بعيدا ويحرسوا الاحتفال إلى أن ينتهى ثم يلقوا القبض على الخطباء فيه.

ويقول الشيخ: كان فى الزقازيق رجل وفدى اسمه إبراهيم نور الدين.. وكان هناك طالب معنا فى المعهد الأزهرى اسمه حمدى البنهاوى.. ولجأ هذا الطالب إلى حيلة لإقامة سرادق.. فادعى أن «جدته» ماتت.. واستأجر بعض النسوة اللاتى أخذن يصرخن ويولولن حزنا على جدته!

وأقيم السرادق فعلا.. وتوافد الناس على السرادق.. وكان من بين الذين حضروا الدكتور محجوب ثابت.

وجاء رجال البوليس فوجدوا أعدادا غفيرة.. وقالوا اننا لو تصدينا لهم فسوف تحدث مجزرة.. ورأوا أن من الحكمة أن يقفوا بعيدا ويحرسوا الاحتفال إلى أن ينتهى ثم يلقوا القبض على الخطباء فيه.

ويقول الشيخ أنه وقف وقال:

شباب مات لتحيا أمته
وقبر لتنشر رايته
وقدم روحه للحتف والنكال
قربانا للحرية ومهرا للاستقلال

واشتعل التصفيق!

ووقف الدكتور محجوب ثابت يقول:

— لقد أبحنا التصفيق فى حفلة التأبين!

وأخذ الشيخ يلقى بقصيدة أخرى يقول فيها:

نداء يا بنى وطنى مجاب
دم الشهداء يذكره الشباب
وهل نسلو الضحايا.. والضحايا
بهم قد عز فى مصر المصاب
شباب بر لم يفرق وأدى
رسالته وها هى ذى تجاب
فلم يجبن ولم يبخل وأرغى
وأزبد لا تزعزعه الحراب
وقدم روحه للحق مهرا
ومن دمه المراق بدا الخضاب
وآثر أن يموت شهيد مصر
لتحيا مصر مركزها مهاب
يهون القيد فى تحرير مصر
وعذب فى قضيتها العذاب
سئمنا كل تسويف ومطل
فقد فتقت عن الحيل الإهاب

وانتهى الحفل وأخذ رجال البوليس يبحثون عن الخطباء.. ولكن

هيهات — كما يقول الشيخ — فالجميع كانوا يعرفون الخطة.. ويعرفون كيف يزوغون فى مثل هذه الحالات ويهربسون بمساعدة زملائهم.

ويقول الشيخ : إن النحاس باشا كان رجلا بعيد النظر، وكان يرى ما لا يراه الآخرون.. ويدلل الشيخ على ذلك بقوله : إن عبدالسلام جمعة سكرتير الوفد كان يأتى إلى طنطا ويجلس معهم ويحدثهم عن النحاس ويقول: اننا كنا نجتمع فى الوفد ونرى رأيا.. ثم يأتى النحاس ويخالفنا فيه.. وكنا نندهش وينظر بعضنا إلى بعض.. ثم نضطر إلى قبول ما يقول به ونأخذ برأيه.. وتمر الأيام ويتأكد لنا بعد ذلك صحة رأيه..

●●●

ويروى الشيخ الشعراوى آخر لقاء له مع النحاس باشا.. يقول:

أذكر ذلك جيدا.. كان النحاس باشا قد مرض فى الاسكندرية.. وانطلقت إشاعة تقول انه مات.. وعندما عوفى من المرض ونهض قال الوفديون: إنهم لابد أن يحتفلوا به عند وصوله إلى القاهرة.. وأن يقيموا له المهرجانات.. وأن يستقبلوه استقبالا حاشدا عند دخوله إلى مجلس الوزراء.

وجاءنى فؤاد سراج الدين باشا وكان وقتها وزيرا للداخلية.. وقال لى: «يا شعراوى نريد أن تكون فى استقبال النحاس باشا عند دخوله إلى مجلس الوزراء وأن تلقى كلمة».. واتفقنا على الترتيبات التى سنقوم بها وهى أن أقف فى «الفرندة» المواجهة لمدخل مجلس الوزراء فى انتظار النحاس.

وفعلا وقفت فى الفرندة.. وجاء النحاس باشا.. ونزل من السيارة.. ووجدنى أمامه.

وقلت ما جاء على لسانى لحظتها:

بسم الله نحرس هذا الرجاء
والحمدلله على نعمة هذا الشفاء
والله أكبر لطف حين قدر
وأزاح الغمام عن البدر فاسفر
فبسم الله والحمد لله والله أكبر

ويقول الشيخ: ولما دخل النحاس باشا إلى مكتبه فى مجلس الوزراء قال:

— هاتوا الشعراوى..

فذهبت إليه فى مكتبه.. فاستقبلنى استقبالا طيبا.. وقال موجها حديثه إلى الحاضرين من كبار شخصيات الوفد:

— الشعراوى مسموح له بأن يدخل مكتبى فى أى وقت.. وبدون استئذان.. حتى وإن كنت فى اجتماع لمجلس الوزراء!

ويقول الشيخ الشعراوى وهو يقسم بالله: والله.. بعد هذا اليوم. لم أر النحاس باشا! وكان ذلك آخر لقاء لى مع الرجل الطيب!

ويصمت الشيخ.. ونسأله فى دهشة: لماذا يا فضيلة الشيخ؟

ويقول الشيخ وفى صوته بقايا المرارة التى أحسها فى تلك الأيام، بعد ذلك اللقاء:

— لأن بعضهم وقفوا ضدى بعد ذلك.. وخافوا من اقترابى من النحاس باشا! وعملوا على إبعادى عن الرجل..

وقال الشيخ: بعض المحيطين بالنحاس باشا اتفقوا وعملوا «رباطية» ضدى.. لم يمكنونى من مقابلته أو اللقاء به.. وعرفت بعد ذلك أنهم قالوا: إن الشعراوى لو اقترب من النحاس باشا فسوف يصبح وزيرا!

وأضاف الشيخ: لم يكن هذا فى بالى.. فأنا كنت أقدر النحاس باشا كرجل طيب وزعيم تقى وورع.. والحقيقة أننى حزنت.. كنت كلما ذهبت للسؤال عنه قالوا : «موش موجود»!

والواقع أنهم وهم يبعدونني عن النحاس باشا.. كانوا يبعدونني عن السياسة ولعبة السياسة بكل ضراوتها.

وهكذا خرجت من هذه الدوائر.. لكن تقديري للرجل الطيب بقي كما هو.

●●●

وحديث الشيخ الشعراوي عن «الرجل الطيب» النحاس باشا يطول، وحكاياته عنه تضعه — أي النحاس باشا — في صورة الأولياء المكشوف عنهم الحجاب!

يقول الشيخ: كان النحاس باشا رجلا طيبا له معي أحوال غريبة!

كنت وأنا طالب في الأزهر أقوم بتقبيل يده عندما أقابله.

وعندما تخرجت في الأزهر، ولم تكن قد مضت أيام على هذا التخرج، ذهبت لزيارة النحاس باشا وكان يومها في قصر الزعفران الذي تحول بعد ذلك إلى «جامعة عين شمس».. وكان اليوم هو يوم الاحتفال بذكرى المولد.. وكان معي حافظ شيحا الذي كان رئيسا لاتحاد طلاب الجامعة.

وقررت بيني وبين نفسي ألا أقبل يد النحاس عندما ألتقي به.. فقد تخرجت منذ أيام وأصبحت أزهريا يحمل شهادة الأزهر.. ولم يعد من اللائق أو المقبول أن أقبل يده بعد ذلك..

ويقسم الشيخ الشعراوي بأنه فوجيء عندما وضع يده في يد النحاس باشا.. فوجيء بالنحاس يقلب يده ويرفعها إلى فمه ويقول له — وكأنه يعرف ما ينتويه — :

— ولو.. بوس يا ولد!

وقال الشيخ: وفعلا قبلت يده!

●●●

حكاية أخرى يرويها الشيخ عن «أحوال» الرجل الطيب النحاس

باشا التي جعلتـه يرتبط به ويرى فيـه — كما يقول — الزعيم التقى الورع.

يقـول الشيخ: حدث ذات مـرة أن كنت فى زيـارة النحـاس باشـا.. وقابلت سكرتيره على قشاشة وقلت له : إن النحاس باشا يضع فى يده «خـاتم كبير ومجعلص» وشكلـه موش مقبـول.. وانني قـررت عندمـا أصافحه أن أقوم بسحب هذا الخاتم من يده..

وانـدهش السكرتير من تفكيرى وحـذرنى من فعل ذلك وقـال: إن النحاس باشا عندما يغضب يضرب بعصاه!

ولكننى لم أسمع لهذا التحذير.

وجلست أنتظره.

وجـاء النحـاس بـاشا.. وفـوجئت وأنـا أصـافحـه بأن الخاتم غير موجود فى يده!!

لكن أهم وأغرب مـايرويه الشيخ الشعراوى عن النحـاس باشا من وقائع يـدلل بها على أحوال الرجل الطيب، هى تلك الواقعـة التى جرت بعد قيام الثورة وخلال محـاكمة السياسيين «العهد البائد»..

وكانوا قد استدعوا زينب الوكيل زوجة النحاس باشا للمثول أمام محكمة الثورة.

يقول الشيخ: أنا لا أنسى يوم ناداني أحمد الصاوى الذى كان يرد على تليفون النحاس باشا ويرتب له المكالمات التليفونية.. لقد كلمنى فى التليفون وقائلا:

— تعال فورا.. أحسن الجو مكهرب النهاردة!

فسألته: حصل إيه؟

فقال: بلاش كلام فى التليفون.. تعال بسرعة. وذهبت إليه..

قال: النهـاردة بعتوا شـوية ضباط علشـان يأخـدوا «زينب هانم» زوجـة النحـاس باشـا لكى تقف أمـام المحكمة.. ولكنهـا «عصلجت» معهم.. وثارت.. وغضبت.. وشتمت.. وعملت اللى ما يتعمل!

واتصل الضباط بجمال عبدالناصر وأبلغوه بما حصل.. فقال لهم:

— قولوا لها.. بكرة الساعة ٨ صباحا تلبس هدومها.. وتستعد.. وتنزل برضاها.. وتروح المحكمة.. وإلا «يجرجروها» غصب عنها ويودوها للمحكمة!

وسمعت هى هذا الكلام فاشتد غضبها.. وأسرعت إلى النحاس باشا تقول له: «يا باشا.. زينب الوكيل تتجرجر.. وتروح المحكمة»!

فأخذ النحاس باشا يهدىء من ثورتها ويقول لها:

— إن شاء الله ما يحصلش يا زينب.. إن شاء الله ما يحصلش..

ويمضى الشيخ الشعراوى فى روايته للواقعة فيقول:

— هذا الكلام كان الساعة ١١ صباحا.. وكان من المنتظر أن يحضر الضباط «ليجرجروا» زينب الوكيل فى صباح اليوم التالى إلى المحكمة حسب أوامر جمال عبدالناصر.

ولكن حدث شىء فى الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر.. أى بعد ثلاث ساعات من أوامر عبدالناصر بأن « يجرجروا » زينب الوكيل!

حدثت مقدمات العدوان الثلاثى على بورسعيد. وقامت الدنيا هنا وهناك..

ولم يحضر الضباط فى اليوم التالى «لجرجرة» زينب الوكيل تنفيذا لأوامر جمال عبدالناصر! ليس ذلك فقط.. فقد اتصل جمال عبدالناصر بالنحاس باشا لا ليكلمه عن «جرجرة» زوجته للمحاكمة.. وإنما ليسأله الرأى والمشورة فى الموقف الصعب الذى يواجهه!

وأشار عليه النحاس باشا بأن يتحمل الموقف.. وأن يتيح الفرصة للبعض من الوطنيين أن يتحركوا لحل الموقف.. ودعا له وقال: «الله يعينك».

وقال الشيخ الشعراوى فى ختام حديثه عن النحاس باشا: كان

رجلا طيبا كما قلت.. وكانت مواقفه تجعلني أزداد تقديرا له.

وقال الشيخ: عندما جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ فهمنا أول الأمر أن الثورة قامت لتأتي بالنحاس باشا إلى الحكم!

هكذا توهمنا . وقد سعدنا بها في البداية .. وأخذتنا شعاراتها التي تنادي بحياة حرة كريمة.. وتغنينا بها.. وأذكر أنني قلت في تحيتها:

أحييها ثورة كالنار عارمة
ومصر ما بين مجبور ومرتقب
شقت توزع بالقسطاس جذوتها
فالشعب للنور والطغيان للهب

قلت ذلك.. لكن الأيام سرعان ما أثبتت عكس كل الشعارات التي ترددت.. ولم تعد الحياة حرة ولا كريمة!

ولذلك فقد أضفت إلى قصيدتي السابقة في تحيتها القول:

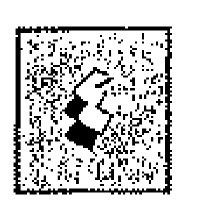
وهكذا خلتها والله يغفر لي
وكم لمواليد هذا الدهر من عجب!

وقال الشيخ: لقد سأل الوفديون الرجل الطيب النحاس باشا : ما العمل الآن؟ فقال:

— اتفرجوا وبس!

ولم يكن الوفديون وحدهم الذين يتفرجون، وإنما كل الناس أخذوا يتفرجون على الذي جرى في مصر وامتد إلى خارج مصر.. والحصاد كلنا نعرفه.. مصريا وعربيا.. والعياذ بالله من هذا الحصاد!

الشعراوى الذى لا نعرفه



الإخوان .. وحسن البنا

نعم .. بخط يدى كتبت أول منشور للإخوان المسلمين

- عند الفجر أفصح الإخوان عن « عدوهم » .. فقررت الابتعاد عنهم
- رأيت « السندى » رئيس الجهاز السرى وهو « يزق » الشيخ البنا !
- الإخوان يطمحون للحكم بأنفسهم .. أما أنا فقلت : يحكمنى من يشاء بالإسلام



●● ما حقيقة العلاقة التى كانت بين الشيخ الشعراوى وجماعة الاخوان المسلمين؟ تلك العلاقة التى لاتزال تحيطها أكثر من علامة استفهام؟

متى بدأت هذه العلاقة؟ وكيف كانت ؟

وهل صحيح أن الشيخ الشعراوى كتب بخط يده أول منشور لجماعة الاخوان عندما جاء الشيخ حسن البنا من الاسماعيلية إلى القاهرة لتبدأ الجماعة مرحلة الانتشار والظهور على ساحة العمل السياسى فى مصر؟

ولماذا ترك الشيخ الاخوان؟ ما هو السبب الذى جعله يقرر الابتعاد والانفصال عنهم؟

تلك تساؤلات تأتى فى سياق هذه الحلقة من المواجهة التى تدور حول العلاقة التى كانت بين الشيخ والاخوان.

وكعادته، وبصراحته المطلقة، تكلم الشيخ الشعراوى.. ووضع النقاط على الحروف. كاشفا الكثير من الأسرار والخفايا.

من هو «العدو» الذى أفصح عنه الأخوان، عند الفجر، فكان من أهم أسباب ابتعاد الشيخ؟

من هو «السندى» الذى شاهده الشيخ وهو «يزق» حسن البنا ويكاد يوقعه على الأرض؟ والذى تحول داخل الجماعة إلى مركز قوة وراح يناطح المرشد العام وقائد الجماعة؟

أيضا، لماذا كان الصراع ضاريا بين الوفد والاخوان؟ وأين كان يقف الشيخ من هذا الصراع؟ ثم ما هو الدرس المستفاد الذى خرج به الشيخ من تجربة الاخوان؟

لم يكن النحاس باشا بعيدا عن حديث الشيخ عن الاخوان، بل كان طرفا فى كثير من الوقائع التى تخص الاخوان وغير الاخوان!

ويأتى الكلام عن جماعة الاخوان المسلمين، أو حركة الإخوان، وعلاقة الشيخ بها، تلك العلاقة التى تحيط بها أكثر من علامة استفهام!

لكن الكلام عن هذه العلاقة يستلزم التمهيد، لتحديد الزمان والمكان، لكى تكون الصورة واضحة، ويكون الكلام مفهوما، خاصة أن تلك العلاقة كانت فى بدايات التكوين والتشكيل لجماعة الاخوان.

نحن نعرف أن نقطة الانطلاق لجماعة الاخوان المسلمين كانت فى مارس ١٩٢٨.. وفى مدينة الاسماعيلية.

وأن أول تشكيل لها كان يضم ستة من الاخوان.. وأن هؤلاء الستة هم أول من قدم «البيعة» للشيخ حسن البنا وأقسموا على الوفاء لدعوته والطاعة له باعتباره «المرشد العام».

كان الشيخ حسن البنا وقتها يعمل مدرسا بالاسماعيلية.. وكان قد تخرج فى دار العلوم وكان الأول على دفعته عام ١٩٢٧.

لم يقف الشيخ حسن البنا عند مهمة التدريس داخل الفصول.. وإنما خرج إلى «القهاوى» بالاسماعيلية وجلس وسط روادها يقدم لهم المواعظ.

ثم أخذ فى تكوين أول نواة لتشكيلات جماعة الاخوان فى الاسماعيلية.

ومن الاسماعيلية تحركت الجماعة إلى القاهرة.. لتبدأ مرحلة جديدة.

مرحلة الانتشار والظهور على ساحة العمل السياسى فى مصر.

فى هذه المرحلة.. فى القاهرة.. بدأت علاقة الشيخ الشعراوى بجماعة الاخوان.

كان الشيخ الشعراوى وقتها «وفديا».

وكانت علاقته بالنحاس باشا زعيم الوفد، هي علاقة التقدير والاكبار للزعيم الذى لايزال يصفه «بالرجل الطيب».

ومع ذلك فقد ذهب إلى الاخوان. لماذا الاخوان؟

وهل كان يراها حركة دينية؟ أم حركة سياسية تتطلع إلى الحكم؟

عن علاقته بالاخوان وكيف بدأت يقول الشيخ الشعراوى:

بدأت العلاقة عندما حضر الشيخ حسن البنا من الاسماعيلية إلى القاهرة.. واتخذ أول مكتب للجماعة فى شارع كعب الأحبار.. درب القمح.. خلف مدرسة السنية بحى السيدة زينب.. رقم ١٤.

كنا نلتقى فى هذا المكتب.

وكان يعجبنى فى الشيخ حسن البنا أنه كان قمة فى الدعوة إلى الله.

كان الشيخ حسن البنا حافظا للسيرة النبوية حفظا جيداً.. كان يحفظها عن ظهر قلب.. وربنا أعطاه قبولا.. وكان يأخذ القول بالفعل.

كنا نلتقى أنا والشيخ أحمد شريت والشيخ الباقورى والشيخ حسن البنا.

وعن كتابته ـ وبخط يده ـ أول منشور لجماعة الاخوان المسلمين عند انتقالها من الاسماعيلية إلى القاهرة يقول الشيخ:

أنا كتبت أول منشور للاخوان بخط يدى.. كتبته فى حضور أحمد شريت.. وأرسلناه للشيخ الباقورى لاستطلاع رأيه.. فأقره وقال: «وهو حد يقدر يقول بعدك حاجة.. نحن لا ننسى موقفك وما تقوله فى الأزهر».

وعن مضمون هذا المنشور الذى كتبه بخط يده قال الشيخ:

كان المضمون هو أن الاسلام منهج الله.. وأن الله هو الذى خلق الانسان.. وأن الله أولى بأن يمنهج للإنسان غايته التى خلق من أجلها وحركة حياته، وكيف يسوسها.. وإننا نريد أن ننشىء شباباً مسلما حقا.. وأن نعطى له مناعة ضد وافدات الحضارة المزيفةالتى تريد أن تعزل الأرض عن السماء.

وأضاف الشيخ: وأذكر أنني قلت فى ختام المنشور: « فالجأ إلى هذه الجماعة.. لتأخذ هذه المناعة».. وعندما قرأ الشيخ حسن البنا المنشور :قال «ما أجمل هذا السجع».

سؤال: وهل طبعتم هذا المنشور ووزعتموه؟

قال الشيخ: أيوه.

والسؤال الكبير: لماذا افترق الشيخ الشعراوى عن جماعة الاخوان؟ ما هو السبب؟

قال الشيخ: فى عام ١٩٣٧ خرج الوفد من الحكم.. وأنا كنت «وفديا» كما سبق ان قلت.

وفى عام ١٩٣٨ أردنا الاحتفال بذكرى سعد باشا.. لكنهم منعونا.

فذهبنا إلى النادى السعدى واحتفلنا هناك بهذه الذكرى .

كنت أعتبر أن الاحتفال بذكرى سعد هو احتفال بذكرى وطنية.

ووقفت فى الاحتفال وألقيت قصيدة امتدحت فيها سعد باشا وكذلك النحاس باشا.

وعلم الشيخ حسن البنا بخبر القصيدة التى القيتها فى الاحتفال فغضب.. غضب لامتداحى النحاس باشا.

وحدث بعد ذلك أن جلسنا فى ليلة نتحدث.. وكنا مجموعة من الاخوان.. وكان الشيخ حسن البنا حاضرا.. وعند الفجر تطرق الحديث إلى «الزعماء السياسيين» وأيهم يجب أن نسانده ونقف معه.

ولاحظت أن الحاضرين يتحاملون على النحاس باشا.. ويقولون بمهادنة صدقى باشا.

فاعترضت على ذلك.. وقلت:

- إذا كان لمن ينتسبون إلى الدين يريدون أن يهادنوا أحد الزعماء السياسيين ولا يتحاملوا عليه أو يهاجموه، فليس هناك سوى النحاس باشا.. لأنه رجل طيب.. تقى.. وورع.. ويعرف ربنا.. وإننى لاأرى داعيا لأن نعاديه.. وهذه هى الحكمة.

قلت هذا الكلام.

لكنني فوجئت بـأحد الحاضرين ـ ولا أريـد أن أذكره ـــ يقول: أن النحـاس باشـا هو عـدونا الحقيقي.. هـو أعدى أعدائنا.. لأنـه زعيم الأغلبية.. وهـذه الأغلبية هي التي تضـايقنا في شعبيتنـا.. أما غيره من الزعماء وبقية الأحزاب فنحن «نبصق» عليها جميعا فتنطفىء وتنتهي!

وأضاف الشيخ:

ـ كـان هذا الكلام جـديدا ومفاجئا لي.. ولم أكن أتوقعـه.. وعرفت ليلتها «النـوايا».. وأن المسـألـة ليست مسـألـة دعوة.. وجماعـة دينية.. وإنما هي سياسية.. وأغلبية وأقلية.. وطموح للحكم.

وفي تلك الليلـة اتخذت قـراري.. وهـــو الابتعـاد. وقلت: «ســـلام عليكم».. ماليش دعوة بالكلام ده.

قلتها بكل أدب.. أبتعدت عنهم..

سؤال: ومتى كان ذلك يا فضيلة الشيخ؟

قال: تقريبا في سنة ١٩٣٨.

●●●

ومضى الشيخ يقول: لقد تحولت المسألـة داخل الجماعة إلى مراكز قـوى ضد الشيخ حسن البنـا نفسه.. وأنـا رأيت بعيني «عبدالـرحمن السـندى» وهـو «يزق» الشيخ حسن البنـا ويكاد يـوقعه على الأرض.. لولا أن تساند الشيخ على من كانوا يقفون خلفه!

رأيت هذا بعيني في مقر الاخوان في الحلمية.

وعبـدالرحمن السـنـدى الذى يتكلم عنـه الشيخ الشعراوى ويقـول عنه: إنه شـاهده وهو «يزق» الشيخ حسن البنـا.. كان رئيس «الجهاز السرى» أو «الجهاز الخاص» كما يسميه الاخوان.. وهـو الجهاز الذى أنشأه الشيخ حسن البنـا عـام ١٩٣٦ لكي يتصـدى لأعداء الجمـاعـة وأعـداء الـدعـوة.. وكان الشيـخ حسن البنـا هو نفســه الـذى اختـار «عبدالرحمن السندى» ليتولى رئاسة هذا الجهاز.

لكن عبدالرحمن السندى تحول بقوة هذا الجهاز إلى «مركز قوى» داخل جماعة الاخوان.. وإلى الحد الذى جعل الشيخ عمر التلمسانى يقول عنه فى شهادته:« انه ـ أى عبدالرحمن السندى ـ أحس بقوته وسلطانه وكان يتصرف فى بعض الاحيان تصرفات لا يقرها الأستاذ البنا، ثم بلغت به القوة إلى حد أنه كان يضع نفسه فى مستوى قائد الجماعة.. لقد أغوته القوة وأغواه الشيطان، ولم يرض.. الأستاذ البنا رئيس الجماعة عن ذلك، ووقع الخلاف بينهما.. أما لماذا لم يقم الأستاذ البنا بفصل عبدالرحمن السندى؟ فأى إنسان فى أى جماعة ينمو وتزداد قوته يوما بعد يوم، قد لايدرك خطره إلا بعد أن يصل أمره إلى منتهاه.. وهذا ما حدث.. ولم تطل أيام الأستاذ البنا حتى يتخذ اجراء معينا مع عبدالرحمن السندى الذى اتخذ نفس الموقف من الاستاذ الهضيبى وأساء إليه،فاجتمعت هيئة مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية وقررت فصل عبدالرحمن السندى » .

انتهى كلام الشيخ عمر التلمسانى عن عبدالرحمن السندى الذى رآه الشيخ الشعراوى وهو «يزق» الشيخ حسن البنا فى مقر الجماعة بالحلمية.

●●●

ونعود إلى الشيخ الشعراوى الذى يواصل حديثه عن جماعة الاخوان.. فيقول:

ــ ابنى سامى.. كان فى الاخوان.. فأنا قلت له بعد أن شاهدت التحول الذى طرأ على هذه الجماعة .. قلت له: يا بنى أنت أخذت خير الاخوان.. فابتعد.. وحجم نفسك.. لأن المسألة انتقلت إلى مراكز قوى.. وإلى طموح فى الحكم.

وفعلا سمع كلامى وابتعد.. ولذلك لم يقبضوا عليه عندما كانوا يأخذون كل من «هب ودب» .

كذلك ابن خالتي عبدالفتاح.. كان متعصبا لـلاخوان.. لكنه لم يكن فى جانب الذين يريدون أن يحكموا هم بأنفسهم.. كان مخلصا لفكرته وربه ودعوته ولم يكن له هدف آخر.. ولذلك لم يأخذوه.

وعن تجربته مع الاخوان والدرس المستفاد قال الشيخ الشعراوى: أنا استفدت من تجربة الاخـوان فى حركتي للدعوة.. وتسألنى كيف؟ فأقول لك:

أولا: اننى أخلصتهـا لله.. أخلصتها لـربى .. وقلت: إن الـذى يعمل حـاجـة لله فهـو يجازى عنهـا خيرا من قبل أن يعملهـا.. لأن الأعمال بالنيات.

ثانيا: إننى قلت كلمتى.. وأعلنت رأيى.. بكل وضوح.. وقلت : «أنا لا أريد أن أكون أنا الذى أحكم بالاسلام.. وإنما أريد أن يحكمنى من يشاء بالاسلام».

وقـال الشيخ: بعـد أن أعلنت كلمتى هـذه وحـددت مـوقفى.. لم يستطع أحد أن «يهوب». ناحيتى.. وأصبحت أقـول كلمتى فى الدعـوة إلى الله دون أن يتعـرض لى أحد : أو يقـول إننى طامع فى الحكم أو لى مآرب أخرى من وراء الدعوة.

سـؤال: كان الصراع ضـاريـا بين الوفـد والاخـوان.. وكانت هنـاك صدامات بينهما فأين كان يقف الشيخ من ذلك الصراع؟

قـال الشيخ: أنـا أختلفت مـع الاخـوان على النحـو الـذى ذكـرت.. وابتعدت.. ولم أكن طرفا فى صراع .. والشيخ الباقورى رحمة الله عليه بقى وإلى أن مات لم يكن يحب أحداً غيرى.

كان بيننـا خلاف فى الرأى.. لكـن هذا الخلاف لم يفسد الـود الذى ظل بيننـا. الشيخ الباقـورى كان يقـول لى: «يا ولى الله».. وكـان الود بيننا كبيرا.

وقد اختلف الشيخ الباقورى معهم هو الآخر.

سؤال: هل التقى الشيخ الشعراوى بالشيخ عمر التلمسانى الذى تولى منصب المرشد العام بعد الاستاذ الهضيبى؟

قال الشيخ: أيوه . وقابلته كثيرا فى مناسبات.. وذهبت لزيارته فى بيته.. وهو حاول أن يتلافى ما وقع فيه الآخرون.. حاول تلافى الصدام.. وكان يقول: «ليس بينى وبين أى حاكم سوى كلمة حق»، لكن كان هناك بعض الناس الذين لا يزالون «متمعشقين» فى الحكاية «الأولانية».. حكاية الحكم.

وقال الشيخ: ان «خيبة» أى داعية هى أنه يستعجل ثمرة دعوته. وهذا مالم يحدث للنبى صلى الله عليه وسلم.. فكيف تستعجل أنت ثمرة دعوتك.

وقال الشيخ: الذى يزرع لاينتظر الحصاد السريع.. إلا إذا كان ما يزرعه هو «الفجل» وعايز يأكله «وِزْوِزْ» بعد أسبوعين!

أما الذين يزرعون النخيل فهم لا ينتظرون أن يأكلوا هم منها.. أبويا زرع نخلة ولم يأكل منها.. لكننى وأهلى أكلنا من خيرها.

سؤال: ترك الشيخ الشعراوى الاخوان من أجل الوفد والنحاس باشا.. فأين كان يقف الشعراوى السياسى من الشعراوى الأزهرى فى تلك الأيام التى ارتبط فيها الشيخ بالنحاس باشا وبالوفد؟

هل كان السياسى فى خدمة الأزهرى.. أم الأزهرى فى خدمة السياسى؟

أيضا كيف كانت علاقة الشيخ الشعراوى بالشيخ الباقورى الذى كان يقف فى جانب الاخوان فى ذلك الوقت؟

قال الشيخ: بالنسبة للسياسى والأزهرى.. هذه نقطة يهمنى توضيحها.. فأنا كنت «سياسيا» وفديا.. لكن هويتى «أزهرية».. وكنت أخدم أزهريتى بسياستى.. وليس العكس!

أما علاقتى بالشيخ الباقورى فهى تعود إلى أيام ثورتنا فى الأزهر

من أجل الشيخ المراغى.. كان الشيخ الباقورى يتبع «الاخوان» وكان رئيس اتحاد طلبة الأزهر.. وأنا كنت «وفديا» ورئيس اتحاد الأزهر فى الشرقية.

وأذكر أننا اتفقنا على أن نذهب معا إلى النحاس باشا لكى يساعدنا بصحافته فى تأييد ثورتنا من أجل إعادة الشيخ المراغى إلى الأزهر..

وذهبنا لمقابلة النحاس باشا فى بيت الأمة.. وفوجئت بالوفديين يمنعون الشيخ الباقورى من الدخول لأنه من «الأخوان».

فأنا وقفت لهم.. للوفديين.. وقلت إذا لم يدخل الشيخ الباقورى معى لمقابلة النحاس باشا فلن أدخل.

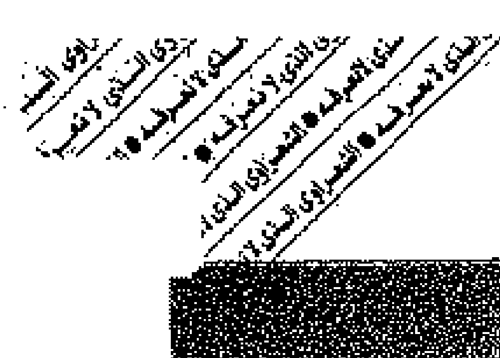
وأمسكت بيد الشيخ الباقورى وقلت متحديا وأنا أدخل من الباب: «اللى يقدر يمنعنى أو يمنع الشيخ الباقورى يتفضل يورينى حيعمل إيه»..

ولم يستطع أحد أن يقف فى طريقنا.

ودخلت ومعى الشيخ الباقورى وقابلنا النحاس باشا.

وهذه الواقعة ظل الشيخ الباقورى يتذكرها ويحفظها لى.

وكانت علاقتنا دائما طيبة.





الشعراوى الذى لانعرفه



الزواج .. والأولاد .. والأحفاد

بسبب « أم فتحية » .. تزوجت وأنا فى الابتدائية !

● أعطانى والدى مهلة أسبوع وقال : اختار لك عروسة يا ولد !

● تزوجت « الحكومة » وكان المهر ٣٠ جنيها !

● فى أيام الشدة .. أمى قالت لى : رأيتك فى المنام شايل « قفة » فلوس !



تزوج الشيخ الشعراوى وهو فى الابتدائية!

وكان الزواج بسبب «أم فتحية»!

أعطاه والده مهلة أسبوع وقال له: «أختار لك عروسة ياولد»!

وفشلت محاولات الأم والخال والخالة فى اقناع الأب بتأجيل الزواج!

وتزوج الشيخ الشعراوى.

وكان الأب هو الذى اختار له العروسة، ودفع له المهر وكان ۳۰ جنيها! وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمان، لكن الشيخ يقول فى تبرير ارتفاع المهر: إن العروسة كانت وحيدة والديها، وكانوا يسمونها «الحكومة»! ويضيف وهو يضحك: «وقد تزوجت الحكومة بثلاثين جنيها»!!

كيف حدث ذلك؟!

وما هى حكاية «أم فتحية» التى بسببها تزوج الشعراوى وهو فى الابتدائية؟!

الشيخ يروى القصة.

حول الشيخ تحلق خمسة من الأطفال هم أحفاده .. بنتان وثلاثة أولاد.

كان الشيخ قد خلع الطاقية ووضعها إلى جواره.. فقامت «هديل» وهى طفلة فى الرابعة فالتقطتها ووضعتها على رأس جدها وأخذت تلفها وتحكم من وضعها وهى تضحك والشيخ مستسلم ثم قال لها:

— كويسة كده.. عال خالص!

وانطلق بقية الأطفال إلى حديقة البيت، يقطفون منها الورود ويقدمونها لجدهم الشيخ، فيأخذها ضاحكا..

وأخذ الشيخ يتكلم عن حياته الخاصة.. قائلا: تسألنى عن زواجى.. وكيف تزوجت؟ وأقول لك : إن زواجى كانت له حكاية.

كنت طالبا بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالزقازيق.. كنت فى السنة الرابعة.. وكنت أسكن مع زميل لى من بلدنا اسمه حسنى إمام فى غرفة واحدة.

وكنا نستأجر هذه الغرفة فى بيت واحدة اسمها «أم فتحية».. وكان عندها بنت تلميذة اسمها «صفاء»..

وجاءت أم فتحية وقالت لنا : إن ابنتها صفاء عندها «واجب فى الحساب» لكنها «موش عارفة تحله».

وطلبت منا — أنا وزميلى — أن نساعدها فى حل الواجب لأنها ضعيفة فى الحساب. وقلنا لها «طيب»..

وجاءت صفاء وجلست معنا فى غرفتنا.. وأخذنا فى مساعدتها وعمل الواجب..

وفوجئت بوالدى يدخل علينا الغرفة ونحن نقوم بعمل الواجب لصفاء.

وتطلع إلينا نحن الثلاثة.. ثم سألنى:

— مين البنت اللى قاعدة دى؟

قلت: دى صفاء..

قال: وصفاء دى تبقى مين؟

قلت: بنت أم فتحية.

قال: وأم فتحية تطلع مين؟

قلت: صاحبة البيت.

قال: طيب!

وتركنا وانصرف.

وعاد إلى قريتنا دقادوس.

وكان قد جاء إلى الزقازيق لشراء «جمل».. واشترى الجمل.. وفكر في أن يمر علينا — أنا وزميلي — في السكن ليسألنا ان كنا في حاجة إلى شيء.. لكنه فوجيء بوجود البنت صفاء بنت أم فتحية.. ولم يعجبه هذا الأمر.. ولم يسألنا كعادته ان كنا في حاجة إلى شيء.

وفي نهاية لاسبوع.. في يوم الخميس سافرت ومعي زميلي إلى بلدنا دقادوس لنتزود كعادتنا كل أسبوع بما تيسر من الخبز والجبن والبيض والقروش القليلة، ونعود في نهاية اليوم التالي.

وبمجرد أن دخلت البيت.. نادى والدي على أمي وطلب خالتي وخالي عبده.. وقال لهم في حضوري:

— أنا باقول لكم.. الولد ده لازم يتجوز.. عايزه يتجوز.. وبسرعة.

فقلت في دهشة: أتجوز؟ وليه يابا؟! بلاش الحكاية دي دلوقتي.

وردت أمي: مادام الولد موش عايز.. ليه بقي تفتح عينيه على الموضوع ده؟ إنت ناسي انه عايش في غربة.. ولسه صغير؟

فرد عليها: ما هو علشان كده أنا عايزه يتجوز.. علشان عايش في غربة.. ولسه صغير.. فهمتي.. فهمتي بقى ليه؟

وردت خالتي ومعها خالي:

— يعني لازم الموضوع ده؟!

فقال والدي في اصرار:

— أيوه لازم الموضوع ده.. وأنا قلت يتجوز.. يبقى لازم يتجوز.

ووجه كلامه لي وقال:

— قدامك أسبوع.. تشوف بنات البلد.. وتختار واحدة.. وتقوللي بنت مين؟

فقلت له: مادام أنا حاتجوز غصب عني.. يبقى جوزوني انتم.. اللي على كيفكم!

واختار لى والدى بنت خاله.

وكان اختياره طيبا.. ولم تتعبنى فى حياتى.. وهكذا تزوجت..

وأنجبت لى ثلاثة أولاد وبنتين.. الأولاد.. سامى وعبدالرحيم وأحمد، والبنتان فاطمة وصالحة.

سؤال: وكم كان المهر الذى دفعه والدك يا مولانا؟

قال: المهر المقدم كان ٣٠ جنيها .. والمؤخر ١٥ جنيها.

ورد أحد الحاضرين معنا وهو من أصحاب الشيخ وقال وهو يضحك:

— لكن المهر ده يعتبر غالى قوى يامولانا بالنسبة للأيام اللى بتحكى عنها.. فى وقتها كان المهر فى حدود خمسة جنيه.. ولما يتمعظم يبقى عشرة!

قال الشيخ: أصلها كانت وحيدة أبويها.. وكانوا بيسموها «الحكومة»!

وأضاف متعجبا:

— وإيه رأيك أن الدولاب بتاعها اللى جانى فى الجهاز لايزال موجودا عندنا لحد الآن! لايزال موجودا رغم اننا غيرنا عليه كام دولاب!

●●●

سؤال: تزوج فضيلة الشيخ الشعراوى على غير اختيار منه، لكنه كان اختيارا طيبا يحمد الله عليه.. فكيف يرى الشيخ الآن، وبعد تجربته الطويلة فى الحياة.. كيف يرى الأسس التى ينبغى أن تتوافر لقيام الزواج الناجح؟

قال الشيخ: سئلت هذا السؤال كثيرا وقلت: إن أول عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين.. وقد حثنا الاسلام على التكافؤ بين الزوجين، وليس معنى التكافؤ أن يكون التكافؤ فى المال، وإنما التكافؤ فى جواهر الأشياء لا فى أعراضها.. التكافؤ الصحى، والتكافؤ الخلقى، والتكافؤ القيمى.. والاسلام وضع هذه المسألة نصب عينيه قبل أن يبدأ ظهور الأبناء.. لأنه يرى أن يضمن للوليد وعاء صالحا.. وهذا الوعاء

الصالح سيحمل ــ بقانون الوراثة ـ صفات أبويه، وهذه الصفات هي التي ستكون محور التربية فيما بعد.

ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

وكذلك أرشدتنا السنة النبوية إلى أن نتجنب القريبات حيث نريد الزواج كي لا يؤول أمر النسل إلى ضعف.. فإذا اغترب فإنه يؤول إلى قوة.. ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتربوا لا تضووا» أي لا تضعفوا وتهزلوا.

والاسلام وضع للزوج مقاييس لاختيار زوجته، واحترم هذه المقاييس. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «تنكح المرأة لمالها ولجمالها ولحسبها ولنسبها ولدينها.. فاظفر بذات الدين تربت يداك» أي أنه قد أشار إلى كل المقاييس ثم ذكر لك بعد ذلك المقياس الصحيح وهو المرأة ذات «الدين» أي المرأة المتدينة. لأن الجمال أمر طارىء.. فالجمال يذبل والجاه يتغير، والمال زائل.. أما القاعدة الدينية التي يبدأ منها الاسلام فهي الباقية على مر الزمان لأنها تنمو وتزدهر وتزداد كل يوم عمقا.

ويأتي الاسلام بعد ذلك للمرأة ولولي أمرها ويقول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وعندما سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يزوجه ابنته؟ قال: «اعطها لذي دين أن أحبها أكرمها.. وإن كرهها لم يظلمها»..

سؤال: وكيف يعامل الشيخ أحفاده؟

قال الشيخ: الطفل يجب أن يربى جيدا.. وهناك فرق بين أن يتعلم الطفل وأن تربى فيه مقومات الحياة.. فالطفل إذا ما تحركت ملكاته وتهيأت للاستقبال والوعي بما حوله.. أي إذا ما تهيأت أذنه للسمع،

وعيناه للرؤية، وأنفه للشم، وأنامله للمس، فيجب أن نراعى كل ملكاته بسلوكنا المؤدب معه وأمامه، فنصون أذنه عن كل لفظ قبيح..ونصون عينه عن كل مشهد قبيح.

وقال الشيخ:أنا مثلا أحب النظام وأكره أن ينقل أى طفل من أحفادى شيئا من مكانه وانفعل عليه.. وقد يزعل آباؤهم وأمهاتهم.. ولكن لأن عدم النظام يقلقنى ويتعبنى فإننى أشرح للطفل الغرض من هذا الشيء، ولماذا هو فى هذا المكان.. وكذلك فى كل الأمور.. يجب أن يتضح فى ذهنه ما الذى نريده منه.. وما هو الغرض من هذا الشيء.

وقال الشيخ: أهم شيء فى التربية هو القدوة.. فإن وجدت القدوة الصالحة سيأخذها الطفل تقليدا.. وأى حركة من سلوك سيىء يمكن أن تهدم الكثير مما بنيناه.

فإذا نحن حدثنا الطفل عن الصدق والشجاعة والأدب.. ثم دق جرس الباب وقلنا للطفل: اذهب وافتح الباب.. فإذا كان «فلان» هو الطارق. فقل له : إن والدى غير موجود.. إذا نحن فعلنا ذلك.. فسوف نهدم كل ما بنيناه.. كل ما قلناه له عن الصدق والشجاعة والأدب.. وتتكون فى ذهنه قضية هى أن هناك كلاما يقال.. وكلاما لا يعمل به.

وأخطر شيءأن يتعلم الطفل الكذب.

وقد سئل النبي: هل المؤمن يسرق؟ قال: يسرق ويتوب.. قالوا: وهل يزنى؟ قال: يزنى ويتوب.. قالوا: وهل يكذب؟ قال: لا..

وقال الشيخ: إذا أردنا أن نربى أولادنا تربية اسلامية، فإن علينا أن نطبق تعاليم الاسلام فى أداء الواجبات، واتقان العمل، وان نذهب للصلاة فى مواقيتها، وحين نبدأ الأكل نبدأ باسم الله، وحين ننتهى منه نقول: الحمد لله.. فإذا رآنا الطفل ونحن نفعل ذلك فسوف يفعله هو الآخر، حتى وان لم نتحدث إليه فى هذه الأمور.. فالفعل أهم من الكلام.

وقال الشيخ: أم الأولاد الله يرحمها كانت تحكى لى عن كل شيء

يجرى يوميا.. كانت تحكى لى عند عودتى وهى تخلع لى هدومى.. وكنت إذا غضبت من تصرف أحد الأولاد.. كنت أقول لها: «هاتى الغدا بره.. أو ضعيه فى الغرفة الآخرى» لأننى لا أريد أن آكل مع الأولاد.. فيأتى الأولاد ويسألون: لماذا لا تأكل معنا؟ فكنت أقول: لا آكل معكم وفيكم ولد بيعمل كذا وكذا، اننى أريد أن آكل وحدى علشان ربنا ميعاقبنيش بسببكم! فيأتون ويأخذون فى تقبيل يدى ورجلى.. وأخيرا أقبل اعتذارهم، وأجلس آكل معهم..

وقال الشيخ: كان يأتينى ناس من «المجاذيب».. وكان عندى ولد من أولادى «نفسه وحشة شوية» كان يقرف منهم.. وفى مرة وقف على الباب ومنع واحداً منهم من الدخول، وعرفت بذلك فغضبت.. عرفت ذلك من أمه.

وبعد يومين ربنا رزقنا بواحد منهم.. واحد من «المجاذيب».. فقلت له: أهلا وسهلا.. ورحبت به.. وناديت على «أم سامى» التى هى زوجتى وقلت لها «جهزى غيارين من بتوعى فى الحمام».. وأدخلته الحمام.. وعندما شاهدنى الولد «اللى كانت نفسه وحشة وبيقرف منهم» وأنا أفعل ذلك مع الرجل المجذوب.. انتظره حتى خرج من الحمام وأخذ يقبل يده.. ومن يومها وهو لايرى «مجذوبا» إلا قبل يده!

●●●

سؤال: عفوا فضيلة الشيخ.. تقول إنك تزوجت وأنت طالب بالمعهد الأزهرى الابتدائى.. وأصبحت أبا وعندك أولاد.. فكيف كنت تدبر أمور معيشتك؟

قال الشيخ الشعراوى: لقد عانيت كثيرا.. عانيت وأنا طالب أزهرى.. وعانى معى والدى الذى تحمل كل شىء وبكل الرضا.. وحتى بعد أن تخرجت فى الأزهر وعملت مدرسا بمعهد طنطا الدينى.. كانت معاناتى أشد، لأن الأولاد كانوا قد كبروا، وزادت الأعباء.

لقد تخرجت في كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤١.

وحصلت على أجازة التدريس عام ١٩٤٣.. وتقدمت لمسابقة التعيين وطلعت الأول في المسابقة..وعينت مدرسا بمعهد طنطا الأزهري. وكان مرتبي عند التعيين عشرة جنيهات.. وكنت أسكن في بيت إيجاره ٢ جنيه!

ولم تكن الجنيهات الثمانية الباقية تكفي لسد حاجتي أنا والأولاد..

ولذلك كانت معاناتي شديدة كما قلت..

●●●

ويحكي الشيخ عن أيام الشدة والضيق التي عاشها بعد التخرج في الأزهر والعمل مدرسا بمعهد طنطا الأزهري بمرتب عشرة جنيهات!

يقول: كان لي صديق في بلدنا دقادوس اسمه محمد حسنين.. كان صاحب مطعم.. وكان يمدني بكل ما احتاجه من مال على سبيل الدين.. وإن كان هو لا يعتبره دينا بحكم ما بيننا من صداقة وطيدة..

كنت أقترض منه شهريا بعض المال لسد احتياجاتي. وتراكم الدين حتى أصبح المبلغ ٣٥٥ جنيها، وهو مبلغ كبير بحساب ذلك الوقت.

وحدث أن أعلنوا في سنة ١٩٤٨ عن بعثة من الأزهر للعمل بالسودان.. وكان من الممكن أن أسافر ضمن هذه البعثة، لكن صديقي محمد حسنين أقنعني بأن السفر في هذه البعثة لا يساوي ولا يستحق الغربة فصرفت النظر عنها.

وبمرور الأيام اشتدت معاناتي.. وازداد قلقي.

وحدث ذات ليلة أن جافاني النوم.. وجلست مهموما أفكر.

ولاحظت أمي أنني سهران على غير العادة.. وأن قلقي وهمومي انعكسا على وجهي.. فاقتربت مني وربتت على كتفي وقالت في حنو بالغ:

— مالك يا ابني؟.. لماذا أنت سهران؟ لماذا لا تذهب وتنام؟

فقلت لها وأنا حزين:

— الهموم كثيرة يا أمه.. تعبان.. وقلقان.. والمعيشة صعبة.. والعيال عايزة مصروف.. والديون زادت عليه..

وصعبت عليها.. فطبطبت على.. وقالت فى حنان:

— يا ابنى أنت لك رب اسمه الكريم.. قوم نام.. وأنا حادعى لك..
وقمت.. ونمت..

وفى الصباح جاءت أمى لتوقظنى وهى تناديني بصوت مفعم بالفرحة:

— قوم يا ابنى.. قوم..

فقلت لها:

— خير يا أمه؟

قالت:

— أنا رأيت لك فى المنام «رؤيا» حلوة..

قلت:

— خير إن شاء الله..

قالت:

— رأيتك وأنت شايل «قفة» مليانة فلوس!

قلت لها وأنا أضحك:

— ايه التخريف ده.. هى الفلوس بتتشال فى قفة؟!

قالت فى استنكار من ردى عليها:

— هى «الرؤيا» فيها كدب..! أيوه «قفة» مليانة فلوس!

وضحكت وقلت لها:

— طيب يا أمه.. كتر خيرك.

ويشاء الله أن تتحقق هذه الرؤيا بعد ذلك، وأن أدخل على أمى وأنا أحمل «قفة فلوس»!

وأقول لك الحكاية.

●●●

حدث أن تغير شيخ الأزهر.. خرج الشيخ عبدالمجيد سليم.. وجاء الشيخ حمروش ليتولى مشيخة الأزهر.

وكان الشيخ حمروش أستاذي وشيخ معهدي.

وكان واجبا علىّ أن أذهب وأهنيء الشيخ وأتمنى له التوفيق في مهمته الجليلة كشيخ للأزهر الشريف.

وسافرت إلى القاهرة والتقيت بصديق وذهبنا معا لزيارة الشيخ حمروش وتهنئته..

واستقبلنا الشيخ حمروش بروحه الطيبة.. وكان كريما في ترحابه بنا..

لم يكن الشيخ حمروش وحده عندما دخلنا لتهنئته.. كان معه مجموعة من الأزهريين الذين لهم طموحات وآمال في الحصول على مناصب مرموقة في الأزهر بعد أن تولى الشيخ حمروش.. ولذلك أحاطوا به والتفوا من حوله فور اختياره شيخا للأزهر!

وبعد أن انتهينا من تقديم التهنئة أشرت إلى صديقي لكي نستأذن من الشيخ وننصرف.

لكن الشيخ أشار لي بأن أبقى.. ووجه كلامه إلىّ على مرأى ومسمع من الحاضرين.

سألني الشيخ حمروش: أنت شغال في طنطا يا شيخ شعراوي؟

قلت: نعم مولانا.

قال: إيه رأيك.. تشتغل معانا هنا.

وأضاف:

— وبلاش طنطا؟

قلت: هذا شرف كبير لي يامولانا.. شرف كبير أن أعمل مع أستاذي وشيخي الجليل.

وقال الشيخ الشعراوي: انه انصرف مع صديقه.. ولم ينشغل كثيرا بما قاله الشيخ حمروش.. وترك ذلك لما يراه ولما مايتخذه من قرارات.. وعاد إلى طنطا.

وبعد أيام فوجيء بالشيخ حمروش شيخ الأزهر يستدعيه..

وذهب إلى القاهرة وقابل الشيخ حمروش وفى ظنه أنه سيسند إليه عملا قريبا منه.. لكنه فوجيء به يعرض عليه السفر إلى السعودية للعمل هناك فى كلية الشريعة التى أنشئت حديثا فى مكة المكرمة!

كان ذلك عام ١٩٥٠

وكانت السعودية قد انشأت كلية الشريعة.. وأرسلت إلى الأزهر تطلب ترشيح عشرة للعمل بالتدريس بالكلية واختار الأزهر العشرة ومن بينهم الشيخ الشعراوى.

وقال الشيخ الشعراوى: فوجئت بالشيخ حمروش يقول لى:

ـــ ياوله.. تروح مكة..

فقلت: بيقولوا المعيشة هناك صعبة يامولانا.

قال: ياوله.. مفيش حد تعرض عليه مكة ويرفضها.. سافر.. واعمل عمرة..وان عجبك الحال اقعد.. وإذا لم يعجبك أرجع.

ومضى الشيخ الشعراوى يقول: وخرجت من عند الشيخ حمروش وأنا غير مستريح.. ولم أكن قد اتخذت قرارى بعد..

وقال الشيخ: لقد تبينت لى الحقيقة بعد ذلك.. وكانت مفزعة!

فالذين رشحونى للسفر للسعودية للعمل فى كلية الشريعة لم يكن قصدهم صالحى.. وإنما «ابعادى» عن شيخ الأزهر! عندما عرفوا أنه يريد أن ينقلنى من طنطا للعمل فى مكتبه أو فى موقع متميز قريب منه!

وقال الشيخ: كانت مؤامرة ضدى.. والذين دبروا هذه المؤامرة هم الأزهريون الذين أحاطوا بالشيخ حمروش للحصول على المناصب وتوزيعها فيما بينهم! وسد الطريق على أى شخص يتخوفون من اقترابه منه!

وبالتعبير الشائع على لسان أولاد البلد يقول الشيخ الشعراوى:

ـــ المشايخ اللى كانوا بيدوروا على المناصب، وبيتصارعوا عليها قالوا

الشعراوى «قب» خلاص! ظهر فى الصورة.. ولازم نفرمله ونبعده عن الشيخ وعن الأزهر.

واتفقوا .. ودبروا المؤامرة من وراء ظهر الشيخ حمروش.. و«طبخوها» فى ادارة البعوث.. وحطوا اسمى ضمن العشرة.. وقالوا للشيخ حمروش ان أنا محظوظ.. وان وضع اسمى ضمن العشرة هو مكافأة لى.. واقتنع الشيخ حمروش بذلك! واندهش عندما وجدنى غير متحمس للسفر.. وقال: «إذا لم تعجبك ياوله.. أعمل عمرة.. وقول لهم سلامو عليكم وارجع»!

وقال الشيخ: انه عاد إلى طنطا مهموما حزينا.. وظل طوال الطريق يفكر ويسترجع ما جرى.. لقد تعرض للتآمر مرتين من الحاقدين.. المرة الأولى كانت عندما عمل بعض كبار الوفديين على ابعاده عن الرجل الطيب النحاس باشا زعيم الوفد! والثانية عندما عمل المشايخ الأزهريون الطامعون فى المناصب على ابعاده عن الشيخ حمروش شيخ الأزهر!

يقول الشيخ : وصلت إلى طنطا وفى اليوم التالى سافرت إلى بلدنا «دقادوس».. والتقيت بصديقى محمد حسنين وحكيت له ماجرى من ترشيحى للسفر إلى مكة للعمل فى كلية الشريعة.. فقال لى:

— ياشيخ شعراوى .. مكة لا ترد ! سافر على بركة الله..

وقال الشيخ : انه اقتنع برأى صديقه محمد حسنين.. وكتب له «توكيلا» بصرف مرتبه.. على أن يخصم منه كل شهر بعضا من «الدين» الذى يستحقه عنده.. وأن يعطى الباقى للأولاد!

ويمضى الشيخ فى روايته فيقول : ذهبت إلى أبى وأمى وشرحت لهما موضوع السفر.. واننى سوف أسافر وحدى.. فقال أبى:

— على بركة الله .. وخذ معك أمك..

— فضحكت وقلت له:

— اشمعنى أمى ؟! أنت زهقت منها؟! تكونشى شايف لك شوفة.. وعايزنى أبعدها علشان توسع لك السكة!

قال : يابنى نفسها تشوف مكة المكرمة وتزور قبر الحبيب المصطفى..

قلت . حاضر يابا.. وأشيلك فوق دماغى يا أمه!

وقال الشيخ الشعراوى: وسافرت ومعى أمى إلى مكة المكرمة.. سافرت سنة ١٩٥٠.

وشاء الله أن يكون سفرى خيرا.

كانت السعودية فى ذلك الوقت تتعامل بالنقد «الحجرى» يعنى الفضة والذهب.. وليس بالفلوس الورق.

وكان كل مبعوث يعطى دفعة واحدة مرتب ثلاثة شهور.. والمرتب ثلاثة أضعاف المرتب الذى يحصل عليه فى مصر.. ويضربون حاصل الجمع فى ١٤ ريالا.. ويضيفون إلى جانب ذلك مرتب ثلاثة شهور هى أجرة السكن مقدما..

وعندما ذهبت لصرف هذا المبلغ من الخزينة.. فوجئت بأن المبلغ عبارة عن فلوس فضة.. وأنه موضوع فى «شيكارة».. والشيكارة كبيرة وثقيلة!

ووجدت عند الخزينة صديق اسمه الشافعى كان يعمل بالسعودية وكان يعرف كل شىء هناك.. ولاحظ دهشتى واستغرابى عندما سمعت موظف الخزينة يقول لى وهو يشير إلى «شيكارة الفلوس» :

ـــ هذا هو المبلغ.. شوف لك «تكرورى».

فقلت متسائلا: «تكرورى»؟.. يعنى ايه «تكرورى»؟

فرد صديقى المصرى موضحا: تكرورى.. يعنى «شيال».. يعنى تروح تشوف «شيال» علشان يشيل لك «شيكارة الفلوس»!

وقال صديقى المصرى: إنه سيذهب وينادى على «تكرورى» من الشارع. وغاب دقائق ثم عاد ومعه «تكرورى»! شيال وفى يده «قفة»!

وقال لى الصديق المصرى: التكرورى الذى يأتى للخزينة معه عادة «قفة» لكى يفرغ فيها «شكاير الفلوس» ويحملها ليوصلها مع صاحبها إلى العنوان الذى يريد!

وتناول التكروري شيكارة الفلوس الخاصة بي.. وأفرغها في «القفة» وحملها على كتفه.. وقال:

— اتفضل يا شيخ.

ومشيت ومعي التكروري.. إلى أن وصلت إلى باب البيت الذي أسكنه..

وتناولت «القفة» منه وأعطيته أجره وشكرته..

ودخلت «بالقفة» إلى البيت.. وناديت على أمي:

— يا أمه.. يا أمه..

فجاءت.. ووضعت «القفة» أمامها.

وقلت:

— شايفة «القفة» دي يا أمه؟

قالت:

— شايفة يا ابني.

وسألتني:

— القفة دي فيها أيه؟

قلت:

— فلوس!

وكشفت لها عن الفلوس.. وقلت:

— فاكرة يا أمه؟!.. فاكرة «الحلم» بتاعك.. فاكرة «الرؤيا» بتاعتك ليلة ماكنت تعبان وزهقان وقلقان وباشكي لك من المعيشة الصعبة؟!

قالت:

— فاكرة يا ابني.. يوم ماقلت لك اني رأيتك في المنام وأنت شايل «قفة فلوس»!

قلت:

— آدي القفة.. وآدي الفلوس!

وابتسمت أمي.. وأضاءت وجهها الابتسامة..

وأخذت يدها.. وقبلتها.

الشعراوى الذى لا نعرفه



ملامح شخصية

طول عمرى .. أطبخ وأغسل لنفسى !

- بدأت التدخين خوفا من الكوليرا .. وتوقفت بعد ٤٠ سنة تدخين !
- كنت عاشقا للجبة والقفطان والعمامة .. ومشهورا « بالإناقة » !
- أيام الشباب كانت العصا «للعياقة».. والآن للضرورة



يواصل الشيخ الشعراوى حديثه عن حياته الخاصة .

وكل ما يقوله الشيخ عن حياته الخاصة ، يوضح الكثير من ملامح شخصيته، ويكشف عن الوجه الآخر الذى لانعرفه!

لا أحد يعرف، مثلا، أن الشيخ الشعراوى عاش عمره يخدم نفسه بنفسه !

فهو الذى يطبخ لنفسه.. وهو الذى يغسل ملابسه.

حتى وهو فى هذه السن، وهذه المرحلة من العمر ، لايزال «يطبخ ويغسل»!

هكذا يقول، وهكذا يبدو لمن يعرفه عن قرب، وهم قليلون جدا.

وليس «الطبيخ والغسيل» الذى يتكلم عنه الشيخ فى سياق حديثه عن الحياة الخاصة التى يحياها فى بيته الكبير بالهرم.. فهو يحكى أيضا عن عادة التدخين التى لازمته أكثر من أربعين سنةووصلت به إلى حد الادمان، ثم أقلع عنها، وبعدها بدأت حساسية الصدر التى يعانى منها الآن!

كيف أقبل على تدخين السجاير خوفا من «الكوليرا».. وكيف أقلع عنها بعد أن سمع أحد أصدقائه يدعو الله وهو يطوف حول الكعبة أن يخلص الشعراوى من التدخين ؟

أيضا يحكى الشيخ عن «الأناقة» فى ارتداء الزى الأزهرى! الجبة

والقفطان والعمامة، وكيف كان حريصا على هذه «الأناقة» التى كان معروفا بها بين زملائه وأصحابه!

وكذلك «العصاية» التى كانت من لزوم «العياقة»!

وقد لايعرف أحد أن الشيخ الشعراوى عنده أكثر من مائة عصا! وبعض هذه «العصى» يرجع إلى أيام أن كان طالبا بالأزهر !

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يحدثنى عن هذه الهواية ويقول: «زمان كانت العصا للعياقة والآن للضرورة»!

فلنصغ للشيخ وهو يبوح بأسرار حياته الخاصة.

فى بيته الكبير بالهرم يمشى الشيخ «حافيا»! هكذا رأيته دائما.. بالطاقية البيضاء، ونفس الجلابية التى اعتاد جمهور التليفزيون من محبى الشيخ الشعراوى ومريديه ودراويشه أيضا، أن يروه بهما وهو يلقى دروسه وعظاته وخواطره حول القرآن الكريم .

حياة بسيطة جدا يعيشها الشيخ رغم فخامة البيت الذى يحتوى فى تجهيزه على كل ما هو عصرى!

وهو لايحلو له الجلوس إلا على الأرض.

عن هذه الحياة وهذا البيت وهذا الجانب الخاص يواصل الشيخ روايته.

يقول : عندما بنيت هذا البيت حرصت على أن أجعل فيه مكانا خاصا بالصلاة وهو هذا المكان.. انه مسجد صغير داخل البيت لكن الخطأ الذى وقعنا فيه هو أننا عملنا الأرضية بالرخام.. وحطينا فوقها موكيت وسجاد.. كان المفروض أن نعملها بالبلاط العادى مادامت ستفرش بالموكيت.. لكن الذى حدث قد حدث.. وكل أصدقائى الذين يأتون إلى هنا ويجلسون معى فى هذا المكان عملوا مثله فى بيوتهم .. وانتشرت الفكرة بالنسبة لأصدقائهم أيضا.

وقال الشيخ : فى كثير من البيوت يحرص أهلها على تخصيص

غرفة للضيوف ويهتمون بهذه الغرفة وبتأثيثها اهتماما كبيرا بحيث تصبح أفضل وأحسن غرفة فى البيت.. ولكن قد تمضى السنة دون أن يدخلها ضيف واحد! فلماذا لانحولها إلى مكان للصلاة.. ونستقبل فى هذا المكان ضيوفنا بكل الترحاب! ونقضى فيه وقتنا عندما نكون فى البيت؟

وأضاف : عندما كنت أسكن فى حى الحسين .. كنت أخصص أيضا مكانا فى البيت للصلاة.. وقد تركت بيتى فى الحسين عندما وجدت نفسى متعبا وغير قادر على صعود السلالم .. وقد اقترح أحد أصدقائى أن نعمل «أسانسير» فى البيت.. لكن المعماريين قالوا ان هذا غير ممكن.. لأن البيت ضيق.. ولايحتمل عمل اسانسير.. فانتقلت بعد ذلك إلى هذا البيت .

وقال الشيخ : ان الذى اختار لى هذا الموقع هو صديق لى اسمه محمد عارف .

وقد جاء أولادى وقعدوا معى فى هذا البيت .. كان أولادى مشتتين هنا وهناك .. فقلت لهم تعالوا واقعدوا معى .

●●●

سؤال : وهم الذين يقومون بخدمتك الآن ؟

قال : هم يتمنون ذلك.. ولكنى تعودت طول عمرى أن أخدم نفسى بنفسى.

أنا الذى أطهو طعامى .

وأنا الذى أغسل ملابسى.. هكذا تعودت .

وأولادى كما قلت، يسعدهم جدا أن يقوموا على خدمتى .. ولكن هكذا تعودت..

هناك حكمة كنت أقولها لأولادى وأرددها كثيراً وهى: «من بر غير آبائه.. بره غير أبنائه»..

ولكنني عشت طول عمري لاأنتظر من أولادي شيئا.. وهم من جانبهم يودون أن يفعلوا أي شيء لخدمتي.. ولكني تعودت خدمة نفسي بنفسي.

وقال الشيخ : انني أطهو طعامي بنفسي.. وعندما «أطبخ» حاجة حلوة.. أرسل بعضا منها لأولادي.

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يقول : طبعا أول حاجة اتعلمت «اطبخها» وكان هذا من زمان أيام كنت طالبا بالأزهر.. كانت أول حاجة «الفول النابت» كنت خبيرا فى عمل الفول النابت.. وبعدها دخلت على «العدس».. وبعد العدس دخلت على صينية السمك «الصيادية»..

سؤال : كان هذا أيام زمان!! فماذا عن الآن؟

قال : ولغاية النهاردة أطبخ حاجتى بنفسى.

ونادى على صبى صغير :

— يا واد يا أحمد .. يا وله ؟

وجاء أحمد ، تسبقه اجابته :

— نعم يا مولانا .

قال الشيخ يسأله : مين اللى عمل الأكل امبارح ؟

— انت يا مولانا.

قال الشيخ : وصالحة جابت ايه معاها من السعودية ؟ (وصالحة هي بنت الشيخ)

— جابت ملابس.

قال الشيخ : وايه تانى ؟

— جابت سكاكين.. وحاجات للمطبخ..

قال الشيخ : ومين اللى أكل معانا ؟

— الحرس اللى قاعدين بره.

وانصرف الصبي ..

وقال الشيخ : أنا تعودت أن أخدم نفسي.. زمان كنت أدخن السجاير بكثرة.. وكنت «أكح كثيرا».. وكنت أخفي مناديلي.. ثم أجمعها وأغسلها بنفسي وأنشرها.. وكانت «عيالي» تزعل وتقول: «واحنا قاعدين نعمل ايه؟» وكنت أقول لهم هذا شأني .. لاتزعلوا مني.

سؤال : على ذكر السجاير والتدخين .. متى عرف الشيخ السجاير؟.. متى بدأ التدخين ؟

قال الشيخ : حدث هذا في سنة ٤٧ على ما أذكر .. وكان وباء الكوليرا قد أجتاح مصر في تلك السنة.. وسمعت وقتها أن «أكل البصل والتدخين» يحميان من الكوليرا.. فأقبلت على «البصل والتدخين».. وانتهت الكوليرا واختفت لكنني لم أتوقف عن «البصل والتدخين»!..

وانتهى دور البصل بعد ذلك. وبقي التدخين.. كنت أدخن كثيرا .. أكثر من خمسين سيجارة في اليوم.

وكنت «أكح» كثيرا..

وكان لى صديق رحمة الله عليه وهو الدكتور سيد جلال .. كان يحبني كثيرا.. وكنت عندما أجلس معه يلاحظ انني «أكح» بصورة مزعجة..

كان هو يدخن «السيجار».. وكنت أنا أدخن «السجاير».

وكان يقول لى : يا شيخ شعراوى لازم تبطل «السجاير .

فكنت أقول له : وانت كمان لازم تبطل «السيجار»..

فكان يرد ويقول : أنا لا «أكح».. والسيجار الذي ادخنه مصنوع من أنقى أنواع الدخان.. أما السجاير فهي مصنوعة من الدخان الأقل نقاوة.. وهي في مصر من أردأ أنواع الدخان.. هذا بالاضافة إلى انها ملفوفة بورق من «النشاء».. والنشاء من أخطر المواد تأثيرا على الصدر.. فالسجاير أكثر لعنة من السيجار.. وأكثر ضررا.. وإذا كنت أنا «لاأكح» فليس معنى ذلك أن السيجار لايسبب «الكحة».. وانما قد يرجع ذلك إلى ان عندى «شوية عافية».. ولكن الضرر قائم ويتزايد.

ويضيف الشيخ الشعراوى : وحدث بعد ذلك أن التقينا فى السعودية أنا وصديقى الدكتور سيد جلال.. وذهبنا للطواف حول الكعبة.. وهناك.. عند الكعبة المشرفة.. أمسكنى سيد جلال من يدى وقال: «اللهم ان كانت لى دعوة مستجابة عند بيتك الحرام وفى الكعبة المشرفة فأجبها لى وهى أن «يتوقف» الشيخ الشعراوى عن التدخين وأن «يبطل الدخان» .

وقال الشيخ : لقد تأثرت كثيرا وأنا أسمع هذا الدعاء من صديقى الدكتور سيد جلال .

وبعدها مرضت.. فكرهت التدخين.. ولما عوفيت.. وجدتنى ليس لى رغبة فى التدخين.. فقلت لنفسى .. «لعل الدعوة قبلت»! وأن المرض الذى أصابنى قد أعطانى فترة لكى أمتنع فيها عن التدخين.

لكنى عدت وسألت نفسى: ما هو عمرى الآن؟ كم بلغت من العمر.. وكم يتبقى لى؟.. ولماذا أعذب نفسى فيما بقى لى؟ لماذا أعذب نفسى إذا كانت لى رغبة فى التدخين؟.. ووضعت علبة السجاير فى جيبى ومعها علبة الكبريت.. وظلت السجاير والكبريت فى جيبى لمدة سنة كاملة ولكنى لم أقربها.

وقال الشيخ : بعد أن تخلصت من هذه «البلوى».. من هذه العادة السيئة، عادة التدخين التى أتعبتنى كثيرًا، وأضرتنى كثيرا، بدأت أعانى من حساسية الصدر.

●●●

ويأتى الحديث عن «العصا».

ويقول الشيخ : عندى أكثر من مائة «عصا» أتوكأ عليها، وليس لى فيها مآرب أخرى!

هكذا قال الشيخ الشعراوى وهو يضحك من قلبه عندما أبديت له ملاحظتى وهى أنه يستخدم أكثر من «عصا».

وأضاف وهو يتحدث عن «معرض العصى» التى يقتنيها والذى يضم أكثر من مائة عصا: أنا أستعمل العصا منذ كنت طالبا بالأزهر.. وأقول لك : ان العصا على أيامنا كانت للعياقة!

وهذا الكلام من سبعين سنة.. وأنا طول عمرى أهتم «بهندامي».. وأحب أن يكون كل ما أرتديه مضبوطا وله ذوق.. يعنى «آخر شياكة» كما يقولون!

كنت أهتم بالعمامة، وشيلان العمامة، والقفطان، والجبة أو«الكاكولة» كما يقولون.. والجزمة.. وكذلك العصا.. لونها وشكلها وذوقها بحيث تتمشى مع «الطقم»!

لم أكن أتوكأ على العصا.. كنت أعلقها فى يدى!

وكان هذا ما يفعله كل الناس الذين يحبون «القيافة» فى ذلك الوقت. كانت ظاهرة موجودة.. ولم تكن «العصا» فقط.. كانت «المنشة» أيضا من لوازم «القيافة»!

كل الأعيان زمان كانوا يمسكون المنشة إلى جانب العصا.

وكان عندى أيضا مجموعة من «المنشات».. تقريبا ٢٠٠منشة!

لكن المنشة انقرضت واختفت فى أيدى الناس وبقيت العصا.. والذين تعودوا على العصا لايتركونها..

وقال الشيخ : وأعتقد أننا كنا نتعجل «الوقار» فى تلك الأيام البعيدة. وفى تلك المرحلة المبكرة من العمر! يعنى لم تكن الحكاية مجرد عياقة .

سؤال : من أين كان الشيخ يشترى «العصى والمنشات»؟

قال الشيخ : زمان كنت أشتريها من محل «العقاد» بالزقازيق.. كان المحل متخصصا فى بيع العصى والمنشات والسبح.. وكنت أنا من الزبائن المهمين للمحل .

سؤال : وهل كانت العصى تتشكل وتتغير حسب الموضة؟

قال الشيخ : العصى على أنواع.. هناك العصا الخرزان.. وهناك العصا التي هي عبارة عن عقلة واحدة . وهناك الأبنوس.. وهناك الخشب.. والخشب أنواع.. ومن هذه الأنواع خشب الورد.

وكذلك «يد» العصا.. فهى الأخرى على أشكال مختلفة .. فيها المعقوف وغير المعقوف، والمزخرف، وغير المزخرف .

وحتى الآن أشترى العصا التى تعجبنى.. وبعض أصحابى الذين يعرفون عنى اهتمامى باقتناء «العصى» التى لها ذوق، كانوا يشترونها لى .

وأشار الشيخ إلى أحد أصحابه وكان يجلس معنا قائلا : اللواء عطية الدسوقى اشترى لى «شوية عصيان» عندما كنت فى لندن للعلاج.. فاكر يا عطية ؟

ورد اللواء عطية الذى كان يرافق الشيخ فى رحلة علاجه فى لندن قائلا : فاكر يا مولانا.. لقد اشترينا «أربع عصيان» منها عصاية بعشرين جنيها استرلينيا! لكن حاجة معتبرة.

وقال الشيخ : أنا كنت أحب اعرف كل شىء عن أى مهنة.. وأسأل وأدقق وأهتم بكل التفاصيل..

وتساءل الشيخ : ألم أقل لك اننى أحدثت «تطويرا» فى الزى الأزهرى؟ كنت عاشقا للزى الأزهرى.. كنت عاشقا للعمامة وللجبة وللقفطان.

وكنت حريصا جدا ، ومهتما بأن يكون المظهر لائقا ونظيفا.. كل شىء مهندم.. يعنى موش «بهدلة» .

وكنت معروفا بين زملائى وأصدقائى بأننى «أنيق» فى ارتدائى للزى الأزهرى.

وقال : زمان.. كان القفطان مشقوقا.. وكانت الجبة مشقوقة.. وكان لما «الهوا» يشتد .. يفتح الجبة والقفطان .. فتظهر الملابس

الداخلية.. وتبقى الحكاية محرجة! يعنى منظر موش مقبول أبدا.. فأنا رحت للخياط وقلت له «لازم تخلى القفطان من تحت مقفول زى الجلابية .. ومن فوق مفتوح» وبذلك أصبح شكله من تحت «جلابية» ومن فوق قفطان.. وكنت استخدم «الحزام» فوق القفطان.. وبهذه الطريقة لم يكن هناك ما يحرج، حتى وإن تحول الهواء إلى عواصف!

ولما عملت هذه الحكاية شاعت وانتشرت بين المشايخ.

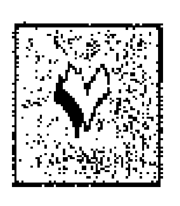
وقال الشيخ : الاهتمام بالهندام والملابس النظيفة والمظهر الطيب شىء مطلوب.. وأذكر اننى كتبت قصيدة فى هذا الموضوع وقلت فيها :

حسن كل لباس ترتديه
إن العرض تحلى بالشرف
هل يشين فى عيون الناس
أن يلبس اللؤلؤ ثوبا من صدف؟!

وأضاف الشيخ: ولما كنت أعمل بالسعودية وأشاهد أحد زملائى من المشايخ الذين هم معى فى البعثة، وقد أهمل ملابسه ومظهره، كنت أدعوه إلى بيتى.. فإن كان مقيما بمفرده، عرضت عليه أن يأتى بملابسه لكى نغسلها وننظفها له فى بيتى.. وإن كان معه عائلته فإننى أطلب منه أن يأتى ومعه زوجته.. وعندما تحضر الزوجة، أقوم بتعنيفها وتوبيخها.

وكانت الزوجات يتقبلن ذلك ويحرصن على الاهتمام بأزواجهن حتى يظهروا بالمظهر اللائق، فحسن المظهر أمر يخصنا جميعا .

الشعراوى الذى لانعرفه



حكايتى مع عبد الناصر

اتهمونى بقراءة « الفاتحة » فى « الكعبة » ضد الثورة

- أول لقاء مع عبد الناصر كان فى السعودية
- إقالة شيخ الأزهر.. لأنه لا يحب كلمة « الاشتراكية » !
- كنت على موعد مع عبد الناصر قبل وفاته
- فوجئت بترشيحى لتولى أمانة الفكر



●● ما هى حكاية الشيخ الشعراوى مع جمال عبدالناصر ؟

لماذا اتهموا الشيخ بأنه يقرأ «الفاتحة» فى «الكعبة» ضد الثورة ورجال العهد الجديد ؟

ولماذا تركوه بعد ٤٠ يوما من التحقيقات ؟

ما هى «الصورة» التى أنقذته هو ومجموعة المشايخ المتهمين معه بالعمل ضد الثورة ؟

وما الذى جعل جمال سالم يصدر تعليماته إلى وكيل النيابة بإخلاء سبيل الشيخ الشعراوى ويقول : «خلاص.. اتركوا ابن الكلب يمشى»؟!

أيضا لماذا كانت صلاة الشكر يوم الهزيمة الكبرى ؟ ! لماذا سجد الشيخ الشعراوى لله شاكرا يوم الهزيمة ، بينما القلوب تدمى من جراحها وجراح الوطن ؟!

إن الشيخ يضع الإجابة على تلك التساؤلات فى سياق هذه المواجهة التى تدور حول حكاية الشيخ مع عبدالناصر ، كاشفا الكثير من الأسرار والخفايا .

أين التقى الشيخ الشعراوى بعبدالناصر لأول مرة ؟

وما الذى جرى بينهما فى هذا اللقاء ؟

كيف غاب شيخ الأزهر عن مكتبه عندما طلبوا منه أن يجمع العلماء ليقرروا «تحديد النسل» وقال: «أنا عيان» ؟! ..

وكيف أعفى شيخ الأزهر من منصبه لأنه قال: انه لا يحب سماع كلمة الاشتراكية ؟!

وتأتى حكاية الشيخ الشعراوى مع عبدالناصر .

تلك الحكاية التى تحيطها أكثر من علامة استفهام .

متى رأى الشيخ عبدالناصر لأول مرة ؟ وفى أى مكان ؟

كان هذا هو السؤال الأول ..

وبذاكرته القوية ، يعبر الشيخ السنين إلى الوراء ، ويتذكر ، ويروى:

قال الشيخ : عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كنت أعمل فى السعودية أستاذا بكلية الشريعة فى مكة المكرمة .

كنت أعمل هناك من قبل أن تقوم الثورة بعامين .

وهناك ، بعد عام من الثورة ، رأيت جمال عبدالناصر والتقيت به ..

كان ذلك فى سنة ١٩٥٣ .

وكان عبدالناصر قد جاء إلى السعودية للعزاء فى وفاة الملك عبدالعزيز آل سعود .. لم يكن وحده .. كان معه كمال الدين حسين وسليمان حافظ .

وكنت وقتها أعتبر «لسان المصريين» فى السعودية .. فمن قبل أن تقوم الثورة ، ومنذ ذهبت للعمل فى السعودية ، كنت أحضر الاستقبالات وبعض المقابلات الرسمية وأشارك فى الاحتفالات وأتكلم وألقى القصائد باعتبارى شخصية مصرية .. ولذلك كانوا يعتبروننى «لسان المصريين» هناك .

وعند حضور عبدالناصر للسعودية للعزاء ومعه كمال الدين حسين وسليمان حافظ .. دعيت من قبل السفارة المصرية لكى أكون فى استقبالهم .

كان عبدالناصر وقتها هو «البكباشى» جمال عبدالناصر .

ولم أجد فى نفسى رغبة فى الذهاب إليهم .. فعندما قامت الثورة استبشرت بها خيرا وقلت فيها شعرا وتصورت أنها قامت لكى تأتى بالرجل الطيب النحاس باشا ليتولى الحكم .. لكن تبين لى أن الذين

قاموا بها يريدون أن يحكموا هم بأنفسهم ، ولذلك أخذت أتحسب الأمور .. ومن هنا لم أجد فى نفسى رغبة فى الذهاب عندما دعيت لأكون فى استقبال البكباشى جمال عبدالناصر والصاغ كمال الدين حسين وسليمان حافظ عند حضورهم إلى جدة .. وقلت معتذرا :

— اعفونى لأننى تعبان !

لكن زميلى فى البعثة الشيخ عبدالمعطى الكحكى قال لى : كيف تعتذر إنك تتكلم فى كل مناسبة وتشارك فى كل حفلة عن مصر .. فكيف إذا جاء جمال عبدالناصر تعتذر وتقول اعفونى ! .. أنت بذلك ستجر على نفسك المتاعب ووجع الدماغ .

ونصحنى الشيخ الكحكى بأن أذهب .

وأخذت بالنصيحة .. وذهبت .

ذهبت من مكة إلى جدة .. وكنت فى استقبال جمال عبدالناصر .

●●●

ويمضى الشيخ الشعراوى فى روايته عن أول لقاء لسه مع عبدالناصر فى السفارة المصرية .. يقول : عندما دخلت كان هناك عبدالناصر وكمال الدين حسين وسليمان حافظ والسفير المصرى .. ولم أجد مكانا أجلس فيه إلا على الكنبة ما بين عبدالناصر وكمال الدين حسين .

وقعدنا نتكلم .. وقلت كلمة ترحيب بعبدالناصر والذين كانوا معه .

وجاء بعض مصورى الصحف والتقطوا لنا صورا .. صورونى وأنا جالس ما بين جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين .

وفى اليوم التالى نشرت الصحف السعودية الصور وتكلمت عن الوفد المصرى الذى حضر للتعزية .. ونشرت صورتى وأنا جالس مع عبدالناصر وكمال الدين حسين .. وقالت كلاما طيبا عن استقبالنا لعبدالناصر .. ونسبت بعض هذا الكلام الطيب لى .

وأذكر أن صحيفة مصرية نشرت صورتى وأنا مع عبدالناصر

وكمال الدين حسين فى هذه المناسبة وقالت اننى ألقيت كلمة تحية لعبدالناصر ، وكانت هذه الصحيفة يملكها الأستاذ محمد على غريب ، وكان اسمها «ابن البلد» على ما أظن .

وأضاف الشيخ : وأذكر أيضا أن جمال عبدالناصر بعد أن استمع إلى كلمة الترحيب به وبمن معه .. أذكر انه قال لى : لما تيجى مصر ياشيخ شعراوى .. نبقى نشوفك .

فقلت له «طيب وحاضر» وشكرته وتمنيت لهم التوفيق .

●●●

وفى نهاية السنة الدراسية .. فى الأجازة .. جئت إلى مصر لأقضى أجازتى مع أولادى كما تعودت .

وفوجئت بعد وصولى بأننى مطلوب للتحقيق ! وأننى متهم !

لم أكن وحدى الذى استدعيت للتحقيق .

كان معى ثمانية من المشايخ وهم بعض زملائى فى البعثة الأزهرية التى كانت تعمل بالسعودية .

ثم جاءوا بشيخ الأزهر أيضا للتحقيق معه فى قضيتنا .. وهو الشيخ عبدالرحمن تاج !

ما هى تهمتنا ؟ ما هى جريمتنا ؟

قالوا اننا ضد الثورة .. ضد العهد الجديد !

قلنا : ما الذى فعلناه ضد الثورة ؟ وضد العهد الجديد ؟

قالوا : انكم تقرأون «الفاتحة» فى «الكعبة المشرفة» ضد الثورة .. وضد العهد الجديد .

قلنا : إذا كانت هذه هى «جريمتنا» والتهمة الموجهة إلينا كأعضاء فى البعثة الأزهرية التى تعمل فى السعودية .. فما هى «جريمة» شيخ الأزهر الشيخ تاج ؟ الذى يجرى التحقيق معه هو الآخر ؟

قالوا : لأن الشيخ تاج هو الذى يوافق على عملكم فى السعودية .. وهو الذى يختاركم .. وهو لا يختار إلا المشايخ الكارهين للثورة الذين

يعملون ضد العهد الجديد ! ويقرأون «الفاتحة» ضد الثورة فى «الكعبة المشرفة»! وأنت أولهم !

ويضيف الشيخ الشعراوى : وهكذا اتهمتنا مخابرات الثورة .. مخابرات عبدالناصر !

اتهمتنا بأننا نقرأ «الفاتحة» فى الكعبة المشرفة .. فى بيت الله الحرام.. ضد الثورة والعهد الجديد !

وهلكونا فى التحقيق ! أربعون يوما .. ودوخونا السبع دوخات !

كان الذى يحقق معنا وكيل نيابة اسمه سامى الأتربى .. وكان أبوه «وفديا» وكنت أعرفه .. وكان يريد أن يساعدنا فى محنتنا ولكنه كان مقيدا .

قلت له بعد أن تعبنا وهلكنا من التحقيق : إننا لم نرتكب جريمة قتل .. وحتى لو كانت جريمة قتل لكان التحقيق فيها قد انتهى !

فرد قائلا : إن ما هو منسوب إليكم أشد من القتل .. فأنتم ضد الثورة !

●●●

وقال الشيخ الشعراوى : كان من «المتهمين» معنا بقراءة «الفاتحة» ضد الثورة فى «الكعبة» الشيخ أبو طالب شاهين وهو رجل طيب وصالح ، ولايزال على قيد الحياة ، أطال الله فى عمره .

وجاءنى الشيخ أبو طالب وقال لى :

— باقول لك إيه يا شيخ شعراوى ؟

قلت : نعم يا مولانا ؟

قال : انت تقدر تخلصنا من «المصيبة» دى !

قلت : إزاى ؟ أعمل إيه ؟

قال : إنت فاكر يوم ما جاء عبدالناصر للسعودية علشان العزاء ..؟

قلت : فاكر كويس !

قال : إنت قابلت عبدالناصر واتصورت معاه .. والجرائد نشرت

الصـورة .. وكتبت الكلام الطيب اللى انت قلتـه عنه وعن الجماعـة اللى كانوا معاه .. فاكر الحكاية دى ؟

قلت : فاكر .

قال : لـو تقدر تجيب الجرايـد دى .. وتقدمهـا لهم .. يمكن يغيروا رأيهم ويعتقونا لوجه الله !

قلت : فعلا فكرة .. نحاول وجايز تنفع !

وطلبت من ابنى «سـامى» وهو أكبر أولادى أن يبحث عن الجرايـد التى نشرت الصـورة والكـلام .. وكـان ابنى مهتما بمثل هـذه الأوراق التى تخصنى وكان يحتفظ بها عادة .

وسافـر ابنى إلى بلدنا .. إلى دقادوس وأخـذ يبحث عن هذه الجرائد وقدمتها لوكيل النيابة «سـامى الأتربى» .. وقلت له :

— كيف تتهموننـا بأننا نعمل ضـد الثورة .. واننا نقـرأ «الفاتحة» ضد العهـد الجديد فى «الكعبة» .. مـع أن صـورنا منشـورة فى الجرايد مع جمال عبدالناصر عندما جـاء إلى السعودية هو وكمال الدين حسين وسليمان حـافظ .. والجرايـد كتبت اننـا استقبلنـاه استقبـالا طيبـا .. وتكلمنا أمامه كلاما طيبا .. وتمنينا لهم التوفيق ؟!

وتناول وكيل النيـابة الجرايد فى دهشة .. ورأى الصـور والكلام .. فارتـدى «الجاكيت» التى كـان يضعها على مقعد مجاور .. وخـرج من المكتب مسرعـا ومعه الجرائد وذهب إلى جمال سـالم الذى كان يتـابع التحقيقات معنا ، وقدم له الجرائد .

ورأى جمال سـالم الجرائد .. فقال لوكيل النيابة سامى الأتربى :

— وابن الكلب ده (يقصـدنى أنـا) لما صـورتـه اتنشرت مع جمال عبدالناصر فى السعودية وقال الكلام المكتوب ده عن الثورة ورجالها .. ساكت ليه ؟! روح خللى ابن الكلب ده يمشى هو والمشايخ اللى معاه .. وكفاية عليهم كده !

ويقول الشعراوى : وأفرجوا عنا .

ويضيف ضاحكا : اتشتمنا زى بعضه .. لكن خرجنا وسابونا بعد ما هلكونا تحقيق .. وحمدنا ربنا ان الحكاية انتهت لغاية كده .

ويقول الشعراوى : كان جمال سالم معروفا بأن لسانه «وحش» . وانه شتام .. والناس لا تنسى له انه عندما كان يرأس محكمة الثورة كان يشتم كل من يقف أمامه ويسخر منه .. ووصلت به السخرية والاستهزاء إلى حد انه طلب من أحد المتهمين قراءة الفاتحة بالمقلوب !

ويضيف الشعراوى : ويشاء الله أن يتسوب على هذا الشتام فى أخريات أيامه أو هكذا سمعنا .. فقد رأيته جالسا منكسرا فى الحرم الشريف .. وقد ذكر لى أحد أصدقائى وكان يتردد عليه فى أخريات أيامه .. ذكر لى أنه ذهب يوما لزيارته فوجده يقف يؤذن لصلاة العصر .. فقال له: «لماذا تؤذن للصلاة وأنت هنا وحدك فى البيت ؟» فرد عليه جمال سالم وهو يستغفر الله وقال له إنه ليس وحده فى البيت .. فهناك الطباخ وهو يؤذن لكى يسمعه فيأتى لإقامة الصلاة !

●●●

ويذكر الشيخ الشعراوى انه حدث بعد ذلك أن جاء عبدالحكيم عامر إلى السعودية ومعه الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية .. وكانت مصر وسوريا والسعودية قد عملوا اتفاقا ثلاثيا .. وجرى توقيع هذا الاتفاق فى مكة المكرمة .

كان هذا الاتفاق على ما أذكر فى سنة ١٩٥٤ . وكان ضد إسرائيل . وتحمسنا له .

وأمام عبدالحكيم عامر والدكتور محمود فوزى وأعضاء وفود الاتفاق وقفت وألقيت قصيدة تأييد وتحية لهذا الاتفاق وهاجمت «وعد بلفور» الذى زرع إسرائيل فى قلب الوطن العربى ، ومكن الصهاينة من أرض فلسطين .. قلت فى قصيدتى لتحية الاتفاق :

نصرت بالله واستعصمت بالسيف
إلى العلا أمم الإسلام والعرب
إنا شعوب سبيل الله يجمعها
فلا تفرقها الأعداء في شعب

● وقلت عن إسرائيل :

يا بنت «بلفور» جاءت من سفاح هوى
من بين أمين لم ترزق كريم أب
وا قطيع خنازير ارتعت أمما
ترقى علاة ذوات الدل والشهب
فقل لساسة (أميرطانيا) (أي أمريكا وبريطانيا) انتبهوا
فقد عرفنا خبيء المكر في الجعب
سلحوها كما شئتم فإن لنا
هذا السلاح بعون الله في السلب

وقال الشيخ : وقد وقف محمود فوزي وزير الخارجية يومها وأشاد بقصيدتي وتكلم عني كلاما طيبا .

●●●

● وفي عام ١٩٦٣ وقع الخلاف بين عبدالناصر والسعودية .. فعادت البعثة الأزهرية وعدت معها .

ويمضي الشيخ في روايته فيقول : عدت إلى مصر ..

وفي عام ١٩٦٤ تولى مشيخة الأزهر الشيخ حسن مأمون رحمه الله .. فاختارني لأعمل مديرا لمكتبه .

كنت وقتها أقيم في بلدنا .. في دقادوس .

وعندما بلغت بقرار الشيخ حسن مأمون شكرت للرجل تقديره وثقته في شخصي ، لكني لم أجد في نفسي الرغبة في قبول هذا المنصب .. منصب مدير مكتب شيخ الأزهر .. وبقيت في بلدنا ولم أذهب لاستلام العمل .

وجاءنى ثلاثة من زملائى وأصدقائى يسألوننى : لماذا لم تذهب لاستلام عملك مع شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون ؟

فقلت لهم : إنه يشرفنى كثيرا العمل مع شيخنا الجليل الشيخ حسن مأمون .. لكن ماذا يملك شيخ الأزهر الآن ؟ لم يعد يملك شيئا !

لقد سلبه «قانون تطوير الأزهر» الذى أصدرته «الثورة» كل اختصاصاته !

أصدرت «الثورة» القانون فى ليلة واحدة .. وبصورة تثير الاستفزاز .. ولم يعرض على المسئولين فى الأزهر لدراسته أو إبداء الرأى فيه .

اقرأوا القانون جيدا .. وسوف تجدون أن شيخ الأزهر لم يعد يملك شيئا .

فالمادة الأولى تتكلم عن شيخ الأزهر وتعمل له «ديباجة» طويلة توحى بأن له عملا يتفق وجلال منصبه .

وتأتى المادة الثانية فتسلبه كل شىء !

فالمادة الثانية تقول: «يعين للأزهر وزير»!! وزير لشئون الأزهر !

وللوزير وكيل طبعا لتسيير شئون الأزهر .

فماذا يبقى لشيخ الأزهر إذا كان شيخ الأزهر لم يعد فى استطاعته أن ينقل «فراشا» !

وقال زملائى وأصدقائى : إنه من الواجب أن أذهب إلى الشيخ حسن مأمون وأشكره وأوضح له موقفى .

وقلت لهم هذا ما سأفعله .

وسافرت إلى القاهرة . وذهبت لمقابلة الشيخ حسن مأمون فى مكتبه بالأزهر .

●●●

ويروى الشيخ الشعراوى ما دار بينه وبين الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر ، فى هذا اللقاء .. فيقول :

سألت الشيخ حسن : إحنا هنعمل إيه يا مولانا إذا كانت المادة الثانية في القانون بتلغي كل ما في المادة الأولى الخاصة بشيخ الأزهر ؟!

قال الشيخ حسن : أنا في رأيي أن نعمل مذكرة لتعديل القانون رقم ١٠٣ الخاص بالأزهر .. لإعادة المسائل إلى ما كانت عليه .. فاعمل لنا هذه المذكرة .

قلت : وإذا لم نوفق في هذا العمل .. إذا لم يسمعوا لنا ؟

قال : أنا أعدك بأن نخرج معا .. نطلع من هنا أنا وأنت !

قلت : وهل في «العهد الثوري» يملك وزير أو موظف أن يطلع من تلقاء نفسه ؟ ! ده لازم «يترفس» !

قال : نبقى نقول لهم عايزين نمشوا .. وهم اللي يمشونا !

قلت : على هذا العهد نعمل يا مولانا ؟

قال الشيخ حسن : على هذا العهد .

ويمضي الشيخ الشعراوي يقول : وقعدنا نشتغل .. شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون .. ومدير مكتبه الذي هو أنا .. ويفوت الأسبوع والثاني .. ولا أحد يسأل عنا ! ولا موظف واحد حضر عندنا !

كل الموظفين العاملين بالأزهر كانوا يذهبون لوزير شئون الأزهر .. ووكيل الوزارة لشئون الأزهر التابع للوزير ! أما نحن فلا عمل لنا !

وكنت أضحك وأقول لشيخ الأزهر : حنقعدوا كده من غير عمل لغاية إمتى يا مولانا ؟

وبعد أن زهقنا قال الشيخ حسن مأمون : إيه رأيك ؟ .. نشتغلوا في الفتوى ؟

قلت : هي دي الشغلانة اللي نقدروا عليها ! نشتغلوا في الفتوى .

وفعلا عملنا مكتبا للفتوى .. وجبنا مترجمين . انجليزي وفرنساوي . وغير الفتوى لم يكن لنا عمل !

كان يأتي أحيانا بعض الناس الطيبين ليسلموا على شيخ الأزهر .. مجرد سلام ! وكانوا عادة يقبلون يده ..
وكنت أتولى ترتيب دخولهم باعتباري مدير مكتب شيخ الأزهر ..
وحدث في ذلك الوقت أن سألتني بنتي «صالحة» عن عملي في الأزهر وقالت : إنها تريد أن تحضر إلى مكتبي لترى ماذا أعمل ؟ فقلت لها :
— مفيش داعي تتعبي نفسك ! انت عايزة تعرفي باشتغل إيه بالضبط ؟
قالت : أيوه ..
قلت لها : أنا يا ستي .. شغلتي دلوقت .. هي تنظيم عملية تقبيل يد شيخ الأزهر !
وضحكت ابنتي «صالحة» إيد شيخ الأزهر ؟
قلت : أيوه ! .. موش أنا مدير مكتبه ؟! دي شغلتي دلوقت !
●●●
وقال الشيخ الشعراوي : وحدث بعد ذلك أن جاءت عملية «تحديد النسل» .. وأرسلت «الرياسة» تعليمات لشيخ الأزهر بأن يجمع «مجمع البحوث الإسلامية» علشان يقر قرار «الرياسة» بتحديد النسل.
ووجدنا أنفسنا في مطب .
فالمطلوب أن يأتي أعضاء «مجمع البحوث الإسلامية» ويقروا قرار «الرياسة» بتحديد النسل .. ولم يكن تعبير «تنظيم النسل» أو تنظيم الأسرة قد استخدم بعد !
وفوجئت بشيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون يقول لي :
— أنا «عيان» من النهاردة يا شيخ شعراوي ! شوف انت الحكاية دي !
قلت له : وأنا مالي أنا ؟ أنت شيخ الأزهر !

قال : بأقول لك أنا «عيان» .. ومُوش جاى من بكره !

وغاب الشيخ حسن مأمون . ولم يعد يحضر إلى مكتبه .

وقعدت أنتظر مجيء أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .. لكنهم لم يحضروا .. كان البعض يحضر ولا يجد الباقين فينصرف على أن يعود بعد ذلك .

وحدث أن جاء وزير شئون الأزهر كمال رفعت فى وقت مبكر وجلس يسأل فى غضب عن أعضاء لجنة مجمع البحوث الإسلامية ولماذا تأخروا ؟

فقلت له من باب التهدئة : يا سيدى أنت جاى فى عربية خاصة .. والطريق مفتوح أمامك .. أما المشايخ دول ناس غلابة .. اللى بيركب الترماى .. واللى بينحشر فى الاتوبيس .. واللى بيتشعبط على الرفوف ! ناس معذورين .

ومضى وقت ولم يحضر من المشايخ سوى اتنين .

وضاق كمال رفعت فأردت أن أسرى عنه .

فقلت له : الحمد لله .. ربنا عمل جميل كبير فى الأمة .. لأن قرار تحديد النسل اللى حيجتمع المشايخ علشان يقروه .. لم يصدر فيما مضى .. لأنه لو كان قد صدر قبل «أم جمال عبدالناصر ما تحمل فيه» كانت بقت شورة سودة ! وكنا فقدنا عبقرية فذة ! وكان حظنا يبقى نحس !

ولاحظ كمال رفعت اننى أتكلم بجدية ! فابتسم ونهض من مكانه وقال إنه سيحدد موعدا آخر لاجتماع أعضاء مجمع البحوث .. وانصرف . وبعدها عملوا «تنظيم الأسرة» وليس «تحديد النسل» .

وقال الشيخ الشعراوى : إن الشيخ حسن مأمون عاد إلى مكتبه ، لكنه كان ضائقا ، وكان أكثر ما يثيره فى تلك الأيام أن يسمع كلمة «الاشتراكية» .

وحدث ذات يوم أن سمع هذه الكلمة من أحد الحاضرين فى مكتبه فغضب وقال للشخص الذى كان يرددها «أنا لا أحب أن أسمع كلمة الاشتراكية» !

وأذكر اننى قلت له يومها مازحا ونحن نخرج فى نهاية اليوم :

— اليوم قبلت استقالتك يا فضيلة الشيخ لأنك لا تحب كلمة الاشتراكية !

ورد الرجل : الأمر لله .

وفى اليوم التالى تحولت كلمة المزاح إلى حقيقة !

فقد سمع الشيخ حسن مأمون وهو فى طريقه إلى مكتبه بالأزهر .. سمع فى الراديو خبرا يقول: «قدم الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر استقالته وقبلت» ! فعاد الرجل إلى بيته !

وقال الشيخ الشعراوى : لقد وصلت كلمة شيخ الأزهر عن عدم حبه لسماع كلمة «الاشتراكية» إلى عبدالناصر فى نفس اليوم !

وأضاف الشيخ متعجبا ومستعيذا بالله : كان والد عبدالناصر يأتى أحيانا إلى الأزهر .. وبعد انصرافه يأتى من يسأل : ما الذى كان يتكلم فيه هذا الرجل ومع من ؟!

وهذا يعنى أن الأجهزة الرقابية كانت لا تعفى أحدا من نشاطها حتى والد جمال عبدالناصر .. وقد كان رجلا طيبا وعف اللسان .

●●●

ويأتى الحديث عن «صلاة الشكر» يوم الهزيمة .. هزيمة يونيو ١٩٦٧ . الصلاة التى قال الشيخ الشعراوى : إنه أداها يوم الهزيمة وسجد شاكرا لله ، بينما القلوب تدمى من جراحها وجراح الوطن .

كيف يا فضيلة الشيخ ؟

كيف تكون «صلاة الشكر» يوم المحنة الكبرى .. يوم الهزيمة التى لم تشهدها مصر فى تاريخها الحديث ؟

قل لنا يا فضيلة الشيخ : ما الذى تعنيه « صلاة الشكر » فى

مثل هذا اليوم الحزين فى تاريخ مصر والعرب والمسلمين، خاصة بعد الذى قرأناه من تعليقات للبعض تضع الحقيقة فى مأزق داخل الصدور التى تكن التقدير والاحترام للشيخ الجليل ؟!

قال الشيخ : صلاة الشكر يوم الهزيمة هى سجود لله وشكر له، لأن الهزيمة جاءت من عند الله لتصويب أخطائنا التى ارتكبناها . ومن هنا وجب الشكر لله .

وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع صحابته يوم «موقعة أحد» .. وهزم المسلمون .. ولا أريد أن أقول هزم المسلمون بل الأصح القول: لم ينتصر المسلمون .. ولم يكن قد مضى على نصرهم فى «موقعة بدر» عام .

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم «الرماة» يوم أحد بألا يتركوا أماكنهم .. قال لهم لا تتركوا أماكنكم حتى ولو انتصرنا .. أو انهزمنا .

لكنهم لم يسمعوا وخالفوا أمر رسول الله .

هم عندما شاهدوا الغنائم لهوا بها .. وتركوا مواقعهم .. فجاء خالد ودار من ورائهم وحاصرهم .. وهكذا لم ينتصروا .. فالهزيمة هنا .. كانت لانخذال المسلمين .. وعدم طاعتهم أمر رسول الله .. ولو كانوا قد انتصرا مع مخالفتهم لطاعة رسول الله .. لقالوا «خالفناه وانتصرنا» ..

فالهزيمة هنا جاءت لتصويب خطأ المسلمين الذين لم يطيعوا أمر رسول الله بعدما تركوا مواقعهم .

ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس يومها بأن يشكروا الله .

وقف الرسول وناداهم حتى تجمعوا حوله فقال لهم : «استووا حتى أثنى على ربى» .

وقال الشيخ : وصلاة الشكر عند الهزائم والمحن والكوارث هى أيضا صلاة امتثال ورضاء بقضاء الله وقدره .. وهى بذلك تعد من قبيل «النسك والعبادة» فى مثل هذه الأحوال .

وقال الشيخ : إن الهزيمة كانت « تصويبا » من الله سبحانه وتعالى لكل أخطائنا .. وإنها أحدثت زلزالا هز الجميع ، وأيقظ الوعى فى النفوس والعقول ، وكشف الطغاة «وعرى» أخطاءهم وخطاياهم .

وأضاف الشيخ : وشىء آخر .. نحن كنا فى أحضان روسيا .. وروسيا كان لها فى مصر أماكن لا يستطيع أى مصرى أن يدخلها ! ولا رئيس الحكومة كان يستطيع أن يدخلها .. ولو أننا انتصرنا ونحن فى أحضان روسيا .. لهان أمر الدين .

وقال الشيخ : لم ننتصر ونحن فى أحضان روسيا .. وعشنا الهزيمة النكراء .. ومع ذلك كان هناك ميلاد النبى .. وميلاد لينين .. وفى ذكرى ميلاد النبى لم تجد أى مظهر فى الشارع يعبر عن ذلك .. كل الصور واللافتات كانت للاحتفال بمولد لينين ! فهل نسينا ذلك ؟

وقال : لقد كشفت لنا الهزيمة عن وجه «موسكو» .. وأوضحت لنا أن «الاتحاد السوفيتى» الذى انهار أخيرا ، لم يأت ليساعدنا ويعاوننا لكى ننتصر .. بل جاء ليبقى .. ونظل نحن فى حاجة إليه وإلى أسلحته كانت حساباته أن أمريكا لن تتخلى عن إسرائيل .. وأن مصر ستبقى دائما فى حاجة إلى الاتحاد السوفيتى ..

●●●

وقال الشيخ : وشىء آخر كشفت عنه الهزيمة النكراء ،وهو الصراع المستتر فى قمة النظام بين جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر والذى حالوا إخفاءه عن الناس .. لقد عز عليهما أن يظهر هذا الخلاف للشعب ..

أحدهما كان مركزه قوة بالجيش .

والآخر مركزه قوة بالأجهزة السياسية .

وكل منهما أراد أن يأخذ المعركة لنفسه .. وأن يصطنع بطولة كذابة .. زى نجمة البحر !

وعندما أغلق جمال عبدالناصر «المضيق» .. لم يكن يحسبها سياسيا .. وإنما كان «واخدها فتونة» !

وقال الشيخ : إن الحسابات السياسية الخاطئة كانت وراء النكبات والهزائم التى ابتلينا بها .. فالذى جرى فى سنة ١٩٥٦ كان سببه الخطأ فى الحساب . نعم ، تعرضنا لحرب عدوانية .. من دول ثلاث .

لكن هذه الحرب كشفت خطأ مصر فى الحساب .. كما فضحت مخطط أعداء مصر .

كشفت خطأ مصر لأن هذه الحرب جاءت ردا على تأميم «القنال» .. وتأميم «القنال» كان يجب أن يدرس من عدة نواح : متى ينتهى امتياز القنال ؟ وما هو العائد الذى سيعود علينا من تأميمها الآن ؟ وماذا لو انتظرنا حتى تنتهى المدة الباقية من الامتياز وكانت مدة بسيطة ؟ لكننا لم نحسب ذلك وتصرفنا بانفعال .. وهذا هو الخطأ .

أما فضيحة المتآمرين ضد مصر فقد كشفت لنا عن كل دولة ذات مطامع فى مصر .. وكنا بنقول : «إسرائيل هى اللى قدامنا» .. لكن ظهر واضحا أن فرنسا جاءت وبريطانيا جاءت .. ولكل منهما غرض من وقوفها وراء إسرائيل .

فرنسا تعتبر نفسها صاحبة الحق فى امتياز القنال .

وبريطانيا تريد أن يبقى لها وجودها ونفوذها فى المنطقة .

ثم ظهرت أمريكا لتنهى دور بريطانيا فى المنطقة .. وتأخذ مكانها ..

وقال الشيخ : ناس بتخطط .. وبتحسبها صح .. وتعرف كيف تستغل وتستفيد من انفعال الآخرين وشغل الفتونة !

●●●

ويواصل الشيخ الشعراوى رواية حكايته مع جمال عبدالناصر ، كاشفا عن أسرار جديدة !

أول هـذه الأسرار التى لا يعرفهـا أحـد ، هو أن الشيخ الشعـراوى كان على موعد مع جمال عبدالنـاصر قبل وفاته ! وإن هذا الموعد تأجل ثلاث مرات لظروف خارجـة عن إرادة عبدالناصر والشيخ الشعراوى ! وفى المرة الرابعة مات عبدالناصر قبل موعد اللقاء !

من الذى رتب لهذا الموعد الذى لم يتم ؟

ما الذى كان يريد عبدالناصر أن يقوله للشيخ الشعراوى ؟

ثم ما هى الأسباب التى أدت إلى تأجيل الموعد ثلاث مرات ؟

إن الشيخ الشعـراوى يضـع الإجابـة على تلك التساؤلات فى سياق هذه المواجهة التى تدور حول حكاية الشيخ الشعراوى مع عبدالناصر والتى تنطوى على الكثير من الأسرار والخفايا .

ليس فقط الموعد الذى لم يتم بين «الشيخ» و«الزعيم» !

هنـاك سر آخر .. وهـو أن الشيخ الشعـراوى كان مـرشـحا لتـولى «أمانـة الفكر» فى الاتحاد الاشتراكى .. فى وقـت لا يخطر فيـه على بال أحد فى مصر أن يـأتى عبدالنـاصر بالشيخ الشعـراوى ليتولى «أمـانة الفكـر» فى التنظيم السيـاسى الـذى كـان يتصـارع على قمتـه بعض الشيـوعيين المصريين الذين أمدوا الجسور مع مـوسكو ! لتكـون لهم الحظوة والنفوذ !!

كيف حدث ذلك ؟ من الذى رشح «الشيخ» ليتـولى «أمانة الفكر» فى التنظيم السياسى ؟ من يا ترى ؟ !

وثالث الأسرار التى يكشف عنهـا الشيخ هو أنـه طلب زيارة بعض أقطاب انقلاب ١٥ مايو الذين أطلق عليهم «مراكز القوى» فى السجن ! وسمحوا له بذلك !! ودار بينه وبينهم حديث طويل عن الذى جرى .

فليتكلم فضيلة الشيخ .. للحقيقة وللتاريخ .

عن عبـدالناصر والسيـاسة التى جـرت على مصر النكبات يتحـدث الشيخ الشعراوى فى مستهل حديثه .. يقول : سياسة الانفعال وردود الفعل واختلاط الأدوار بين رجل السيـاسة ورجل الحرب ، والصراع فى

قمة السلطة والنظام بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر .. كل ذلك جر على مصر النكبات .

وقال الشيخ : رجل السياسة للسياسة .. ورجل الحرب للحرب .. دون خلط فى الأدوار .. هذا ما يقوله لنا التاريخ .

وتساءل الشيخ : ما هي السياسة ؟ السياسة هي أن تقول كلاما يستشهد به أى واقع .

وقال : زمان أنا قلت إن رجال الفكر معذورون إذا هم لم يقولوا رأيهم فى كثير من المسائل .. لماذا ؟ لأن العلاقات بين الدول لا تدوم على خصام ولا تدوم على مودة ! هناك أمور تحتم علينا أن نضحك لبعض ، ونأخذ بعضنا بالحضن .

والذى يقول كلمة الحق يصبح عدوا إذا هى تعارضت مع ما يريده الحاكم .. فالسياسة لها لغتها .. ولها أساليبها .

وقال : خذ مثلا من التاريخ . «معاوية» طلب من «الأحنف» أن يصعد المنبر .. وأن يسب الإمام على !

قال للأحنف : لتصعدن المنبر .. ولتسبن «عليا» كما يسبه الخطباء.

فقال الأحنف ، وكان له وزن كبير :

— اعفنى من هذا يا أمير المؤمنين .

فقال معاوية : عزمت عليك ألا فعلت .. (يعنى مفيش فايدة) !

فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين سامحنى فى هذا الموضوع ، فإنى لو صعدت المنبر فسوف أقول : أيها الناس .. إن أمير المؤمنين معاوية طلب منى أن ألعن على بن أبى طالب .. فقولوا معى : لعنه الله !

وقال الشيخ : هذه هى السياسة .. وهذا هو كلام السياسة .

ولنأخذ مثلا آخر .

المرأة التى حكمت .. وهى ملكة سبأ . عندما جاءتها رسالة من سليمان .. لم تمزقها فى وجه من أتى بها .. ولم تشتم .. أو تهاجم .. بل قالت: «ألقى إلىّ كتاب كريم» .. وصفت الكتاب الذى جاءها من

سليمان بأنه: «كتاب كـريم» فإذا ما نقلت العبارة إلى سليمان فلن يجد فيها ما يثيره أو يغضبه بل ما يجعله يسر .

هذه هي السياسة ..

كتاب سليمان ماذا كان يقول لها ؟ كان يقول :

«إنـه من سليمان وإنـه بسم الله الـرحمن الـرحيم .. ألا تعلـو علىّ وأتوني مسلمين» ..

فماذا فعلت هي ؟

جمعت رجالها .. رجال الحرب .. رجال القوة .. وقالت لهم :

ألقى إلىّ «كتاب كريم» .. وماكنت قاطعة أمرا فيه «حتى تشهدون»..

فهي تريد أن تسألهم الرأى .. أن تستشيرهم .. فقـالوا لها : نحن لسنا موضع الأخـذ .. أنت تتكلمين السياسة .. أما نحن فـرجال حرب ورجال قوة .. نحن «أولو قوة» .

ورجـال القوة لا يعطـون رأيا فى السيـاسـة .. خذى أنت القـرار .. ونحن ننفذ ..

لقد استشارتهم فى أمر طارىء وهام .. ففوضوا لها الأمر .. وقالوا: « والأمر إليك .. فانظرى ماذا تأمرين» .

●●●

وقال الشيخ : هذه هي السياسة .. وهذا هو أسلوب السياسة ..

فماذا فعلت ؟

أرسلت «هدية» إلى سليمان .

هدية من ملكة سبأ .. إلى سليمان .. للاختبار .

إنها تريد أن تعرف ماذا يريد سليمان بالضبط ؟

هل يريد «الملك» .. مملكتها ؟ أم يريد شيئا آخر .

فلما وصلت «الهدية» إلى سليمان أعادها .. وقال لمن حملها إليه :

«بل أنتم بهديتكم تفـرحون» . أرجـع إليهم .. إن ما عندى أحسن مما عندكم .. «فما آتانى الله خيرا مما أتاكم» .

فالله أعطانى فوق ما أعطاكم . وسخر لى ما لم يسخر لكم . أنتم أخذتم من عالم المُلك .. أما أنا فأخذت من عالم المُلك .. وعالم الجن .. وأخذت الريح أيضا .

الجن يخدمنى .. والريح يخدمنى .. فأنا أحسن منكم .. وقرر سليمان أن يواجههم .. وقال : «فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها» .

●●●

وعندما عادت الهدية إلى ملكة سبأ .. أدركت هى أن سليمان ليس طالب ملك .. فالذى عنده أكثر من الذى عندهم .. إذن ماذا يريد ؟ ذهبت إليه لترى وتعرف .. وعرف سليمان أنها فى طريقها إليه ..

فقال للجن : هاتوا لنا عرشها.. هاتوا رمز القوة والسيطرة والحكم والغنى .

سأل سليمان « للجن » : «أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين» ؟ من يأتينى بعرشها قبل أن تصل ؟ فرد عليه «عفريت» من الجن :

«قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين ».. لكن ماذا قال الذى عنده علم من الكتاب ـ ؟ «قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك» !

وجاء به إليه .. جاء «بالعرش» .. إلى سليمان .. ووصلت ملكة سبأ.. فوجدت عرشها عند سليمان ..

وسألها سليمان : أليس هذا عرشك ؟

قالت : كأنه هو !

وأدركت هى فى النهاية دعوة سليمان لها وهى الإسلام لله فماذا قالت؟ قالت : «أسلمت مع سليمان» .

لم تقل: أسلمت لسليمان .. بل قالت: أسلمت مع سليمان لله الذى هو أعلى منا ومنه .

وقال الشيخ الشعراوى : إن هذه القصة من قصص القرآن الكريم

تدل على أن المرأة قد تؤتى حظا من حسن التعقل فى المواقف ، كما تدل أيضا على أن السياسة لها أساليبها ولها ناسها .. وأن القرار السياسى ليس من اختصاص رجال الحرب .. ولا خلط فى الأدوار .

●●●

ويتذكر الشيخ الشعراوى صورة جمال عبدالناصر التى كانت معلقة فى مكتب شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون سنة ١٩٦٤ ، قبل أن يقيلوه بسبب الكلمة التى نقلت عنه وهى أنه لا يحب سماع كلمة «الاشتراكية» ..

ويقول الشيخ : كنت مديرا لمكتب شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، كما سبق أن ذكرت ، وحدث ونحن نتكلم أن قال لى الشيخ حسن مأمون: «أنت تقول شعرا .. فلماذا لا تقول لنا بيتين من الشعر نكتبهما تحت صورة عبدالناصر» ؟

قالها الشيخ حسن مأمون وهو يبتسم ..

فقلت له: سأقول لك بيتين .. بشرط أن تكتبهما تحت الصورة .

قال : أسمعنى أولا .. ماذا تقول ؟ ..

فقلت: اكتب ياشيخنا الجليل:

غدا تتوارى فى سراديب من مضى
ويمضى الذى يأتى لسردابكم حتما
ولن يقف الدولاب فالله دائم
ويا ليتكم لما تذكرتموا .. لما !

وقال الشيخ موضحا : يعنى يا ريتكم تذكرتم الموت عندما جئتم .. فالذى يتذكر الموت يخشى الله ويبتعد عن الخطأ ولا ينحرف .

ويضحك الشيخ من قلبه ويقول : ولكن الشيخ حسن مأمون لم يكتب البيتين تحت الصورة .. ولم تمض أيام حتى أقالوه بسبب كراهيته لسماع كلمة الاشتراكية !

سؤال : لقد ارتبط الشيخ بثورة ١٩ وتغنى بها وبزعيمها سعد زغلول .. فما هو الفرق بين ثورة ١٩١٩ وثورة يوليو ١٩٥٢ ؟

قال الشيخ : الثورات التى تهبط من فوق «بالبراشوت» .. غير الثورات النابعة من الشعب .

ثورة ١٩١٩ كانت ثورة شعبية .

وقال الشيخ : هذا الرجل (يقصد عبدالناصر) أوتى من الإمكانيات والظروف ما كان يمكنه من أن يصنع شيئا يفيد الإسلام .. ولكنه تبعثر فى الجهات السياسية ..

كانت فرصة تاريخية لو ركزت لخدمة العروبة والإسلام لأفادت كثيرا .. لكنها تبعثرت فى ميادين متعددة فقلت جدواها .

وقال الشيخ : ويجوز أن الذين حوله أساءوا إليه ..

وسكت الشيخ لحظات ثم قال : عبدالناصر فى بداية حياته كان أقوى من الأحداث .. لكنه انتهى فى حياته إلى أن الأحداث كانت أقوى منه .. فقد واجه أشياء لا يقدر عليها ..

●●●

ويكشف الشيخ الشعراوى عن سر لا يعرفه أحد ! وهو أنه كان على موعد مع جمال عبدالناصر قبل وفاته .. وأن الوفاة حالت دون إتمام هذا اللقاء .. فما هى حكاية هذا الموعد ؟ من الذى اتصل بالشيخ لإبلاغه بموضوع اللقاء ؟ وأى موضوع هذا الذى من أجله جرى الاتصال به لترتيب هذا اللقاء ؟

قال الشيخ : وجيه أباظة ، رحمه الله وغفر له ، كان يربطنى به ود كبير .. ويوده هذا قربنى من شعراوى جمعة وزير الداخلية فى آخر سنة من سنوات حكم عبدالناصر .. السنة التى مات فيها عبدالناصر .. اتصل بى وجيه أباظة .. والتقينا وذهبنا إلى شعراوى جمعة .. وجلسنا نتكلم .

وفوجئت بشعراوى جمعة يقول لى :

— يا شيخ شعراوي إحنا اخترناك علشان تتولى مسئولية «أمانة الفكر» بالاتحاد الاشتراكي .

كان هذا الكلام مفاجئا لي .

وحاولت الاعتذار .. والابتعاد عن هذا الموضوع .

لكنه قال : إحنا اخترناك خلاص ! .

وتدخل وجيه أباظة وقال : على العموم نتكلم في هذا الموضوع بعد يومين .. وأمامك فرصة للتفكير .

وبعد يومين التقينا نحن الثلاثة .

وفوجئت بشعراوي جمعة يقول لي :

— يا شيخ شعراوي حتقابل «الريس» الأسبوع القادم ! .. و«الريس» سيتكلم معك في الموضوع اللي اخترناك له .. موضوع «أمانة الفكر» بالاتحاد الاشتراكي! .. وسوف نبلغك بعد يومين بموعد اللقاء .

قلت : ده أنا جاي علشان أعتذر .

قال : الموضوع أصبح منتهيا .. و«الريس» عنده فكرة .

وتدخل وجيه أباظة وقال :

خلاص يا شيخ شعراوي .. مقابلة «الريس» الأسبوع اللي جاي .

قلت : سألتكم بالله .. من الذي اختارني لهذا العمل ؟ من الذي رشحني لتولي «أمانة الفكر» بالاتحاد الاشتراكي ؟

قال شعراوي جمعة : بعدين حتعرف من الذي اختارك .

وقال وجيه أباظة : بعدين يا شيخ شعراوي .. المهم دلوقت مقابلة «الريس» !

وقال الشيخ الشعراوي : وهكذا وجدت نفسي في «مطب» على الرغم مني ! ودعوت الله أن يخلصني من هذا المطب .. وهذا المأزق .

مالي أنا والاتحاد الاشتراكي ؟!

مالي أنا و«أمانة الفكر» هذه التي يتكلمون عنها ؟!

بل مالي أنا وجمال عبدالناصر ؟!

لقد وضعوني في مأزق .. فكيف الخروج من هذا المأزق !

وقال الشيخ : اتصل بي شعراوي جمعة بعد ذلك وقال لي :

— المقابلة مع «الريس» يوم الثلاثاء القادم !

أي بعد يومين .. فاليوم هو السبت .

وقلت : حاضر .. إن شاء الله .

وقال الشيخ : وشاء الله ألاّ تتم المقابلة في الموعد الذي حددوه !

وقالوا : المقابلة تأجلت .. وسوف يتم تحديد موعد آخر .

كان سبب التأجيل العقيد معمر القذافي الذي جاء فجأة في نفس اليوم المحدد للمقابلة ، والتقى بعبدالناصر في «برج العرب» !

واتصل بي شعراوي جمعة وقال :

— يا شيخ شعراوي .. الموعد الجديد للمقابلة مع «الريس» يوم الثلاثاء القادم .

قلت : حاضر .. إن شاء الله .

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة في هذا الموعد الجديد أيضا !

فقد ماتت عمتي في اليوم السابق على الموعد .. ونشرت إعلانا عن الوفاة في الصحف .. ولم يكن هذا من عادتي .. لكنني وجدتها مبررا للتأجيل !

واتصلت بسوجيه أباظة وشعراوي جمعة وقلت لهما إن «عمتي» ماتت .. وإنني نشرت عن وفاتها إعلانا في الصحف .. وإنني أرجو تأجيل الموعد .

فقال شعراوي جمعة : وإيه يعني «عمتك» يا شيخ شعراوي ؟ !

قلت : انت عارف إن احنا ناس فلاحين .. ولازم أكون موجود وأقف آخذ العزاء .. وأشكر الناس اللي جايين يقوموا بالواجب !

وقال : على العموم سأتصل بك بعد ساعة وأقول لك إيه اللي حيحصل .

قلت : إن شاء الله .

واتصل بعد ساعة وقال :

— موعد مقابلة «الريس» تأجل للأسبوع القادم .

وحدد لى يوم الاثنين .

وشكرته وقلت : إن شاء الله .

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة فى الموعد الجديد أيضا .

كانت الأحداث قد تطورت .

وكانت الدعوة لاجتماع قمة عربية عاجلة فى القاهرة قد أعلنت .

واتصل بى شعراوى جمعة .. وقال :

— يا شيخ شعراوى .. موعد المقابلة مع «الزعيم عبدالناصر» تأجل إلى يوم الاثنين التالى لاجتماع القمة !

قلت : إن شاء الله .

لكن الله شاء ألا تتم المقابلة مع «الزعيم عبدالناصر» فى الموعد الجديد الذى حددوه بعد انتهاء اجتماعات القمة !

كنت وقتها مريضا .. وكنت قد سافرت إلى بلدنا دقادوس .

وفوجئت بابنى عبدالرحيم يدخل إلى غرفتى .. ويقول لى وأنا فى «السرير» :

— التليفزيون قطع البرنامج العادى .. وأخذ يذيع القرآن .

وقمت من السرير .. وذهبت للصالة .. وجلست أمام التليفزيون .

وطلع أنور السادات .. وأعلن خبر وفاة عبدالناصر .

وهكذا شاء الله ألا يكون هناك لقاء مع عبدالناصر .

وبعدها سافرت إلى الجزائر باعتبارى رئيس بعثة الأزهر للتعريب .

●●●

ويذكر الشيخ الشعراوى أنه عاد من الجزائر فى أجازة الصيف .. وذهب لزيارة شعراوى جمعة وهو وزير الداخلية أيضا بعد أن تولى الرئاسة أنور السادات .

وقال الشيخ الشعراوى : إنه سأل شعراوى جمعة : من الذى رشحنى عند عبدالناصر لأتولى «أمانة الفكر» فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فقال شعراوى جمعة : لا أعرف ..

وعدت أسأله : لقد سمعنا أن الرئيس عبدالناصر وهو يحتضر قال إنه يرشح زكريا محيى الدين ليتولى الرئاسة من بعده ؟

قال : هذا صحيح ..

قلت : وإيه اللى حصل بعد كده ؟ .. لماذا لم يتول زكريا محيى الدين ؟

قال : إحنا وافقنا على أنور السادات لأننا نقدر «نـرفسه» فى أى وقت ! إنما زكريا «ناب» صعب !

فقلت له وعبارتى تأخذ شكل المزاح : بكرة حتشوف .. ماحدش حيدخلكم السجن غير هذا الرجل الذى أنتم تستهينون به ! الرجل الذى تسخرون منه وتقولون أنكم تستطيعون أن «ترفسوه» !

قال : إزاى ؟ وليه ؟

قلت : أولا .. دينيا .. لأنكم احتقرتم قدر الله فى خلقه .

وثانيا أنكم تسخرون بالرجل .. ولن يترك الله لكم هذا بلا عقوبة .

وقال الشعراوى : وحصل بعد ذلك يا مولانا اللى حصل ! .. واللى كل الناس تعرفه .. اتفقوا عليه .. لكنه مسكهم .. وحطهم فى السجن !

وأضاف الشيخ : شوف بقى «الخيانة» بتاعتهم !

وقال الشيخ : إنه سافر بعد ذلك لعمله فى الجزائر .

وفى أجازة الصيف الثانية عاد إلى مصر .

واتصل به ممدوح سالم الذى كان قد تولى وزارة الداخلية .. وطلب منه أن يعمل محاضرة للضباط .. وقال له : ما هو الثمن الذى تريده يا شيخ شعراوى لهذه المحاضرة ؟

فقال الشيخ : الثمن الذى أريده هو أن تسمحوا لى بزيارة أثنين فى السجن !

قال ممدوح سالم : من هما ؟

قال الشيخ : أولا صديقي وجيه أباظة .. والثاني شعراوي جمعة ..

قال ممدوح سالم : إنهما الآن ليسا في السجن .. إنهما في المستشفى .. وأنا لا أستطيع أن أعطيك كلمة الآن .. انتظر لمدة ساعة ..

وبعد الساعة اتصل ممدوح سالم بالشيخ الشعراوي وقال له :

— سمح لك بالزيارة ومعك مرافق .. سيحضر إليك المرافق الساعة العاشرة صباحا ويأخذك إلى المستشفى الذي يوجد به وجيه أباظة وشعراوي جمعة .. وسيسمح لك أيضا بالتجول في حديقة المستشفى مع كل منهما .

وقال الشيخ : وفي صباح اليوم التالي جاءني المرافق ، وصحبني إلى مستشفى المعادي .

وكان أول من قابلت وجيه أباظة .. وعندما رآني مقبلا عليه ضحك وقال :

— شوف كلامك ؟ ! أهو حصل أهه ! صاحبك مسكنا وحطنا في السجن !

فقلت له وأنا أضحك :

— هو لم يحطك في السجن ! الذي حطك في السجن هو لسانك !

قال : ولكن ربنا أكرمني .. فقد حفظت في السجن نصف القرآن الكريم !

قلت : هذا شيء طيب .. وسوف أطلب من صاحبي أن يبقيك في السجن إلى أن تحفظ النصف الثاني !

ضحك وجيه أباظة وقال : أنا في عرضك .. أحفظه في بيتنا أحسن !

●●●

ويأتي الحديث عن تطوير الأزهر ..

التطوير الذي أحدثه جمال عبدالناصر ..

التطوير الذي جرى منذ ٣٣ عاما .. وإلى أين انتهى بأقدم وأكبر

جامعة إسلامية عرفها العالم ؟ ماذا فعل هذا التطوير بمنارة الإسلام الشامخة ، على طول ألف عام ؟

والسؤال للشيخ الشعراوى .. وهو يحتاج إلى تمهيد ليضع القارىء في صورة هذا الحدث الكبير في تاريخ الأزهر الشريف .

عام ١٩٦١ أصدر جمال عبدالناصر قانون تطوير الأزهر .

وتقول مواد هذا القانون: إنه صدر لإصلاح حال الأزهر وتطويره .

وأن يظل كما كان ـ منذ ألف سنة ـ حصنا للدين والعروبة ، يرتقى به الإسلام ويتجدد في جوهره الأصيل ويذود عنه كل ما يشوبه .

وأن يبقى ويدعم ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدمها في الشرق والغرب . وأن يخرج علماء حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم وتهيأوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة .

وأن تحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى ، وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين الآخرين .

وأن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين في جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية .. وبين سائر المتعلمين في الجامعات والمدارس الأخرى مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان ليتحقق لخريجي الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية مع أبناء الوطن .. ويتحقق بهم للوطن وللعالم الإسلامي نوع مؤهل من الخريجين للقيادة في كل مجال من المجالات الروحية والعلمية .

وفى توضيحه لأهم خصائص التطوير قال القانون: إن الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته ونشره .. والتي تحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب .. كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكرى للأمة العربية وتزويد العالم الإسلامي والعربي بالمبعوثين وأصحاب

الرأي فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية ولغة القرآن .

وأثار قانون تطوير الأزهر جدلا واسعا بين العلماء .

هناك من وقف معه ودافع عنه . وهناك من وقف ضده .

وهناك من اعتبره من أعظم القرارات في تاريخ الأزهر .. لكنه لم يأخذ حظه من الدراسة والبحث ، فبدا وكأنه قرار صدر من فراغ .

وهناك من قال : إن ظروف صدوره بالصورة التي تمت بها توحي بالريبة وتثير الاستفزاز .

وهناك من قال : إنه صدر بسرعة لم يكن الأزهر يتوقعها .. وبضغط من السلطة في ذلك الوقت .. حتى أقر على عجل في مجلس الأمة وكما تريد الدولة .. ولم يعرض على المسئولين في الأزهر لدراسته .

ولم يتوقف الجدل حول تطوير الأزهر .. وما انتهى إليه .

●●●

والسؤال للشيخ الشعراوي : ماذا يقول الشيخ عن الأزهر الآن بعد ٣٢ عاما من صدور قانون التطوير الذي أدخل إليه كليات الطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها من العلوم التطبيقية ؟ وإلى أين انتهى به هذا التطوير ؟

قال الشيخ : الأزهر الشريف فيه سر وإعجاز .. فهو أنشيء قبل ألف عام ليروج لمذهب خاص هو المذهب الشيعي الفاطمي .. لكن شاء الله أن يخلصه لمذهب أهل السنة .. المذهب النقي الصافي .

هذا شيء ..

والشيء الآخر .. أن إنشاء الأزهر في مصر تم وكأن الله اختاره .. واختار مصر الكنانة له .. لأنه قبل أن ينشأ الأزهر .. جاء في الكتاب المنزه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ما يجعل لمصر مكانة لم يظفر بها بلد آخر من بلاد العالم .

وأقولها على العموم .. هات أي بلد في العالم ذكرها الله باسمها الصريح الخفيف الظريف مثل «مصر» .

لا يوجد ! مصر فقط .. فكأن الله أعدها أزلا . ذكرها فى كتابه المعجز .

وجاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليؤكد ذلك .. فيقول: «مصر كنانة الله فى أرضه» . و «الكنانة» معناها «جعبة السهام» يعنى فيها السهام التى سنحارب بها .. يعنى قاعدين للعملية دى !

ثم تأتى أحداث الزمان لتفسر كل ذلك .

التتار الذين قهروا الدنيا .. لم يردهم غير مصر .

والصليبية التى تجمعت بقوة دولها وملوكها .. لم تردها إلا مصر .

فالواقع أيد ما كان من معجزة مصر .. وما قاله رسول الله فيها «واستوصوا بأهلها خيرا .. فلكم فيها نسب وصهر» .

والأزهر يؤدى حق هذا التكريم .

مصر استقبلت من البلاد المقدسة منهج الله استقبالا من السماء ودافعت عنه بالسيف .

وجاء الأزهر ليحققه علما .. ولاتزال كل الدنيا تأخذ علمها منه .

حتى البلاد التى نزل فيها الإسلام .. يقوم الأزهر برد الجميل لها.. يرده للخالق الذى كرم مصر .. ولرسول الله الذى كرم مصر .

فإذا كانت البلاد المقدسة شرفت بـ «هبوط وحى» .

فمصر شرفت بـ «هبوط تحقيق» لمنهج الله تحقيقا علميا .

●●●

قلت : نعود إلى السؤال عن حال الأزهر بعد ٣٣ عاما من قرار التطوير، وماذا يقول الشيخ الشعراوى عمّا انتهى إليه التطوير ؟

قال الشيخ : دوره الآن ليس طبيعيا .. ليس كما نريد .

قلت : كيف ؟

قال الشيخ : لاننى أجد طالب الأزهر الآن يشترك مع طالب التعليم المدنى فى علوم .. ويمتحن معه فيها .. ثم يأخذ فترة أخرى لامتحان فى علوم الأزهر .. وهذا إجهاد له .

وقال : التربويون عندما يضعون منهجا للتعليم الدينى فهم

يضعونــه مناسبا لطور العقل .. والذين وضعوا منهجا للتعليم المدنى ، وضعوه مناسبـا لطور العقل .. وعندما يكلف طـالب الأزهر بأن يتعلم وفقا لمنهج التعليم المدنى .. ثم يتعلم وفقا لمنهج التعليم الدينى فى نفس الوقت .. فهذا ـ كما قلت ـ فيه إجهاد وإرهاق له .

والنتيجة انه لا ينفع لا فى هـذه ولا فى تلك ! .. إلا إذا كان «حيموت» نفسه علشان ينجح وبس .

وهذا الوضع ينشىء فى رجال الأزهـر شيئا من العطف على الطلاب قد يتجـاوز العدل ! يعنى فى الامتحـان يقولـوا «بلاش نسقطـه» خلينا نساعده !

وقال الشيـخ : إذا كانوا قد عملوا لكـل حرفة مـن الحرف مدارس ومعاهد وكليات .. فلماذا لا يتركون الأزهر للدين !

وأضاف : وإذا كانوا يريـدون للدين أن يشيع كما يقولون .. فلماذا لا يشيعون الدين فى التعليم المدنى بدلا من إشاعة «المدنية» فى الأزهر .

وعلا صوت الشيخ وهو يقول :

ـــ بدلا من أن «تمدينوا» الأزهر .. «دينوا» الجامعة !

وقـال : ولـذلك لا تعجب إذا وجدت خطيبا يلحن فى كتـاب الله ! .. لايقيم آية .. وليس عنـده ثقافة .. ومع انه تعلم وأخـذ العلوم المدنية .. إلا أنـه عندمـا يصعد المنبر ويخطـب الناس فهـو لا يجد عنده سـوى الكلمتين اللتين يقولهما فى «الجنة والنار» !

وقال الشيـخ : هذه هى النتيجـة .. ونسـأل الله أن يتوجـه الإصلاح إلى هذه المسألة الخطيرة .

قلت : على ذكر الخطباء .. لقد حضر الشيخ الشعراوى المؤتمر الذى عقد مؤخرا «للدعاة» وخطباء المساجد .. فماذا قلت لهم !

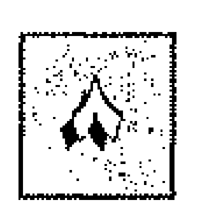
قال الشيخ : قلت من بين ما قلته لهم .. إياكم أن يظهر عليكم شىء يخالف منطقكم .. هذا ما أريده من الداعية .. فالذى يفعل غير ما يقول

هو مـا ينطبق عليه قوله تعـالى ﴿ لِمَ تقولون مالا تفعلـون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ .

وقلت لهم : إنني أريـد منكم ألا يضعف من عزيمتكم أن تتعـرضوا للاستهزاء أو التهجم عليكم .. فالـداعية إلى الله الذى لا ينال قسطا من ذلك ليس له حظ من «ميراث النبوة» .

الشعراوى الذى لا نعرفه





حكايتى مع السادات

أسوأ تجربة فى حياتى .. يوم أصبحت وزيرا !

- الرؤساء أحسن ناس « يلعبوا بالبيضة والحجر » !
- الحملة الصهيونية اشتدت لمنع تفسير الآيات التى تتعرض لليهود !
- قال فؤاد محيى الدين للسادات: عرضت مشيخة الأزهر على الشعراوى فرفض.. وهذا غير صحيح!

الشعراوى .. الذى لا نعرفه

حكايتى مع السادات

١

عرفت السادات وهو فى الظل

● التقينا لأول مرة فى بيت الدكتور جامع العضو اللامع فى جماعة الإخوان أيام زمان

● قبل الوزارة كلفنى السادات سرا بمهمة تنقية الأجواء مع السعودية

● كلمة أضفتها عند « حلف اليمين » فضحك السادات

ونأتى إلى حكاية الشيخ مع السادات والسيدة جيهان، وهى حكاية طويلة، بل هى حكاية الحكايات المثيرة فى حياة الشيخ! خاصة تجربته معه كوزير للأوقاف وشئون الأزهر، تلك التى جاءت فى فترة مليئة بالأحداث والوقائع الخطيرة فى تاريخ مصر، والوطن العربى عامة .

فترة التحولات الهائلة فى التوجه السياسى، والاقتصادى، وإعادة الصياغة من جديد لسوجه الحياة فى مصر ، بعد خمس وعشرين سنة من الثورة ، ومن التخبط ما بين اليمين واليسار!

فترة «كامب ديفيد» و«الانفتاح» على العدو الصهيونى، وبكل ماأحاطها من أسرار! وما تلاها من تداعيات.

لانريد أن نعبر سريعا فوق الوقائع والأحداث.

وإنما ننطلق من البداية .. ونمضى خطوة خطوة.

كيف تعرف الشيخ الشعراوى بالسادات؟ أين ومتى وكيف كان اللقاء الأول؟

كيف تلقى نبأ اختياره وزيرا؟ وأين كان عندما أبلغوه بالنبأ؟ ومن الذى أبلغه؟ وماذا كان رده ؟

ثم ما هى الكلمة التى أضافها الشيخ عند «حلف اليمين» فأضحكت الرئيس السادات. وحذفوها فى الاذاعة والتليفزيون والصحافة؟

تلك بعض التساؤلات التى نطرحها على الشيخ فى سياق هذا الفصل الأول من حكاية الشيخ مع السادات.

إن الشيخ الشعراوى وهو يتذكر الآن، ويروى على مهل كل ماجرى فى تلك الأيام الحافلة بالاسرار والخفايا، فإنه لايروى مجرد ذكريات خاصة، وانما هى صفحات من تاريخه وتاريخ الوطن.

فليتكلم الشيخ.. للحقيقية.. وللتاريخ !

□ عرفت السادات وهو في الظل □

تسألونني :

كيف تعرفت بالسادات ؟ متى وأين التقيت به لأول مرة ؟

وأقول : أنا التقيت بأنور السادات لأول مرة وهو في الظل! كان وقتها نائبا للرئيس عبدالناصر.

والسادات ، كما نعرف ، مرت عليه عهود.. مرة يكون فيها في الشمس المتوهجة.. ومرة يكون في الظل الظليل!

وأنا عرفته وهو في الظل الظليل !

قابلته في بيت صديقه وصديقي الدكتور محمود جامع أطال الله حياته .. والدكتور جامع طبيب أمراض جلدية..

وكان عضوا لامعا من الأخوان المسلمين .. وربما كان هذا هو السبب في الالتقاء الأول بين الدكتور محمود جامع وأنور السادات..

ومحمود جامع يتميز بأنه انسان وفي جدا لمعارفه وأصدقائه.. وعندما كان السادات في أشد أزماته مع الحكم كان هو قريبا من السادات.

وكان حضور السادات لزيارة الدكتور جامع يعني أنه قد أصبح في الظل.. أي خارج دائرة الحكم والسلطة والجاه والأضواء!

ويُذكر للدكتور جامع أنه احتضن فيما مضى أهالي الكثيرين من الإخوان المسلمين وأولادهم أيام الشدة.. وقدم لهم المساعدات إلى أن تخرج الأولاد في الجامعات.

كان السادات يزور الدكتور جامع كما قلت.. وكان وجيه أباظة صديق الدكتور جامع أيضا.. وكان يزوره.

وكنا نلتقي نحن الثلاثة أحيانا في زيارة الدكتور جامع.

وقال الشيخ : كان أولاد الدكتور جامع وهم صغار يضحكون ويلعبون حول السادات.. ويركبون على كتفه! وكان الولد خالد يشير بإصبعه إلى «زبيبة» الصلاة في جبهة السادات ويسأله «إيه دي!»!

وكان السادات يضحك.. وكنا نحن نضحك أيضا على لعب العيال !

وقال الشيخ : لم يكن السادات يتحدث كثيرا عندما رأيته أول مرة فى بيت الدكتور محمود جامع .. كان يستمع.

ولا أذكر أننى التقيت به بعد ذلك.. إلى أن أصبح رئيسا للجمهورية.

وحتى بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية لم أكن التقى به.. ولم أكن قريبا منه.. إلى أن اختارنى وزيرا للأوقاف !

وقال الشيخ : لكننى قمت بمهمة بعد أن تولى السادات الرئاسة..

●●●

كانت العلاقات مقطوعة بين مصر والسعودية بسبب الخلاف الذى كان قائما بين عبدالناصر والسعودية.. وكانت البعثة التعليمية الأزهرية التى تعمل فى السعودية والتى كنت أتولى رئاستها قد سُحِبت عند الخلاف وقطع العلاقات .

ومع تولى السادات للرئاسة أراد أن يعمل على تنقية الأجواء مع السعودية وإزالة الجفوة بين البلدين الشقيقين تمهيدا لإعادة العلاقات الطبيعية بينهما .

ويسأل السادات : فين الشعراوى ؟

فقالوا له : فى الجزائر.. إنه يتولى رئاسة البعثة الأزهرية التى ذهبت إلى هناك للقيام بمهمة «التعريب» الذى اتجهت إليه الجزائر بعد الاستقلال ليعود لها «لسانها العربى» الذى توارى فى ظل الاستعمار الفرنسى حتى أصبحت اللغة الفرنسية هى لغة الكلام !

فقال السادات : هاتوه.. هاتوا الشعراوى من الجزائر وقولوا له يطلع على السعودية.. ويمهد لعودة البعثة التعليمية الأزهرية للسعودية.. كخطوة أولى فى تنقية الأجواء وإزالة الجفوة وإعادة العلاقات بين البلدين الشقيقين .

وقال الشيخ الشعراوى : لقد اتصل بى السفير المصرى فى الجزائر.. وأبلغنى بالمهمة التى كلفت بها من جانب الرئيس السادات.

وفعلا سافرت فورا إلى السعودية.. وقابلت الأخوة هناك.. وتكلمنا.. وعادت البعثة الأزهرية إلى السعودية وعدت معها رئيسا لها.. كما عدت أستاذا بكلية الشريعة في مكة المكرمة.

وكانت عودة البعثة الأزهرية إلى السعودية هي بداية تنقية الأجواء وإزالة الجفوة وإعادة العلاقات الطبيعية إلى ما كانت عليه بين البلدين الشقيقين .

●●●

ونأتي للحديث عن الشيخ الشعراوى «وزير الأوقاف وشئون الأزهر ـ الأسبق» .

ويضحك الشيخ طويلا وهو يسمعني أقول لنتكلم عن «الشيخ وزير الأوقاف وشئون الأزهر ـ الأسبق» !

ويقول : عمرى ما قلتها.. ولا كتبتها!

وأسأل الشيخ مندهشا : ما هي ـ يا مولانا ـ التي لاقلتها ولا كتبتها ؟!

ويقول الشيخ وهو لايزال يضحك : العبارة التي ترددها.. عبارة: «وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق»!

لا قلتها .. ولاكتبتها.. ولاعمرى حاقولها أو اكتبها !

وأسأل الشيخ : لماذا ؟ لقد عشت تجربة الوزارة وجلست على كرسي الوزير.. وخضت معارك سياسية وغير سياسية خلال وجودك في هذا المنصب الذي استمر عامين إلا قليلا ـ إلا ٢٨ يوما ـ !

الشيخ : نعم ، كانت تجربة مثيرة وكانت معاركي فيها كثيرة وعلى عدة جبهات.. لكنني حين أنظر إليها الآن وأتأمل ما جرى أقول : انها كانت أسوأ ما في حياتي !

ويسكت الشيخ لحظات ثم يقول : نعم كانت أسوأ تجربة في حياتي، يوم أصبحت وزيرا !

ويضيف معبرا عن ضيقه : «أوقف!»

●قلت : ولماذا لم تتركها يا مولانا ؟

قال : حاولت كثيرا.. ولكن الأمر لم يكن بيدى !

لقد قلت لممدوح سالم رئيس الحكومة مرارا وتكرارا : اعتقنى لوجه الله! فكان رحمه الله، يقول لى وهو يضحك : سوف نخرج منها معا ان شاء الله ! وشاء الله أن نخرج معا..

ويضيف وهو يضحك من قلبه : اتعتقنا يوم «ما رفدونا » ! وكان هذا من فضل الله علينا !

ويقول الشيخ : الشيخ عبدالمنعم النمر رحمه الله كان زميلا وصديقا من أيام ما كنا فى الأزهر.. وقد تولى هو الآخر وزارة الأوقاف فى مرحلة تالية من بعدى ..

كان الشيخ النمر بعد خروجه من الوزارة يقول لى ضاحكا :

— انت حتفضل طول عمرك «فلحوس»؟!

وكنت أقول له : ليه ياوله ؟

فيقول : كلنا كنا وزراء أوقاف .. وكلنا بنكتب أسماءنا الآن ونقول: «وزير الأوقاف السابق .. أو الأسبق» أما انت فعمرك ما فعلتها! عمرك ما كتبت إلى جانب اسمك «وزير الأوقاف السابق أو الأسبق».. ليه بقى؟.. عامل نفسك «فلحوس»؟!

وكنت أضحك وأقول له : أولا أنا كنت وزيرا «لوزارتين».. الأوقاف وشئون الأزهر، أما انت ومن جاء بعدك فكنتم وزراء لوزارة واحدة هى الأوقاف ! يعنى أنا كنت أحسن منكم!.. أنا «اترفدت» بوزارتين! وأنتم «اترفدتم» بوزارة واحدة !

وكنت أقول له أحيانا عندما نكون وسط جمع بين الأصدقاء :

— أنا باستحى أقول أو أكتب «الوزير السابق» أو «الوزير الأسبق» لأننى أعتبر نفسى فشلت فيها ! فهى بالنسبة لى «عيب»

أحرص على أن «أستره» في نفسـي! أما أنت وغيرك فمن الجائز تكونوا قد نجحتم في الوزارة وعملتم حـاجـة «كويسـة» تجعلكم تتفاخرون بانتسابكم إليها.. سابقا ! وكنا نضحك ..

ويقول الشيخ وهو لايزال يتناول الموضـوع بالسخرية والتهكم : كل وزير أوقـاف جديد كـان يأتى لـزيارتي بعد أن يتسلم عمله ، ونجلس نتكلم فكنت أقول ضاحكا :

— أنا عارف انت جاى تزورنى علشان إيه؟

فيقول : علشان إيه يا مولانا ؟

فأقول : عـايز تعرف ايـه اللى أنا عملته و«اتـرفدت» علشان تـاخد بالك كويس وما تقعش في نفس الغلط اللى أنا وقعت فيه !

●●●

ويروى الشيخ كيف تلقى نبأ الوزارة ؟

كيف عرف باختياره وزيرا للأوقاف ؟ يقول :

كنت وقتها أعمل أستاذا بكلية الشريعة في مكة المكرمة.. فاتصل بى السفير المصرى في السعودية تليفونيا وقال لى «طالبينك في مصر »!

وأذكـر ان الاتصـال كـان مساء يـوم الأحد .. وكنت لحظتهـا ألقى محاضرة على طلبة الكلية.

سألته : من الذى يطلبنى ؟

قال : الرياسة ! تعال إلى مكتبى .. وسوف يحدثونك في التليفون .

ورحت على السفارة في جدة ..

وقابلت السفير المصرى وكان اسمه أحمد ثابت .

وجلست في مكتبه في انتظار المكالمة التليفونية من القاهرة .

وجاءت المكالمة .. وكان المتحدث هو ممـدوح سالم الذى كان يقوم بتشكيل الوزارة الجديدة ..

قال لى ممدوح سالم : انهم اختارونى لوزارة الأوقاف .

فحاولت أن أعتذر عن عدم قبولي للوزارة شاكرا لهم تفضلهم باختياري.. وتكلمنا طويلا ..

وشرحت له ظروفي .. وقلت له : انني غريب عن مصر منذ ٢٦عاما.. وليس لي جلد على مثل هذا العمل ..

فرد بعبارات طيبة مشجعا لي على قبول تولي الوزارة للنهوض بها وبرسالتها السامية.

فقلت له موضحا الأسباب التي تجعلني لاأقبل عملا في ظل ظروف وأوضاع تحول دون تحقيق ما هو مطلوب لإنجاز تلك المهمة السامية التي يتكلم عنها .

وقلت هناك قانون للأزهر .. وكان هناك وزيران . وزير للأزهر .. ووزير للأوقاف ..

ومثل هذا الوضع المزدوج لايستقيم معه العمل لا في الأزهر ولا في الأوقاف .. وهناك أشياء كثيرة في حاجة إلى تصحيح.

فقال : تعال واكتب المذكرة التي تريدها في هذا الخصوص لتصحيح الوضع كما تراه.. وأعاهدك بأنني سوف أدافع عن وجهة نظرك وأقف جانبك .

فقلت له : حاضر يا سيدي .

ويمضي الشيخ في روايته فيقول : لم تكن الأمور قد استقرت في نفسي، أو حسمت بالرفض أو القبول.. وأخذت أفكر في هذا الموضوع الجديد الذي وجدتني فيه دون مقدمات .

وكان معي في السعودية ابني سامي وهو أكبر أبنائي.

فسألته : ماذا ترى؟ ما رأيك يا ابني ؟

فقال : صحيح إنك غريب عن مصر منذ ٢٦سنة.. ومواقفك معروفة مع جمال عبدالناصر.. فإذا ما جاء السادات وترك كل من يعرفه في مصر وأخذ يسأل عن رجل يعمل في مكة، فمن الجائز أنه يريد أن يعمل تغييرا وأن في ذهنه شيئا.. فتوكل على الله .

واسترحت لكلام سامى ابنى .

وأخذت جواز السفر ورحت لعميد الكلية وقلت له أريد أن تعمل لى تأشيرة خروج وعودة فى أسرع وقت.. وفعلا عملها .. وسافرت إلى القاهرة..

سافرت بتذكرة من فلوسي أنا ورفضت التذكرة التى قدمها لى السفير وفى المطار قابلني بعض من أصدقائي .. وكانوا فريقين.

فريق يقول: «لا» لاتقبل الوزارة .. وهذا الفريق كان على رأسه الصديق الدكتور سيد جلال .

وأخذ هذا الفريق يعدد لى المتاعب والصعاب التى سأواجهها والتى ستشغلني عن أى عمل مفيد .

أما الفريق الآخر فكان يرى أنها تجربة يجب أن أخوضها لعل فيها الخير لخدمة الوطن والرسالة.. وكان هذا الفريق يؤيد وجهة نظر ابنى سامى وهى أن أقبل .

وقلت : سوف أستخير الله الليلة.

واستخرت الله فوجدتني أقابل ممدوح سالم !

سؤال : عفوا فضيلة الشيخ، كيف استخرت الله ؟

قال الشيخ : قلت دعاء الاستخارة .. قلت: «اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من عظيم فضلك، فإنك تقدر ولاأقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشي وعاقبة أمرى وعاجله وآجله، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشي وعاقبة أمرى وعاجله وآجله، فاصرفه عنى واصرفني عنه. وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضني به».

هذا هو دعاء الاستخارة.

وقد قلت هذا الدعاء بعد أن قمت بصلاة ركعتين ثم نمت .

ويعود الشيخ إلى سياق الحديث ويقول : ذهبت لمقابلة ممدوح سالم.. وقابلته. وتحدثت معه طويلا.. واتفقنا على المذكرة التى سأكتبها بخصوص إصلاح الأوضاع والعلاقة ما بين الأزهر والأوقاف، ومنصب شيخ الأزهر.. ووعدنى ممدوح سالم بأنه سوف يؤيدنى فى كل ما أراه ، وسوف يرفع المذكرة للرياسة ويعمل على الاستجابة لها .

وفى نهاية المقابلة قال لى ممدوح سالم : غداً أن شاء الله موعدك مع الرئيس من أجل «حلف اليمين».. وسوف أرسل لك سيارتى لتوصلك إلى القصر الجمهورى.

وفى اليوم التالى جاءنى سائق ممدوح سالم بسيارته وأخذنى للقصر.. وحلفت اليمين..

كان اليمين مكتوبا فى ورقة.. وأقسمت بما كتب فيها ثم أضفت كلمة فى نهاية القسم من عندى .. وهى: «إن شاء الله»؟ وقد قلتها وأنا أطوى الورقة وأضعها فى جيبى.. فضحك السادات !

وأدركت أنه سعد بسماع هذه الكلمة عملا بالآية الكريمة «ولاتقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله»..

لكنهم حذفوا كلمة «ان شاء الله» فى الاذاعة وفى التليفزيون!

وقال الشيخ الشعراوى: انه لم يذهب إلى الوزارة فى اليوم التالى لحلف اليمين وانما بعد عشرة أيام .

وكان المهندس عبدالعظيم أبو العطا وزير الرى وقتها قد جاءه فى بيته فى اليوم العاشر يستفسر عن عدم ذهابه إلى الوزارة وقال له : انه موفد إليه بهذا الخصوص من قبل ممدوح سالم رئيس الوزراء.. فقال له الشيخ الشعراوى :إنه أمضى هذه الأيام يفكر فى أحوال

الـوزارة .. وفى دراســة أوضــاعها.. وانــه سيـذهب إلى مكتبه فى اليـوم التالى .

وفى اليوم التالى دخل «الوزير الجديد» الشيخ الشعراوى إلى مكتبه بوزارة الأوقاف لأول مرة !

●●●

ويمضى الشيخ الشعـراوى فى روايــة تجربته فى الـوزارة فيقـول : كتبت المذكرة التى اتفقت بشأنها مع ممدوح سالم .. رئيس الوزراء.. وقدمتهـا له.. ورفعها إلى الـرئيس السادات.. وانتظـرت.. وأخذت أعمل فى ظروف بالغـة الصعوبة.. وأخيرا قررت الاستقالـة.. وقابلت ممدوح سالم.. وقلت له : الاتفاق الذى جئت على أساسه لم يتحقق .. والمذكرة التى كتبتها لك ورفعتها أنت إلى الرياسة لم تلق استجابة حتى الآن.. وأنا أريد أن أستقيل.

وابتسم ممدوح سالم رحمه الله وقال : اصبر يا شيخ شعراوى .

وعنـدما وجـد منى الحاحا وتكـرارا لمطلبى فى الاستقـالة قـال : فى العهود الثورية لايسمح للوزير بأن يستقيل !

فقلت : يعنى لازم «يترفس»؟!

قال : اصبر شويه.. وسوف نحاول الكلام فى موضوع المذكرة التى كتبتهـا.. وسوف نتعاون معا فى حل الصعوبات التى تواجهها .

وقال الشيخ الشعـراوى : من الأوضاع الغريبة والعجيبـة انهم بعد الثورة أصـدروا قانـونا جديدا أسموه قـانون تطـوير الأزهـر ، وهو القانون ١٠٣ الذى صدر سنة ١٩٦١، والذى أقره مجلس الأمة فى ليلة واحدة دون أن يأخذوا رأى الأزهر فيـه ! وجعلوا لشيخ الأزهر «هيمنة شكليـة فقط» فلم يعـد بـاستطاعتـه أن يعين «فـراشـا»! كل شىء فى الأزهر كان يتبع «وزير شئـون الأزهر».. وكان شيخ الأزهر لايستطيع أن ينفذ قرارا إلا إذا اعتمـده الوزير ! وكان ذلك مـن الأوضاع المؤسفة التى حاولت اصلاحها وتناولتها فى المذكرة التى كتبتها.

وقال الشيخ : عندما توليت وزارة الأوقاف وشئون الأزهر.. كان الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله هو شيخ الأزهر.. وكنت أحبه وأقدره وأجله لعلمه وخلقه.. وكنت لاأقبل ولا أسمح لنفسي أن يرسل لي بالقرارات التي يريد تنفيذها لكي أوقعها باعتباري الوزير ! حسب ما تقوله اللائحة !

كنت لا أقبل أن يرسل لي الشيخ الجليل عبدالحليم محمود شيخ الأزهر القرارات إلى مكتبي في الوزارة لكي أوقعها له.. وقلت له : يامولانا كل القرارات تبقى عندك وأنا الذي أحضر إليك لكي أوقعها!

واتفقت معه على أن أذهب إليه في يوم محدد كل أسبوع لأوقع له القرارات !

وتساءل الشيخ الشعراوي مستغربا : هل هذا معقول ! هل من المعقول ألا يكون لشيخ الأزهر الشريف سلطة إصدار القرار! وأن يكون للوزير - أي وزير - سلطة فوق سلطة شيخ الأزهر الشريف؟!!

وقال الشيخ : هذا الوضع المقلوب كان قائما! وقد حاولت اصلاحه في المذكرة التي كتبتها.

لقد طالبت في المذكرة بأن يكون شيخ الأزهر «نائبا لرئيس الجمهورية». وألا يحال إلى المعاش مهما تقدمت به السن.. وأن لايقيله أحد من منصبه

ولكنهم - فيما بعد - جعلوا شيخ الأزهر بدرجة رئيس الوزراء .

وأخذوا بعدم إحالته إلى المعاش مهما تقدمت به السن.

ولكنهم سكتوا وأغمضوا عيونهم عن «حتة» الاقالة !

وعندما يكون شيخ الأزهر بدرجة رئيس الوزراء.. فلابد أن تنتقل «التبعية» من وزير الأوقاف وشئون الأزهر إلى رئيس الوزراء..

ويصبح رئيس الوزراء هو الذي يقوم بإقرار ما يريده شيخ الأزهر وليس الوزير .

وهذا ما حدث فيما بعد في مرحلة تالية بعد خروجي من الوزارة .

وقال الشيخ الشعراوي: انني أنفقت كل ما كان معي من مدخرات في الفترة التي عملت فيها وزيرا .

كان مرتبي كوزير للأوقاف وشئون الأزهر هو ٢٧٠جنيها ! وأكرر فقط مائتان وسبعون جنيها ! وكنت أنفق مما جمعته من عملي في السعودية على احتياجاتي في الوزارة .

وكنت أجد نفسي في مأزق عندما يحضر وفد من الخارج ويتحتم على ان أدعوه على الغداء أو العشاء.. فالوزارة ليس فيها فلوس.. وكان صديقي الحاج أحمد أبو شقرة يرفع عني الحرج ويتحمل هو دعوة وفود الوزارة على الغداء أو العشاء!

وجاء اليوم الذي لم يعد يتبقى فيه من رصيدي في البنك سوى ٣٢٥جنيها! وكنت أنفقت كل ما جمعت خلال عملي في السعودية.. أنفقته خلال عملي في الوزارة .

وأذكر انني أخذت «كشف حسابي في البنك» والذي يوضح أن رصيدي أصبح ٣٢٥ جنيها، وقدمته لممدوح سالم.. وقلت له : انني أصرف من «لحم الحي»! وعندي التزامات.. ولم يعد عندي فلوس.. وأنا زهقت فاعتقوني لوجه الله! اعتقوني يرحمكم الله!

وابتسم ممدوح سالم يومها وقال كلمته المعتادة : اصبر يا شيخ شعراوي.. هانت.. أنت وانا سنخرج معا قريبا ان شاء الله!

ويضحك الشيخ الشعراوي طويلا وهو يقول :

— في اليوم الذي كنت أشكو فيه حالي لممدوح سالم وأقول له : انني أنفقت كل مدخراتي ولم يتبق سوى ٣٢٥جنيها في حسابي في البنك.. في ذلك اليوم ركبت السيارة مع سائقي على شريف ليوصلني إلى البيت.. وكنت قد تعودت أن أعطيه مرتبي ليتولى هو «الصرف» على احتياجاتي في الوزارة.. وكان رحمه الله انسانا طيبا جدا وكان يتعب

كثيرا.. وكثيرا ما كنت أصلى وراءه.. وكان يعرف أن مرتبى كوزير لايكفى واننى أصرف من مدخراتى.. لكنه لم يكن يعرف أن مدخراتى قد نفدت ولم يبق منها سوى ٣٢٥جنيها .

وفى ذلك اليوم أخذ السائق على شريف يلف بالسيارة ليشترى بعض الاحتياجات.. واستغربت عندما سمعته يشير بيده إلى إحدى العمارات ونحن فى الطريق ويقول : «العمارة دى بتاعتنا يامولانا»!.. وفى شارع آخر وجدته يشير بيده إلى عمارة أخرى ويقول: «والعمارة دى يا مولانا برضه بتاعتنا»! واندهشت لما يقوله !. وقلت له :

— أنا يا ابنى زهقت من الوزارة.. وكل اللى كان معايا صرفته.. وحاسيب الوزارة علشان أشوف حالى وآكل عيش.. وانت يا ابنى مادام ربنا كرمكم.. والعمارتين دول بتوعكم.. ايه اللى زنقك تشتغل سواق! وتتعب نفسك ليل ونهار.!

فقال : لا.. موش بتاعتنا احنا.. ما اقصدش كده!

قلت له : انت من دقيقتين بتقول العمارة دى بتاعتنا — والعمارة دى بتاعتنا !

قال : قصدى بتاعتك يا مولانا !

فاندهشت أكثر وقلت له :

— يا ابنى أنا معنديش حاجة! الحكاية كلها ماشية على فيض الكريم !

فقال : يا مولانا انت موش فاهمنى..!

قلت : طيب .. من فضلك فهمنى يا اسطى على !

قال : انت موش وزير الأوقاف !

قلت : أيوه ياعلى! أنا وزير الأوقاف وشئون الأزهر كمان !

قال : والعمارتين دول بتوع الأوقاف ! يبقوا بتوعنا يا مولانا ! موش كده؟!

قلت : كده يا أسطى على !

وقال الشيخ : أذكر اننى فى جلسة كان يحضرها السادات وممدوح سالم .. أذكر اننى قلت : هل تظنون أن الشعب يصدق أويقتنع بأن الوزير يأخذ ٢٧٠جنيها فى الشهر! ده انتم جايبين لنا «تهمة»! والناس فاكرة ان الفلوس نازلة علينا زى الرز! واننا «حرامية»!

وضحك السادات رحمه الله يومها طويلا وقال :

— الصيت ولا الغنى يا شيخ شعراوى !

وقلت : أنا وصلاح حامد كل فلوسنا ضاعت من يوم ما اشتغلنا وزراء.. والقرشين اللى كانوا معانا صرفناهم.. فاعتقونا لوجه الله!

سؤال : لقد عبر الشيخ سريعا على وقائع كثيرة، كل واحدة منها تحتاج إلى وقفة طويلة فى تجربته كوزير .

ونريد أن نعود إلى البداية ونمضى.. خطوة خطوة..

نريد أن نسمع من الشيخ وقائع اليوم الأول له فى الوزارة ؟

قال الشيخ وهو يتذكر ما جرى فى ذلك اليوم : نعم كان يوما.. حافلا بالوقائع المثيرة.. فقد اتخذت ثلاثة قرارت كان لكل منها حكاية.. ودلالة.

كان القرار الأول يتعلق بترقية موظف إلى درجة وكيل وزارة .

وكان هذا الموظف قد تقدم بطلب إلى «فضيلة الشيخ الوزير»يرجوه فيه العمل على إنصافه وترقيته إلى الدرجة التى يستحقها وهى درجة وكيل وزارة .

ووافق الشيخ وأصدر له قرار الترقية إلى درجة وكيل وزارة..

وشكره الموظف وخرج من مكتبه ليعلن الخبر السعيد لزملائه ويشكر فضيلة الشيخ الشعراوى الوزير الذى أنصفه بعد ظلم طويل!

●●●

وقال الشيخ الشعراوى: أنه فوجىء بزميل للموظف الذى أنصفه

يدخل عليه ويعاتبه كيف وافق على ترقيته بهذه السرعة وهو لايعرف ماذا فعل هذا الموظف !

وسأله الشيخ : ماذا فعل ؟

قال زميل الموظف : لقد سبق لـه يا فضيلة الشيخ أن كتـب ضدك «مذكـرة سرية» يقول فيها: انك لاتصلح «وكيل وزارة» وقـد كتب هذه المذكرة السرية ضـدك عندما وصلت إلى درجة «مدير عام» وجاء عليك الدور للترقية إلى درجة «وكيل وزارة»!

وقدم زميل الموظف للشيخ صورة مـن «المذكرة السرية» التى كتبت ضده ليؤكد صدق ما يقول !

وفوجىء زميل الموظف بالشيخ يشكره ويقـول له: انه يعرف قصة هـذه المذكرة السريـة التى كتبهـا الموظف ضـده وأنـه قال فيهـا: «أن الشيخ الشعـراوى رغـم علمـه وخلقـه إلا انـــه لا يصلح وكيل وزارة لانقطاع الصلة بينه وبين شئون الإدارة» .

وسأل الشيخ زميل الموظف :

— أليس هذا هو ما كتبه فى المذكرة السرية عنى ؟

قال زميل الموظف : نعم .. هـذا بالضبط مـا كتبه ضدك يـافضيلة الشيخ.

قـال الشيخ : وهـــذا صـحيح! فأنـا فعـــلا لاأصلح «وكيل وزارة» لانقطاع الصلة بينى وبين شئون الادارة !

وأضاف الشيخ مبتسما :

— ولكنى قد أصلح كوزير .!

●●●

ويأتى الحديث عن القرار الثـانى الذى اتخذه الشيخ فى اليوم الأول من عمله كوزير للأوقاف .. فيقول :

عرفت قصـــة الموظف «المغربى» رئيس هيئة الأوقاف قبل أن أدخل إلى مكتبى وأبـاشر عملى كوزيـر.. عرفت أنـه مظلوم ومضطهـد، وأنه

عـانى كثيرا، وأن قرارا ظـالما وجائرا قـد صـدر بإيقافـه عن العمل .. ولذلك أصدرت قرارا بإعادته إلى عمله .

ومع ذلك لم يسلم الموظـف المسكين من المتاعب والملاحقـات من بعض الأجهزة الادارية والرقابية نتيجة الشكاوى الكيدية!

وانتهى الأمر بتلك الأجهزة إلى المطالبة بإقصائه عن العمل.. قبل أن يفصل فى القضية التى رفعها متظلما! وأرسلت هـذه الأجهزة الأوراق إلى رئيس الجمهـورية الســادات للتصـديق عليها.. أى للتصـديق على إقصائه عن عمله ..

وجاءنى بعض الناس الطيبين يطلبـون منى أن «أتشفع» للمـوظف المسكين الذى حاولت من اليوم الأول أن أرفـع عنه الظلم بعـودته إلى عملـه وقالـوا لى : إنـه سيضيع، وأن كلمـة طيبة من جـانبى للـرئيس السادات قد تنجح فى إنقاذه مما دبروه له .

وكتبت للـرئيس الســادات رسالـة .. قلت لـه فيهـا : «استشفـع بى فـلان» يا سيـادة الرئيس وقد أعلمته أن سيـادة الرئيس لم يـرفعنى لمرتبـة المستشفعين.. ولكننى أطمع فى أن يجبر خاطـرى معكم أن تقبل هذه الشفاعة وأن تكون هى الأولى والأخيرة.

وقرأ الســادات الشفاعـة.. وكتب بالقلـم الأحمر «أنا لا أرد شفـاعة الشيخ»!

ويضيف الشيخ : وتمر الأيـام.. ويقـول القضـــاء كلمتـه لصـالح الموظف المسكين.. ويؤكد نزاهته.. ويحكم له بكل حقوقه.

وقد حمدت الله يومها كثيرا..

فالموظف الذى أنصفته فى اليـوم الأول لعملى فى الوزارة ، قد أنصفه القضـاء وأكد نزاهته بعد كل الذى عاناه هذا المسكين !

الشعراوى .. الذى لا نعرفه

حكايتى مع السادات





ضربت « الحوت » ..
الذى كان يشتم « أجدع » وزير !

- لماذا أعاد السادات « الحوت » قبل أن تفصل المحكمة فى قضيته ؟
- أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ انتفاضة شعبية أم انتفاضة حرامية ؟
- لماذا أصدرت المحكمة الدستورية حكمها بالإجماع ؟

كانت معركة الشيخ الشعراوى مع «الحوت» من أشد المعارك وأكثرها ضراوة! وكان شيئا مثيرا أن تبدأ هذه المعركة مع اليوم الأول للشيخ فى الوزارة وتستمر حتى اليوم الأخير!

من أجل خاطر عيون «الحوت» ونتيجة لنفوذه وعلاقاته الواسعة قام أحباب «الحوت» وأنصاره بتوجيه «الاستجواب» للشيخ فى مجلس الشعب، فى جلسة عاصفة لم تشهدها الحياة البرلمانية فى مصر فى تلك الفترة! لقد فوجىء المجلس بالشيخ يوجه الاتهام إلى أعضائه ويسألهم: لماذا أغمضتم العيون عن انحرافات «الحوت» وأنتم تعرفونها جميعا! أنا الذى جئت لأستجوبكم!

كيف بدأت معركة الشيخ مع «الحوت» الذى انحرف بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية عن وظيفته، وأحاله إلى «امبراطورية» خاصة سيطر بها على وزارة الأوقاف، وفرض سطوته على وزرائها، وإلى حد إرهابهم وتخويفهم، وإهانتهم، وتوجيه أقذع وأفظع ألفاظ السباب والشتائم إليهم ؟!!

كيف استطاع الشيخ أن يضرب هذا «الحوت»؟! وأن يصفى «امبراطوريته»؟ وأن يعيد المجلس الأعلى للشئون الاسلامية إلى وضعه ووظيفته فى خدمة الدعوة والرسالة ؟!

تلك أسئلة يضع الشيخ إجاباته فى سياق هذه المواجهة التى تدور حول «معركة الشيخ مع الحوت» كاشفا أسرارها وخفاياها!

لماذا أعاد الرئيس السادات «الحوت» إلى موقعه بقرار مكتوب بخط اليد ! بينما «قضية الحوت» معروضة أمام المحكمة الدستورية العليا، وقبل أن تقول المحكمة كلمتها؟!

أيضاً يكشف الشيخ فى سياق هذه المواجهة عن حقيقة موقفه من أحداث ١٨و١٩يناير ١٩٧٧ التى وقعت بعد شهرين وثمانية أيام من توليه الوزارة! وهى الأحداث التى وصفها اليساريون والشيوعيون بأنها «انتفاضة شعبية» من أجل الخبز والحرية! ووصفها السادات بأنها «انتفاضة حرامية»! وقال الشيخ عنها انها كانت «فتنة ومحنة» فى وقت عصيب!

فليتكلم فضيلة الشيخ.. للحقيقة والتاريخ.

ويتواصل الكلام عن «تجربة الشيخ وزيراً».

ونعود به إلى سياق الحديث . إلى ثالث القرارات التى اتخذها الشيخ فى اليوم الأول لدخوله مكتبه بالوزارة . وهو القرار لذى أحدث دوياً، وكان له ما بعده!

قرار ضرب «الحوت»! الذى طغى وبغى، وتصفية امبراطوريته التى سيطر بها على وزارة الأوقاف ووزرائها سنوات!

والسؤال : من هو هذا «الحوت»؟

والاجابة: انه كان «سكرتير» المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.. وليس مهماً الأسماء. المهم هو الوقائع ومالها من دلالات !

وسؤال آخر : ما هى حكاية هذا المجلس أصلاً؟ ومتى أنشىء؟ ومن الذى أنشأه ؟ وكيف تحول — بعد عشرين سنة من انشائه ـ إلى امبراطورية على يد هذا «الحوت»؟

●●●

كيف بدأت المعركة؟

كيف دارت المواجهة بين «الشيخ الشعراوى» وزير الأوقاف وشئون الأزهر وبين «الحوت» صاحب امبراطورية المجلس الأعلى للشئون الاسلامية!

الشيخ يتكلم .. يقول : كان «الحوت» يشتم «أجدع وزير»! وبألفاظ بذيئة وخارجة !

كان يقف على باب الوزير ويشتمه ويسبه بأقبح الألفاظ !
كان الأمر الناهي في وزارة الأوقاف.
وكانت قد صدرت له « تفويضات » من وزراء الأوقاف السابقين لي..
استطاع بهذه «التفويضات».. وبنفوذه وبعلاقاته الواسعة والوثيقة بالمسئولين أن يفرض سطوته وسيطرته وجبروته.. وأن يطلق لسانه على كل وزير من الوزراء الذين سبقوني في الوزارة.
وقال الشيخ : كنت أعرف كل ذلك قبل دخولي إلى مكتبي بالوزارة واستلامي العمل.
وفي أول أيامي في الوزارة كان ثالث قرار أصدره هو قرر إنهاء «الحوت»! وتصفية «الامبراطورية» التي صنعها من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.. وإعادة المجلس إلى وظيفته الحقيقية وإلى دوره ومهمته الأساسية في خدمة الدعوة .
وبعد ساعة واحدة من صدور القرار فوجئت بممدوح سالم رئيس الوزراء يتصل بي، ويرسل لي شخصا يسألني ويستفسر عن اصداري لهذا القرار الخاص بإنهاء دور «الحوت» و«تصفية» امبراطوريته بهذه السرعة التي اعتبرها «تسرعا»!
سألني مبعوث رئيس الوزراء : لماذا تسرعت في إصدار هذا القرار؟ لماذا لم تستشر رئاسة الوزراء؟
فقلت : ما فعلته هو من اختصاصي كوزير ! فهل استشير في شيء يدخل في دائرة اختصاصي؟! مسئوليتي؟! وحقي؟!
وإذا كان مطلوبا مني أن أستشير في أمور هي من اختصاصي ومسئولياتي وحقي.. فماذا يبقى لي كوزير؟!
وقلت : ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية أنشيء بقرار «وزاري» من الوزير أحمد عبدالله طعيمة سنة١٩٥٩.. وكانت تحت

المسئولية المباشرة لوزير الأوقاف .. وعندما تولى «الحوت» رئاسة المجلس فى مرحلة تالية انحرف به وحصل على تفويضات من بعض وزراء الأوقاف استخدمها فى تحويل المجلس إلى امبراطورية سيطرت على وزارة الأوقاف ووزرائها.. عندما وجدت هذا الوضع كان لابد من تصحيحه.

كان كل ما استند إليه «الحوت» فى اقامة إمبراطوريته وفرض سيطرته هى «قرارات وزارية».. قرارات من وزراء.. فأنا ألغيتها كوزير.. وهذا حقى!

●●●

وقال الشيخ : لقد غضب «الحوت» وقعد فى بيته! وتصورت أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد.

لكن تبين لى أن قرارى بإنهاء «الحوت» وتصفية امبراطوريته كان بداية لمواجهة ساخنة بدأت من يوم صدر القرار فى أول يوم لى فى الوزارة واستمرت إلى آخر يوم لى فى الوزارة!

كانت معركة ! وهى معركة تكشف عن أساليب الحيتان واحتيالهم فى النفاذ إلى قمة السلطة .

لقد فوجئت بأن ردود فعل القرار الذى أصدرته بإنهاء «الحوت» وتصفية «امبراطوريته» قد وصلت إلى الرئيس السادات!

وقالوا : ان «الحوت» نجح فى افهام الرئيس بأنه يستخدم امبراطوريته لخدمة سياسة الدولة فى داخل مصر وخارجها !

وقالوا أيضا : اننى أغضبت بعض القريبين إلى الرئيس بقرار انهاء «الحوت»!

وتحولت المواجهة مع «الحوت» إلى «استجواب لى» فى مجلس الشعب! استجواب لى من أجل الحوت!

وكان هذا شيئا غريبا .

ويوم الاستجواب ، وقبل أن اذهب إلى مجلس الشعب، دخل إلى

مكتبي سكرتيري الاستاذ خليفة عبدالسلام وقال لي: إنه أعد لي ملفا كـامــلا بـالوثـائق والبيـانــات التي يمكن أن أستعين بها في الـرد على «الاستجـواب» في مجلس الشعـب، وكلهـا وثـائق ومستنــدات تـدين «الحوت» وتكشف عن انحـرافاتـه وتجاوزاته.. لكنني رفضت أن آخذ هـذ الملف وقلت لـه: لن آخذ ورقـة واحـدة من هـذا الملف معي.. ولن أدخل بورقة في يدي!

●●●

وفعلا ذهبت إلى مجلس الشعب.. ودخلت وليس في يدي ورقة..

وبدأ الاستجواب.. وقالوا كل ما عندهم.. ووقفت لأقول كلمتي..

وقلت : الســلام عليكم ورحمة الله وبركـاته.. وبعـد : يعلم الله أني ماجئت لأرد على استجواب.. وانما جئت لأرد الاستجواب!

أنتم تسـألونني مستجوبين.. وأنا أرد عليكم الأمر مستجوبا!

قلت : ديوان المحاسبة تـابع لكم.. تابع لمجلس الشعب.. وقد فوض المجلس ديوان المحاسبة أن يدرس تصرفات فلان «الحوت» .

وقام ديـوان المحاسبـة بالـدراسة.. وكتب تقـريرا مـودعا لـديكم.. والتقريـر تم توزيعـه على أعضـاء المجلـس.. وهو يتضمن الانحـرافات والتجاوزات التي تدين فلان «الحوت»! فلماذا لم تتخذوا قرارا فيه؟

ان المجلس هـو الذي يجب أن يوجـه إليـه الاستجواب! لماذا تـرك فلان «الحوت»؟ لماذا لم يتخذ بشأنه قرارا؟!

وقـال الشيخ معلقـا على صـدى كلمتـه وردود فعلهـا في مجلس الشعب :

— أنا فـرقعت «القنبلة» دي في المجلس يا مـولانا. فأصـبح المجلس حاجة تانية! المجلس «اتلخبط»! ومعدش حد قادر يقول كلمة!

وأضـاف الشيخ : أنـا كنت شايل في جيبي التقرير اللي عملـه ديوان المحاسبـة عن انحرافــات وتجاوزات الحوت.. كنت «مدكنــه» في جيبي وطلعته.. وقلت لهم : «التقرير أهه!» لماذا لم تتخذوا أي اجراء بشأنه !

وقال الشيخ : كل الجرايد والصحافة كتبت عن اللى حصل فى الجلسة الصاخبة لمجلس الشعب.. واعتقدت أننا أن «الحوت» قد انتهى ..

لكن تبين لى بعد ذلك أن «الحوت» لم ينته !

وأن محاولات «الحوت» مستمرة لاستعادة امبراطوريته ونفوذه وفرض سيطرته وسطوته على وزارة الأوقاف ووزير الأوقاف !

●●●

لقد لجأ «الحوت» إلى المحكمة الدستورية لعليا ليبطل القرار الذى أصدرته بإنهاء دوره وتصفية امبراطوريته وإعادة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية إلى وظيفته الحقيقية. ولم أستغرب أن يفعل «الحوت» ذلك.

لكن الذى استغربت له هو أننى فوجئت بصدور قرار من الرئيس السادات مكتوبا «بخط اليد» بإعادة «الحوت» إلى عمله «ردا لاعتباره»!

وتصورت فى أول الأمر أن هناك «اتفاقا» لإعادة «الحوت».. وأن المحكمة ستصدر حكمها لصالحه.. وإلا فكيف يصدر الرئيس قرارا بإعادة «الحوت» قبل أن تفصل المحكمة فى أمره!

لكن الذى حدث بعد ذلك كان شيئا مثيرا..

لقد أصدرت المحكمة حكمها بإدانة «الحوت»!

وقررت فى حكمها ألا يتولى «الحوت» أى منصب فى الدولة لأنه «غير مأمون على منصبه» حسب ما نص عليه الحكم!

وكان الحكم «بالاجماع».. أى اجماع أعضاء المحكمة الدستورية العليا.. وليس «بالأغلبية»!

وكان الذى استوقفنى وأثار حيرتى هو «لماذا الحرص فى نص الحكم على أنه صدر بالاجماع؟»!..

وحاولت أن أعرف السر !

وعرفت أن المستشارين قد حصل بينهم نقاش.. وأنهم كانوا قد

عرفوا بأن هناك قرارا صدر بعودة «الحوت».. وأن صدور حكم يتضمن في نصه أن بعض المستشارين كان مع إعادة «الحوت» والبعض الآخر لم يكن مع إعادته.. هذا الحكم بهذ النص سيجعل البعض مع القرار الذي صدر من الرئيس والبعض الآخر ضد القرار.. ولذلك حرصوا جميعا على أن ينص في الحكم بأنه صدر «بالاجماع»!

وكان هناك شيء آخر قد حدث صباح يوم صدور الحكم وأثار الاستياء!

فقد ذهب «الحوت» مع عدد من أنصاره إلى المحكمة وصحب معه «قطيعا من الأغنام والعجول» ليذبحها أمام المحكمة فور صدور الحكم !

وكان تصرفه هذا يعني أنه كان واثقا من أن الحكم سيكون لصالحه !

وقد شاهد كل الذين دخلوا المحكمة صباح ذلك اليوم المظاهرة التي أعدها «الحوت» أمام باب المحكمة! مظاهرة قطيع الأغنام والعجول !

وسخروا منه بعد صدور الحكم !

وقال الشيخ : كانت «حكاية الحوت» هي السلبية الوحيد في العلاقة التي كانت بيني وبين السادات.. ومع ذلك فأنا كنت أحبه لجرأته وأعماله الكبيرة لتي لم يكن غيره يستطيع القيام بها.

وأضاف : وأنا أعتبر أن مواجهتي «للحوت» وانهاءه وتصفية «امبراطوريته» هي واحدة من ثلاثة أعمال كبيرة قدمتها خلال تجربتي كوزير للأوقاف وشئون الأزهر ..

● أما العملان الآخران فهما :

أولا : انني أعززت العلماء ووضعت التقاليد التي تجعل الشيخ الأزهري يتبوأ المناصب الكبيرة في وزارة الأوقاف ويأخذ حظه منها.

قبلي لم يكن هناك وكيل وزارة من المشايخ! كلهم كانوا من قبل الافندية! وكانوا يأتون بهم من خارج الوزارة ومن غير المشايخ.

ولكنني اخترت أول «وكيل وزارة» من المشايخ وتمسكت برأيي.

كان المشـايخ يقفـون عند درجة «مـدير عـام» ولايتعدونها.. فـأنا عملت تقريرا قلت فيه: إنني سأختار «وكيل وزارة» من المشايخ.

واخترت فعـلا الشيخ ابراهيم الدسـوقي ليتولى «وكيل الـوزارة» فكان نموذجا طيبا شرفني ، وصار بعد ذلك وزيراً للأوقاف .

ثانيـا : انني عملت أول بنك اسلامي فى مصر وهـو «بنك فيصل».. ولا أنسـى هنا أن أذكـر بالتقدير موقـف الدكتور حامد السـايح وزير الاقتصـاد والماليـة حينذاك الـذى وقف فى مجلس الشعب وقـال: «هذه تجربة جديدة على الاقتصاد المصرى وأنـا لا أعرفها ولكنى تنازلت عن حقى فيها لأخى الشيخ محمد متـولى الشعراوى وزير الأوقاف، واننى أفوضه فى اتخاذ ما يراه من قرارات بشأنها.

وقد نصرني الله ونجحت التجربة .

●●●

● سؤال : بعيـدا عن معركة الحوت شـهدت الفترة التى تـولى فيها الشيخ الشـعراوى وزارة الأوقـاف وشئون الأزهـر.. شـهدت الكثير من الأحـداث الـخطيرة التى تدخل فيهـا الشيخ بشكل أو بـآخـر وكان لـه مـوقف منها.. أول هـذه الأحداث على الصعيـد الـداخلى كانت أحـداث ١٨و١٩ينايـر ١٩٧٧ التى وقعت بعد شـهـرين وثمانية أيـام من تولى الشـيخ للوزارة .

اليساريـون والشيوعيـون قالـوا: انها «انتفاضـة شعبيـة» من أجل الخبز والحرية فى مواجهة الفساد.

والرئيس السادات قال: انها «انتفاضة حرامية»!

والشيخ الشـعراوى قـال يومهـا انها «فتنة ومحنـة».. وذهب ليلتها إلى الاذاعـة والتليفـزيـون ليلقى بيـانـا.. ثم ذهب إلى الجامع الأزهـر وصعد المنبر وخطب فى الناس حول ما جرى.

ما الذى قاله الشيخ للناس فى الاذاعة والتليفزيون وفى الأزهر عن تلك الأحداث؟ ثم ماهو تقييمه لها الآن عندما يتذكر ما جرى؟

قال الشيخ : فعلا، أنا ذهبت ليلتهـا إلى الاذاعة والتليفزيون وألقيت بيانا.. كـانت الشوارع فوضى، وكان الناس يكسرون الـدكاكين، وجاء البوليس ليأخذنى إلى التليفزيـون، وكان شيئا عجيبا أننا ونحن نخترق الشوارع فى طـريقنا إلى مبنى التليفزيون، أن البعض من المتظـاهرين كانوا يلمحـونني وهم يكسرون الدكاكين فيقـولون: «مرحبا يـامولانا! مـرحبا يـا مـولانا!».. فكنت أقـول لهم : أجـرمتم.. أجرمتم.. مـاذنب أصحـاب هـذه الـدكـاكين؟! مـاذنب الـذين تعتـدون على ممتلكـاتهم وأموالهم؟

ووصلت إلى مبنى التليفزيـون وقلت فى بيان للناس: أن الذى يـريد أن يثـور على الفسـاد، عليـه أن يبنـى لا يهدم.. إذا كنتم تعـارضـــون الحكـومـة فهناك قنـوات شرعيـة للمعـارضـة، ولإبـداء الـرأى.. ليست المعارضـة أن تيسروا سبل الفوضـى والنهب والسرقة ..

وقلت : هب انكم أطهـار تـريدون طهـارة الحكم.. فلماذا تمهـدون للأشرار لكي ينقضوا عمل الاطهار؟

●●●

● وقال الشيخ : وفى يـوم الجمعة التاليـة للأحـداث ذهبت للجامع الأزهر وصعـدت المنبر وقلت : اننا نعيش فتنا ونعيش أحـداثا خطيرة، وحين نتجـه إلى العلاج نتجـه إلى ظواهـر الأمـراض ولا نتجه أبـدا إلى منابع الأمـراض.. وشفاء الظاهـر لايجدى.. فالـذى يداوى البشرة من بثور ونتوءات فيها لايداوى أصل العلة، ولكنه يداوى فقط ظاهر العلة.

وإذا ما نظرنـا إلى الأحداث التى تمر بنا داخليا، وخـارجيا أيضا فى محيطها البعيـد فى أمتنا الاسلامية وأمتنـا العربية، لوجـدنا أن الأصل هو العزوف عن منهج الله.

وقلت : هنـاك نقـابات للعمــال انتخبهـا العمــال بمحض ارادتهم

واختيارهم فإذا أراد أي عامل شيئا فعليه أن يرفعه إلى نقابته والنقابة ترفعه للمسئولين ليتفاهموا فيه.. وكذلك للطلاب اتحادات.

وفي مجلس الشعب من يمثل العمال ومن يمثل الفلاحين ومن يمثل الفئات الأخرى التي تعنى الطائفة المثقفة.

وإن كنا قد امتحنا بهذه المحنة فإن لله في محنه منحة.. والمنحة اننا وجدنا طبقات شعبنا واعية متفهمة.

فالعمال حياهم الله، وأحييهم من على هذا المنبر، لم يستجيبوا لشعار مزيف ولا أقول مزخرف، وفهموا النية المبيتة، وظلوا أمناء على عملهم، أمناء على آلاتهم، وأدوا واجبهم أداءكاملا،، ولم يغير من ذلك الموقف أن يوجد بعض الهمج الذين يقومون بتنفيذ أغراضهم.

وكذلك الطلاب أحييهم ، حياهم الله، فقد انتبهوا إلى الفتنة والتفتوا إلى مثيريها، ووجدنا مظاهرات تحاول أن تخرجهم من معاهدهم فاستحصنوا بالمعاهد وبالعلم وردوا كيد هؤلاء جميعا في نحورهم.

لقد وجدنا الوعي وأصبحنا نعرف الذين يعلنون الشعارات المزيفة..

● وقلت : هناك من يحب أن ينعم بجهد غيره، وهؤلاء هم «الطفيليون» الذين لاحركة لهم في الحياة.

والاسلام لا يؤوى إلا الضعيف العاجز عن العمل .. أما الذي يريد أن يعمل غيره ليفيد هو، فذلك ما يرفضه الاسلام حتى ولو بالسؤال :

فالاسلام يحمي البطالة ولكن يطلب من ولي الأمر أن يوجد لكل فرد ميدان عمل ، وأن يحمله على ذلك .. يعينه أولا فإن استجاب فبها.. وإلا فعليه أن يحمله بالقوة ليعمل، فالإسلام انما جاء لينظم حركة الحياة.

وإذا نظرنا إلى الأحداث التي واجهناها وجدنا له جذورا، وهي اننا لم نبصر الأمة بواقعها الحقيقي ظنا بأننا سنفصح أمر اقتصادنا ونحن في مواجهة عدو ولنا معه معركة.. ولكن شاء الله ما شاء حتى نتبين مواقعنا..

لاشك اننا عرفنا ما أصابنا من هذه الهوسة واللوثة التي سبقت ونعرف أن أضرارا قد وقعت.. لكن علينا أن نعرف أن خير الواحد منا هو من خير أمته، وأننا قبل أن نمد أيدينا إلى أحد خارج أمتنا، يجب أن نمدها أولا إلى جيوبنا.. فأي فرد يجد أمته في مأزق، وجب عليه أن يتطوع سريعا وأن يعاون.. أما أن نطلب شيئا من سوانا فذلك مما يقدح في مروءتنا وفي كرامتنا وشهامتنا.. ونحن بإذن الله لن نمد يدنا إلى أحد.. ولكن ان امتدت إلينا يد بالمعونة فلن نرفضها حتى لانكون متكبرين على قدر الله فينا .. فنحن لانطلب، ولكننا أيضا لانرفض، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم﴾.

● وقال الشيخ : نعم ، كانت الظروف قاسية جدا وحاول المغرضون بالشعارات المزيفة استغلال الظروف القاسية، لإثارة الفوضى والتحريض على السلب والنهب.. وحاول الرئيس السادات يومها أن يفعل كل ما يستطيع لاحتواء الموقف الصعب.

وأضاف الشيخ: هناك مسائل أكبر من الرؤساء.. هناك ظروف سياسية أكبر من الرؤساء.. وهم يفعلون المستحيل للخروج من المآزق التي يجدون أنفسهم فيها بفعل الظروف الصعبة والقاسية التي قد لايدركها سوى القريبين من قمة السلطة.

وقال : لقد خرجت من تجربتي في الوزارة بما يؤكد لي أن الرؤساء هم «أحسن ناس يلعبوا.. بالبيضة والحجر»!!

الشعراوى .. الذى لا نعرفه

حكايتى مع السادات

٣

سمعت بزيارة السادات للقدس وأنا على جبل عرفات

● رسالة من بيجين إلى السادات : الشعراوى يعطل مسيرة السلام

● وزير التعليم الإسرائيلى طالب بحذف الآيات القرآنية التى تتعرض لليهود !

● الصحف الأمريكية : اسكتوا هذا الرجل

تبقى الزيارة التاريخية للرئيس السادات للقدس، والتى فاجأ بها العالم كله، فى مساء ذلك اليوم ١٩نوفمبر٧٧، وما تلاها من تداعيات.. تبقى هى أهم الأحداث وأخطرها، فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى، بكل ما شهد من صدامات وحروب ومعارك ضارية، سالت فيها بحور من الدماء!

فأين كان الشيخ فى تلك الليلة؟

أين كان الشيخ الشعراوى فى مساء ذلك اليوم، الذى كان يوافق يوم عيد الأضحى المبارك عندما هبطت طائرة الرئيس السادات، وسط ذهول العالم، فى مطار بن جوريون، بينما ملايين المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، على جبل عرفات يرددون فى خشوع وجلال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك».. وتتعالى أصواتهم بالدعاء إلى الله أن ينصر جنده، وأن يقهر أعداءه، وأن يحرر مسجده الأقصى، مسرى رسول الله، وثالث الحرمين الشريفين، من الأسر الصهيونى .

نعم أين كان الشيخ فى تلك الليلة ؟

ذلك هو السؤال الكبير ! الذى يضع الشيخ إجابته فى سياق هذه المواجهة التى تدور حول «المبادرة التاريخية» للرئيس السادات، وأين كان الشيخ فى تلك الليلة؟

وهل كان يعلم بما جرى ؟

وما الذى كان يعنيه الشيخ بالضبط عندما قال : « إن من يصنع مبادرة مع اليهود عليه أيضا أن يصنع مبادرة مع الله»؟

ثم ما هى حكاية «بيجن» رئيس الوزراء الاسرائيلى الذى بعث يشكو الشيخ إلى الرئيس السادات ويقول: إن الشعراوى يهاجم اليهود، ويعمل على تعطيل عملية السلام مع اسرائيل؟!

وكيف تزامنت هذه الشكوى مع تصريحات «هامير» وزير التعليم الاسرائيلي التي قال فيها : إنه لا أمل في أن يتحقق السلام بين مصر وإسرائيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود!

فليتكلم فضيلة الشيخ.. للحقيقة.. وللتاريخ.

أين كان الشيخ الشعراوي في ذلك المساء؟.. مساء ١٩ نوفمبر ١٩٧٧؟.

أين كان الشيخ في تلك الليلة؟ الليلة التي فاجأ فيها الرئيس السادات العالم كله بزيارة القدس؟.. الزيارة التاريخية لاسرائيل؟

أين كان الشيخ في تلك الساعة التي هبطت فيها طائرة الرئيس السادات إلى أرض مطار بن جوريسون وسط ذهول العالم كله؟

وتساءل الناس، كل الناس في العالم : هل هذا صحيح ؟!

هل هذا حقيقي ؟! فلا أحد كان يصدق !

لاأحد كان يصدق المشهد المثير الذي فتح الناس عيونهم عليه في دهشة وهم يرون الرئيس السادات يخرج من باب الطائرة، تحت الأضواء الكاشفة التي غمرت المطار كله ، وينزل على مهل، ويستعرض صفوف حرس الشرف التي تمثل كل وحدات جيش اسرائيل.. الجيش الذي قاتلنا سنين طويلة، في معارك ضارية، معركة بعد معركة. ويصافح قادة أسرائيل..الأعداء التاريخيين لمصر والعرب والمسلمين.

يصافح مناحم بيجن، وموشي ديان، وجولدا مائير.. التي قالت ويدها مازال في يده: كنت أنتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل!

أين كان الشيخ وهذه المشاهد تتوالى أمام عيون العالم، والعالم في ذهول من هول هذه المفاجأة، التي اعتبرها السياسيون أهم وأخطر أحداث هذا القرن؟!

قال الشيخ : كنت على جبل عرفات فى تلك الليلة .

لقد علمت بزيارة الرئيس السادات للقدس وأنا على جبل عرفات.. ليلة العيد.

وكان الأمر مفاجأة لى، مثلما كان مفاجأة لغيرى.

علمت ليلتها من الدكتور محمد عبده يمانى.. وكان وقتها وزيرا للإعلام فى السعودية. كان معى الدكتور الزبير والسيد أمين غطاس والسيد اسحق رحمه الله.

وقد سألنى السيد اسحق ليلتها : ألم يتحدث معك الرئيس السادات؟.. ألم يبلغك بما كان يعتزمه؟ ألم تقابله قبل سفرك للحج؟

فقلت : لم يتحدث معى الرئيس السادات فى هذا الامر.. ولم يشاورنى.. ولاأعتقد أنه شاور أحدا.. وقد قابلته قبل سفرى للحج.. وقلت له: «انت موش حتيجى تحج السنة دى ياريس؟» فقال: «موش باين».. وأضاف : «ابقوا ادعوا لى.. واقرأوا لى الفاتحة هناك»!

وقال الشيخ : هذا ما جرى من كلام بينى وبين الرئيس السادات عندما قابلته قبل سفرى للحج بأيام قليلة.

لم يكن أحد يعلم بما كان ينتويه.. كانت مفاجأة للعالم كله..

قلنا للشيخ : ولكن الرئيس السادات ألمح فى خطابه فى مجلس الشعب يوم ٩نوفمبر ١٩٧٧ ـ أى قبل عشرة أيام من قيامه بالمبادرة ـ إلى أنه على استعداد للذهاب إلى أى مكان فى العالم سعيا وراء السلام وحقنا للدماء، ولو كان هذا المكان هو «الكنيست الاسرائيلى».. فهل استرعى انتباه الشيخ ما ألمح إليه السادات فى هذا الخطاب للمرة الأولى.

قال الشيخ: هذا الكلام لم يستوقف أحدا، لأن مثل هذا الكلام كان يقال كثيرا.. وهو كلام إجمالى، ولم يكن واضحا فيه ان السادات قرر القيام بتلك المبادرة التى فاجأ بها العالم.

قلنا للشيخ : كـان كلام الســادات فى مجلس الشعب عن استعداده للـذهـاب إلى الكنيست الاسرائيلى سعيــا للســلام وحقنــا للـدمــاء يوم ٩ نوفمبر.

وفى يـوم ١٥ نـوفمبر بعث مناحم بيجين رئيس الـوزراء الاسرائيلى بدعـوة رسمية للرئيس السادات لـزيارة القدس عن طـريق السفارتين الأمريكيتين فى تـل أبيب وفى القاهـرة. وقبل السادات الـدعوة.. وتحدد لبدء الزيارة مساء يوم السبت ١٩ نـوفمبر.. وكان يوافق يوم وقفة عيد الأضـحى المبارك..

فهل كـان الشيخ يعلم بشـىء من هـذه الـوقـائع والتطـورات التى حدثت متلاحقة وفى سرعة بعد خطاب السادات فى مجلس الشعب ؟

قال الشيخ : لم أكن أعلم بشـىء من هذا ..

وأضاف الشيخ : الســادات كان رجل دولة.. وكان يـريد أن يسقط الورقة التى كانت أسرائيل تلعب بها.. وتقـول للعالم انها دولة مسالمة وتريد أن تعيش، وأن العـرب وحوش ودعاة حرب وهم الـذين يريدون تدميرها وإلقاءها فى البحر !

السـادات أراد أن ينزع هذه الورقة من يد اسرائيل والتى خدعت بها العالم.. والرأى العام العالمى سنوات طويلة.

وقـال الشيخ : قبل قيام الســادات بهذه المبادرة، حـدث أن كنت فى زيـارة لإحدى الـدول الأوروبية ، التـى يغيب عن ذهنى ذكرهـا الآن، وكنا قـد ذهبنا إلى هناك لعمل مركـز إسـلامى..وقد فوجئنـا بالكثيرين يقولون لنـا أنهم يقيمون فى عمارات، وأنهم يجدون تحت «عقب الباب» جوابات ورسائل موجهة إليهم مـن اليهود يقولون فيها : «أيتها الأسرة المحترمة.. نـرجو أن تخطـرونا كم عـدد الأفراد الـذين يستطيعون أن يلجأوا إليكم لأن مصر والدول العربية يريدون أن يرمونا فى البحر!

هذه كان من الدعايات الاسرائيلية المضللة.

والسادات أراد أن ينـزع من اسرائيل هذه الورقـة التى كانت تلعب بها .. وهو لم يقم بالمبادرة إلا وهو منتصر..

●●●

● وتحدث الشيخ عن موقف «الحجيج» الذين كانوا على عرفات ليلة زيارة السادات للقدس فقال : انهم كانوا قسمين:

قسم زعلان وغضبان لأن السادات ذهب لزيارة القدس.

وقسم آخر كان مؤيدا للسادات، وكان يـدعو له بالتوفيق فى مهمته، ويعتبرها شجاعة تحسب له فى تاريخه.

وقال الشيخ : صحيح أن المبادرة التى أقدم عليها السادات كانت مفاجأة للعالم كله.. ولم يكن أحد يتوقعها.. لكنها عندما حصلت.. تبين أنها تتمشى مع واقع الحال والظروف فى ذلك الوقت.

وقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن السادات كـان بعيد النظر.. فقـد أخذ الأرض بدون إراقة الدماء.

وخصومه فى المبادرة هم أنفسهم الذين قـالوا بعد ذلك : «ياريتنا قبلنا»!

وقال الشيخ : زمـان.. لما حصل التقسيم.. تقسيم سنة١٩٤٧ كان من رأيى يومهـا أننا لايجب أن تأخذنا الحميـة.. بل يجب أن نقبل هذا التقسـيم .. لأنـه يضـع اسرائـيل فى بقعـة محـدودة.. ويعمل على «تحجيمها» وحصـارها.. ولكن عدم القبول أدى إلى التـوسـع فى ظروف لم نكن قادرين على التحكم فيها أوالسيطرة عليها.

فالذى يـرفض شيئا يجب أن يكـون لديـه حيثيات لهذا الـرفض، بحيث يرتقى فى رفضه ولايتنـزل عنه.. وهذه هى السياسـة.. السياسة أن تقول كلاما يستشهد به أى واقع.

●●●

سؤال : مـاذا قال فضيلـة الشيخ للرئيـس السـادات فى أول مقـابلة معه بعد زيارة القدس؟

قال الشيخ : قلت له «قبل الله مسعاك.. وجازاك على نيتك.. وإن لم تأت بشيء»..

وقال الشيخ: بعد المبادرة.. كانت هناك ردود فعل غاضبة فى بعض الدول العـربيـة، وحـدث فى مصر هنـا أن بعض الفلسطينيين عملـوا «هيصـة» فى مصر الجديدة.. ويـومها اجتمع مجلس الـوزراء لمناقشـة هذه المسألة.

وتكلم الـوزراء.. كل وزيـر قـال الكـلام الذى تمليـه عليـه روحـه الوطنية.

وكان الـرأى الغالب هـو أن يأخذ معهم إجـراء.. وأن يقبض عليهم، ويتم ترحيلهم من مصر.

واستمع السادات إلى كل الآراء.

ثم قال رأيه هو فى النهاية.

قـال : مع احترامـى لمشـاعركم، وآرائكم.. ووطنيـة اقتراحـاتكم ، وغضبكم لما حـدث.. لكن لى رأى.. وهذا الـرأى هـو ألا نقبض عليهم.. ولانعمل على تـرحيلهم.. بل نبقيهم.. لأنهم إذا خـرجـوا فمن الجائز أن يعملوا أى حاجة للإساءة إلى أبنـائنا فى الخارج.. فهم هنا أمام أعيننا..

ووافق المجلس على رأى السادات.

●●●

سـؤال : هناك تصريح منسـوب لفضيلة الشيخ الشعـراوى ورد فى سياق حـديث له بعد المبـادرة التى فاجأ بها الرئيس السـادات العالم بالذهـاب إلى القدس.. وهذا التصريح يقول: ان الشيـخ الشعراوى قال بأعلى صـوته موجهـا كلامـه إلى السادات: «إن من يصنع مبـادرة مع اليهود، عليه أن يصنع مبادرة مع الله»..

فما الذى كان يعنيه الشيخ بهذه العبارة؟

قـال الشيخ : كنت أعنى تـحديدا أننـا إذا كنـا نـرى أن فى سـلام الأرض أن نهادن أعداءنـا، ونصنع معهم مبـادرة، لنطفىء نـار الغل

والحقد، ولنجنب أمتنـا الدماء.. فهلا نصنع هـذه المبادرة مع الله حتى يأتوا إلينا صاغرين؟

●●●

ويأتي الحديث عن مناحم بيجن رئيس الوزراء الاسرائيلى الأسبق الذى كان طرفا مع الرئيس السـادات منذ بعث إليه بدعوة رسمية يوم ١٥نوفمبر١٩٧٧ لـزيارة القـدس وحتى توقيـع اتفاق كامـب ديفيد أو اتفاق السلام فى ١٨سبتمبر١٩٧٨ فى حديقة البيت الأبيض.

ونسـأل الشيخ الشعراوى : ألم يلتق فضيلـة الشيخ بمناحم بيجن فى القاهـرة ولو عرضا، خـلال تلك الأيام التى كان يتردد فيهـا مناحم بيجن على القاهرة للقاء الرئيس السادات ؟

ويقول الشيخ : أبدا .. لم يحدث.

ونسـأل الشيخ ثانية : وماذا عن الشكـوى التى كان يرددها مناحم بيجن من الشيخ الشعراوى والتى طلب من سعد مرتضـى سفير مصر فى اسرائيل أن يبلغهـا للرئيس السـادات، لماذا كـان بيجن يشكـو من الشيخ الشعراوى؟

قال الشيخ : الحكاية رواها أنيس منصور.

والذى رواه أنيس منصور عن شكوى بيجن من الشيخ الشعراوى يقول : حدث مرة أن جاءنـى سفيرنـا فى اسرائيل سعد مرتضى فى حالة من الفـزع والاضطـراب.. قـال لى: مصيبة.. لابـد أن نبلغهـا للـرئيس السادات.. مصيبة كبرى.. فمعى رسـالة من السيد مناحم بيجن يشكو من أحـاديث الشيخ الشعـراوى فى التليفـزيون.. لأنـه دائم الهجوم على اليهود.. وليس على اسرائيل أوعلى الصهيـونية العالمية.. وأن هـذا الذى يفعله الشيخ الشعراوى يعطل مسيرة السلام.

قلت لسعد مرتضـى : أرجو أن تعيد الذى قلت.

فأعاد .. قلت : لاأعرف كيف أنقل هذه الشكوى إلى الرئيس : سوف يغضب غضبا شديدا.

فليس من حق بيجن أن يتدخل في شؤوننا ولا أن يتعرض لرجال الدين.. فرجال الدين أكثر دراية وعلما.. والرئيس السادات يحاول أن يضيق مجالات الخلافات بين مصر وإسرائيل.. وهذا الذي يقوله بيجن سوف يوسع الخلافات.. والموضوعات الدينية حقول ألغام مروعة.. فأعطني بعض الوقت لكي أفكر في طريقة نقلها للرئيس.. ولابد أن أنقلها إليه.

ويمضي أنيس منصور في روايته فيقول : وفي لقاء الرئيس السادات لمحت له بما يقال في اسرائيل عن الأحاديث الدينية في التليفزيون وفي المساجد.

وكان رد الرئيس السادات : إن هؤلاء المتطرفين في اسرائيل هم الذين أقاموا الدولة وهم الذين سوف يهدمونها أيضا، بضيق الأفق والخرافات التي يجهدون أنفسهم في تفسيرها على أنها حقائق!

ثم تلقيت من د.بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية صورة من الخطاب الذي ألقاه السيد هامير وزير التعليم الاسرائيلي، وهو من المتدينين المتطرفين.. أما الخطاب فشنيع ولايمكن نشره أو الاشارة إليه وتكهربت الدنيا هناك وهنا.

ولكن وجدت أن هذا الخطاب بالذات هو الذي يمكن أن نرد به على شكوى بيجن.. فقلت للرئيس السادات: إن بيجن له شكوى غريبة.. فهو يزعم أن الشيخ متولي الشعراوي يهاجم اليهود كيهود.. وأن هذا من شأنه أن يعطل عملية السلام.

وقبل أن يرد الرئيس قلت : سيادة الرئيس انه ليس على يقين مما يقول.. ولكننا على يقين من الذي قاله السيد «هامير» وزير التعليم الاسرائيلي فهو يقول : إنه لاأمل في أن يتحقق السلام بين مصر واسرئيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود.. إنه رجل مجنون.. فهو لايعرف معنى القرآن.. ولامعنى الكلمات البشعة التي تفوه بها.. وهو بالذات الذي يستطيع أن يشعل حروبا

بين مصر وإسرائيل.. وهو كواحد من أقطاب المتطرفين لايريد السلام مع مصر.

وتضايق الرئيس السادات.. وطلب مني أن أسافر إلى اسرائيل وأن أرد وأن أوضح خطورة هذا الذي قاله بيجن وقاله وزيره هامير.

وتلاشت هذه الزوبعة التي كان من الممكن أن تصبح إعصارا مدمرا.

انتهت رواية أنيس منصور عن شكوى بيجن من الشيخ الشعراوي للرئيس السادات.. وعن وزير التعليم الاسرائيلي هامير الذي يقول : إنه لاأمل في أن يتحقق السلام بين مصر وإسرائيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود!

●●●

ونعود للشيخ الشعراوي الذي يقول : ليست اسرائيل فقط التي طالبت بإسكاتي، وقالت على لسان رئيس وزرائها مناحم بيجن أن تفسيري للآيات التي تتناول اليهود في القرآن الكريم، من شأنه أن يعطل عملية السلام بين مصر وإسرائيل.

فالصحف الأمريكية التي تسيطر عليها الصهيونية العالمية هاجمتني هي الأخرى وكتبت تقول : «اسكتوا هذا الرجل»!

هم يريدون أن يسكتوني.. ولكنني لن أسكت.

وكان لشكوى بيجن من الشيخ الشعراوي، ردود فعل واسعة، فقد أثارت الكثير من التعليقات في الصحف المصرية والعربية ، وهو ماحدث أيضا بالنسبة لتصريحات وزير التعليم الاسرائيلي هامير الذي يطالب «بحذف الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود» خاصة ما أشيع وقتها من أن الشيخ الشعراوي تعرض لضغوط لكي يبتعد عن الآيات التي تخص اليهود.

قالت التعليقات: ان اسرائيل لا تملك أن تغير الحقيقة، ولا أحد يستطيع أن يجامل اسرائيل على حساب الله، والتاريخ ـ كل التاريخ ـ

يمكن أن يزور وأن يـزيف إلا هذه الاحـداث التى توثقها آيـات الكتاب الكريم، فلا أحد يستطيع أن يغيره أو يحرفه.

وقالت التعليقـات: إننا لانستطيع أن نتخيل أنـه من الممكن أن يغير الشعراوى هـذا العلامـة والداعيـة الاسلامى الكبير من طـريقته التى اتبعها فى التفسير والتـى يطلق عليها «خواطـره الايمانية» والتى كـانت هـديا من الله تعـالى لعبـده لكى ينتفع بها. عبـاده الآخرون.. كما أننـا لانتخيل مطلقـا أن يخضـع أكثر النـاس علما وفقهـا وإيمانا، وأقـواهم وأقـدرهم فى شرح وتأويل القـرآن الكـريم.. لانتخيل أن يخضـع أبـدا لإرادة غير إرادة الله، لأنه إذا ضاع الاســلام من القائمين عليه، فقل على الدنيا السلام بل قل انها نهاية الدنيا.

لقد أكد الله جلت قـدرته فى محكم كتابه أنـه لاعهد لليهود.. ولا أمن ولا أمان معهم.. فهم الـذين خانوا العهد، وكفـروا بآيات الله : ﴿أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون﴾..

وقالت التعليقات: إن هذا الموقف «من بيجن ومن هامير» بل من أى اسرائيلى ليس بمستغـرب، وإن كانت له دلالـة فهى أنه يعـد أكبر دليل على نـزعتهم التزييفيـة التى دمغهم بها القرآن الكـريم واتهمهم بأنهم يحرفون الكلم عن مـواضعه.. وأن مـا يدور فى نفس هـذا اليهودى أو ذاك كان يدور بخلد أجـداده، حيث استبعدوا كل التكاليف وكل الأوامر الإلهية التى وجدوا فيها المشقة والعناء وكل ما ليس على هواهم.

حكايتي مع السادات

الشعراوى .. الذى لا نعرفه



٤

خلعت العمامة.. ولبست الطاقية

حتى لايقولوا إننى طامع فى مشيخة الأزهر

● قلت غير معقول أن تكون سلطتى كوزير فوق سلطة شيخ الأزهر

● ونحن فى مهمة فى لندن .. الشيخ عبد الحليم محمود قال لى : الليلة .. رأيت سيدنا رسول الله

واقعة مثيرة، يكشف عنها الشيخ الشعراوى فى سياق هذه الحلقة من المواجهة!

لماذا أخفى فؤاد محيى الدين الحقيقة عن الرئيس السادات؟!

لماذا قال له: لقد عرضت «مشيخة الأزهر» على الشيخ الشعراوى.. لكنه رفض؟! مع أنه لم يعرض هذا الأمر على الشيخ الشعراوى!

وماذا كان تبريره عندما سأله الدكتور سيد جلال فى مواجهة صريحة: لماذا أخفيت الحقيقة؟! لماذا قلت للرئيس السادات أن الشيخ الشعراوى رفض مشيخة الأزهر مع أنك لم تفاتحه فى هذا الأمر؟!

وجاءت اجابة فؤاد محيى الدين أكثر غرابة!

كما يكشف عن سر التليفون الذى دق فى غرفته فى فندق لندن، وكان المتحدث هو الشيخ عبد الحليم محمود الذى قال له: ياشيخ شعراوى.. لقد رأيت سيدنا رسول الله هذه الليلة! فرد عليه الشعراوى: أنا موش قلت لك؟!

كما يكشف الشيخ الشعراوى عن واقعة مثيرة تتعلق بمشيخة الأزهر، وكيف جرى ترشيحه لها ثم ابعاده عنها فى لعبة من ألاعيب السياسة التى تستبيح كل شيء! وهذه الواقعة لم يكن يعرفها سوى أربعة أشخاص كانوا هم أطرافها وشهودها أيضا..

الرئيس السادات..

والدكتور فؤاد محيى الدين.

وعثمان أحمد عثمان.

وسيد جلال.

يقول الشيخ: حدثت هذه الواقعة عندما تولى فؤاد محيى الدين رئاسة الوزراء.

جاءني صديقي سيد جلال وروى لى هذه الواقعة نقلا عن المهندس عثمان أحمد عثمان شفاه الله.

قال سيد جلال: ان الرئيس السادات كان يتكلم مع فؤاد محيي الدين فى موضوع «مشيخة الأزهر» ومن يتولاها؟

وكان عثمان أحمد عثمان حاضرا. وكانت هناك فكرة فى ذلك الوقت لاختيار شيخ للأزهر الذى خلا منصبه.

وقال فؤاد محيي الدين للسادات: «أنا عرضت الأمر على الشيخ الشعراوى.. لكنه رفض»!

روى سيد جلال هذه الواقعة للشيخ الشعراوى.. ثم سأله:

لماذا رفضت مشيخة الأزهر ياشيخ شعراوى عندما عرضها عليك فؤاد محيي الدين بتوجيه من السادات؟

فقال الشيخ وقد فوجيء بسماع هذا الكلام لأول مرة:

ـ يعلم الله ان فؤاد محيي الدين لم يفاتحنى فى هذا الموضوع!.. ولم يعرض علىّ هذا الأمر!

واندهش سيد جلال.. واندهش الشيخ الشعراوى.

وحدث بعد ذلك أن التقى سيد جلال بفؤاد محيي الدين فسأله:

ـ كيف تقول للسادات إنك عرضت منصب شيخ الأزهر على الشيخ الشعراوى، وأن الشيخ الشعراوى رفض؟! مع أنك لم تعرض عليه هذا الأمر؟!

فقال فؤاد محيي الدين:

ـــ لازم أقول كده.. لأن الشيخ الشعراوى محدش يقدر عليه!.. له شعبية لانقدر عليها!.. لكن أى واحد غيره ممكن جدا نقدروا عليه وقت اللزوم! وقال الشيخ انه لم يكن طامعا فى يوم من الأيام أن يكون شيخا للأزهر.. وعندما حاول البعض أن يوقع بينه وبين الشيخ عبد الرحمن بيصار.. وذهبوا فى مكائدهم إلى حد أنهم أوغروا صدر الشيخ

بيصار شيخ الأزهر فى ذلك الوقت.. كان موقف الشيخ الشعراوى حاسما.

فقد أعلنها يومها: لست طامعا فى مشيخة الأزهر.. ولا أريدها.. وحتى لايتوهم المتوهمون ذلك،فإننى أعاهد الله أن أخلع «الزى الأزهرى».. لا عمامة.. ولا جبة.. ولا قفطان.. وفعلا خلعها.. واكتفى من يومها بالطاقية والجلابية!

وقال: الشيخ بيصار وهو يحتضر لم يطلب أحدا غيرى.. قال هاتوا الشيخ الشعراوى.. فذهبت اليه وهو فى غرفة الانعاش.. وفوجئت به ينادينى فى صوت واهن:

— ياشيخ شعراوى.

قلت: نعم يامولانا.

قال: سامحنى.

فقلت مندهشا: أنا أسامحك! أنا لا أعرف لك فى قلبى ذنبا لأسامحك فيه!

وقال الشيخ الشعراوى معلقا على هذا الحديث: وهذا يكفينى..

يكفى أن الرجل الذى أوغروا صدره منى.. عندما أحس بقربه إلى الله.. نادانى وقال: سامحنى.. وعرف الكل بذلك..

وكان هناك كثيرون فى المستشفى.. كان هناك الشيخ الباقورى، والشيخ البهى، وآخرون كثيرون.

وكتبت ذلك الصحافة يومها.

●●●

ويأتى الكلام عن الأزهر الشريف.. وعن شيخ الأزهر.. ويقول الشيخ الشعراوى: وأنا وزير للأوقاف وشئون الأزهر.. كان الشيخ عبدالحليم محمود رحمة الله عليه شيخا للأزهر.. وكان بينى وبين الشيخ عبدالحليم محمود مسائل ادارية بحكم العمل، وكانت هذه المسائل الادارية تقتضى بحكم اللائحة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت

أن أوقع على القرارات التي يريد تنفيذها ، وهذا وضع «مقلوب» كما سبق أن وصفته! فكيف يكون للوزير، أي وزير، سلطة فوق سلطة شيخ الأزهر؟!

لكن هذا الوضع المقلوب هو ما أرادته الثورة عندما أصدرت القانون ١٠٣ الذي أسمته قانون تطوير الأزهر! وجعلت للأزهر وزيرا له سلطات فعلية تفوق سلطة شيخ الأزهر.

وقد حدث أن استشاروني في موضوع «شيخ الأزهر» وكيفية إصلاح هذا الوضع المقلوب، فكتبت مذكرة مطولة باقتراحاتي.. وقلت فيها من بين ما قلت:

أن يكون شيخ الأزهر نائبا لرئيس الجمهورية.. ولكن لا يرشح نفسه إذا خلا منصب رئيس الجمهورية، وإنما يشرف على عملية انتقال السلطة إلى الرئيس الجديد.. وإذا عين شيخ الأزهر، لا يستطيع أي شخص أن يعزله، وحتى لا يكون «سيف العزل» مسلطا على رقبته، وحتى يكون له قراره، وتكون كلمته لدين الله وحده.. وألا يحال إلى المعاش مهما تقدمت به السن.. وألا يقيله أحد من منصبه..

وقال الشيخ: كتبت المذكرة وسلمتها إلى عثمان أحمد عثمان الذي سلمها للرئيس السادات.

وأخذوا ببعض الاقتراحات ولم يأخذوا بالبعض الآخر.

وفي مرحلة تالية أصبح شيخ الأزهر بدرجة رئيس الوزراء.

وبالتالي انتقلت «التبعية» من وزير الأوقاف وشئون الأزهر إلى رئيس الوزراء.. الذي يقوم بإقرار ما يريده شيخ الأزهر وليس الوزير.

لكن هذا «التعديل» لم يأت بجديد!

فالذي كان يأخذه الوزير المسئول عن شئون الأزهر من «اختصاصات شيخ الأزهر ».. أصبح يأخذه رئيس الوزراء، بعد أن أصبح الأزهر تابعا له!

ويترحم الشيخ الشعراوي طويلا على الشيخ عبدالحليم محمود

وهو يقول: ذهبت وأنا وزير للأوقاف وشئون الأزهر مع الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر لحضور أحد المؤتمرات فى لندن. وبعد يومين من المؤتمر، قال لى الشيخ عبدالحليم محمود:

— ياشيخ شعراوى.. عايزين بعد ما ننتهى من المؤتمر هنا.. نطلعوا نعملوا «عمرة».. علشان «نجلى» نفسنا.

فقلت له : وإيه يمنع «نجلى» نفسنا واحنا هنا! أمال ربنا قال لما حب يوجهنا إلى الكعبة فى الصلاة.. قال: «أينما تولوا فثم وجه الله».

فقال وهو يشير إلى «حى قريب» معروف فى لندن بأنه «حى الاستهتار».. قال: نريد أن نجلى نفسنا.. بعيدا عن هذه «الحتة»!

فقلت : بالعكس.. اللى يعبد ربنا فى «حتة» معروفة بالاستهتار.. يشوف تجليات ربنا.. ويأخذ كل «فيوضات» هذه «الحتة»!

فضحك الشيخ عبدالحليم محمود..

وليلتها.. عند الفجر.. دق جرس التليفون فى غرفتى بالفندق وكان المتكلم هو الشيخ عبدالحليم محمود.. وقال لى فرحا:

— ياشيخ شعراوى.. أنا رأيت الليلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم!

فقلت له:

— أنا موش قلت لك؟ بيجى لك هنا!

حكايتى مع السادات

الشعراوى .. الذى لا نعرفه



٥

رفضت قانون الأحوال الشخصية فغضبت منى السيدة جيهان

● ليلة فرح بنت السادات سألت « أم العروسة » سؤالا أضحك الرئيس السادات !

● دخلت الوزارة وخرجت منها .. دون أن أجلس على مكتب الوزير !

يواصل الشيخ الشعراوى حديثه عن تجربته فى الوزارة، وكيف كانت العلاقة بينه وبين الرئيس السادات، وبينه وبين السيدة جيهان؟

لماذا سأله الرئيس السادات أمام الوزراء: «فين الجزمة الايطالى.. يامولانا»؟!..

وماهى الاجابة التى قالها الشيخ فأضحكت السادات وأضحكت الوزراء حتى كادوا أن يستلقوا على ظهورهم!

أيضا لماذا سأله السادات: هل صحيح ياشيخ شعراوى أنك منذ أن تسلمت عملك وزيرا، لم تجلس أبدا على مكتبك؟ وإنك تفضل الجلوس بعيدا على كرسى، إلى جانب الباب؟.

ثم ماذا فعل الشيخ عندما وجد نفسه مع الرئيس السادات والرئيس الرومانى شاوشيسكو فى حفلة «رقص ومغنى»؟ وهو «العمامة» الوحيدة فى الحفلة؟

أيضا . كيف تخلص الشيخ من المأزق عندما دعته السيدة جيهان لإلقاء محاضرة واشترط أن تكون الحاضرات «محجبات» ثم فوجىء بهن «حاجة تانية»؟!

وكيف عارض الشيخ قانون الأحوال الشخصية الجديد الذى حاولت السيدة جيهان أن «تزقه» حسب تعبيره! لكنه رفضه، ولم يمر هذا القانون إلا بعد أن «رفدوا» الشيخ! ودون أن يعرض على مجلس الشعب؟!

●●●

يضحك الشيخ الشعراوى طويلا وهو يقول: سألنى الرئيس السادات فى دهشة:

ــ هل صحيح يا شيخ شعراوى إنك لا تقعد على مكتبك فى الوزارة.. وأنك تتركه وتجلس بعيداً، على كرسي، إلى جانب الباب تستقبل زوارك وموظفي الوزارة وأصحاب الحاجات الذين يقصدونك كوزير للأوقاف؟

فقلت له:

ــ أيوه ياريس.. صحيح الكلام ده.. باقعد على كرسى «خرزان» جنب الباب!

فازدادت دهشة السادات.. وعاد يسألني:

ــ وإذا كانت هناك ورقة تحتاج إلى توقيع من فضيلة الشيخ الشعراوى وزير الاوقاف وشئون الأزهر.. فأين توقعها؟

فقلت: وأنا قاعد مكاني على الكرسي «الخرزان»!

فسألني وهو يضحك:

ـ يعني بتحط الورق على ركبتك وتوقع عليه؟!

فقلت: قدامي «ترابيزة» صغيرة باوقع عليها!

وأضفت : وحكاية الورق والتوقيعات مش كتير.. لاني قمت بتوزيع الاختصاصات على كبار موظفي الوزارة.

وسألني : وإيه الفكرة من إنك تترك المكتب والكرسي الجلد المريح والفخم.. وتجلس بعيدا على كرسى خرزان إلى جانب الباب؟

فقلت : علشان يبقى الباب قريب.. وساعة ما «ترفدوني» أجرى وأقول يافكيك! اتعتقت والحمد لله !

وضحك السادات يومها طويلاً.

وقال الشيخ : كانت الوزارة عبئا ثقيلاً.. وكانت مشاكلها كثيرة.. وكنت انتظر الفرج بخروجي منها بعد أن زهقت وتعبت وضاعت «التحويشة» على الوزارة كما سبق أن قلت.. ولكن بعد خروجي من الوزارة قاموا بتصليح المرتبات..

●●●

سؤال : هل كان الشيخ الشعراوى يحضر الحفلات التى تقام فى

المناسبات مع الرئيس السادات؟ أقصد الحفلات العامة التي كان تقدم فيها الأغاني؟

وقال الشيخ . ماحصلش أبدا.. لكن هناك واقعة واحدة.. كنت أنا الوحيد الذي يضع على رأسه «عمامة» في حفلة فيها «رقص ومغني» وغضبت لأنني وجدت نفسي في حفلة لم أكن أتصور أنها كذلك!

كانت هذه الحفلة قد أقامها الرئيس السادات لضيفه الرئيس الروماني «شاوشيسكو» الذي أطيح به وأعدم على يد الثوار الشيوعيين وقرأنا عن جرائمه في حق شعبه ما لم يكن يتصوره أحد لبشاعته، فقد ظلت مستورة طوال حكمه، شأنه في ذلك شأن كل الطغاة الجبابرة.. من الشيوعيين وغير الشيوعيين.

ذهبت إلى الحفلة مع الرئيس السادات ولم أكن أتوقع أن فيها «رقص ومغني».. كان هناك حشد من الفنانين والفنانات.

وعندما بدأت الحفلة.. وأخذت فقرات الرقص والمغني تتوالى.. أحسست بالضيق وحرج موقفي.. فأنا «العمامة» الوحيدة في الحفلة! وفكرت في الانسحاب بطريقة هادئة.. وانتظرت حتى تنتهي الفقرة التي كانت مستمرة على المسرح وكانت «وصلة» غناء! لكنني من شدة ضيقي لم أحتمل الجلوس بصورة عادية وانحرفت بالكرسي.. و«اتعوجت» في جلستي على نحو يبدو وكأنني لا أنظر إلى المسرح وأنني غير مستريح.. وكان في ذهني الانصراف فور انتهاء فقرة الغناء.

ويبدو أن الرئيس السادات لاحظ ذلك، ونظر إلى ممدوح سالم نظرة فهم منها ممدوح سالم مايريده الرئيس.. فترك مكانه ومر بجانبي وهمس في أذني: «اعدل نفسك يامولانا ».. !

فقلت له غضب:

— أنا اللي اتعدل ؟ !

ولم اتعدل فى جلستى .. واستبد بى الضيق.. وخرجت بعد انتهاء فقرةالغناء.. وقلت بعدها «توبة» فلن اذهب إلى أى حفلة قبل أن أعرف برنامجها!

ونسأل الشيخ : ومـاذا عن حفـلات السيدة جيهـان التى حضرهـا الشيخ؟ الحفلات الخيرية التى كانت تقيمهـا، خاصة ونحن نعرف أنها كانت لها نشـاطات كثيرة؟

قال الشيخ : لم أحضر لها ولا حفلة ! وهى كان لها موقف منى !

والحفلة الوحيدة التى حضرتها معهـا هى الحفلة التى تم فيها عقد قران ابنتها التى تزوجت من ابن عثمان أحمد عثمان.

أنا ذهبت علشان أعقد العقد.

وكان الرئيس السادات يرحمه الله موجوداً.

وكان عثمان أحمد عثمان، الله يشفيه ويعافيه، موجوداً.

وجاءت السيدة جيهان.. وقالت لى:

— ازيك يا شيخ شعراوى ؟

فقلت لها : الله يسلمك.

فقالت وهى تدخل فى موضوع آخر:

— وازى بنتك ؟

قلت : كويسه..

قالت : هى اللى لسة بتخدمك ؟

قلت : أيوه.. هى اللى لسه بتخدمنى.

وسكتت السيدة جيهان لحظات.. وأدركت أنـا أنها تريد أن تدخل فى كلام معى.. وأن «تتكشنى».. فقلت لها:

— وحضرتك ماسألتنيش قدام « الريس » السؤال اللى ناقص؟

قالت : اللى هوه إيه ؟!

قلت : تسألينى .. و « طابخين إيه النهاردة » ؟

وضحك السادات .

وضحك عثمان . وابتعدت هي عني ..

وقال الشيخ وهو يتذكر: وهناك حفلة دعتني إليها السيدة جيهان لالقي محاضرة في جمع من السيدات.. واشترطت عليها أن تكون الحاضرات «محجبات» ووافقت هي على هذا الشرط. لكنى عندما ذهبت وجدت «حاجة تانية » !

وتضايقت أنا .. وناديت على واحد وقلت له:

ـــ هات لى السواق بتاعى على شريف.

وجاءت السيدة جيهان تسألنى :

ـــ حصل إيه يا شيخ شعراوى ؟

قلت لها :: ماحصلش حاجة ! بس حضرتك تقدرى تقومى بالمهمة وتخطبي فيهم بدلا مني.. وليس عليك من حرج!وتركتها وانصرفت ..

ويومها غضبت مني !

وقال الشيخ : وقتها كانت السيدة جيهان تحاول أن «تزق» قانون الأحوال الشخصية الجديد.. لكننى رفضته وعارضته.. ولم يتم إلا بعد خروجي من الوزارة.. بعد أن «رفدونى»! وكانت معارضتى لهذا القانون ورفضي له من أهم أسباب غضبها مني.

●●●

وقانون الأحوال الشخصية الذى رفضه الشيخ الشعراوى .. ولم يصدر إلا بعد خروجه من الوزارة أو بعد أن «رفدوه» حسب تعبيره.. هذا القانون كانت حكايته حكاية!

فقد لقى معارضة واسعة، وأقيمت الندوات لمهاجمته، وقالوا إنه أدى إلى خراب الكثير من البيوت! وإلى «نشوز» بعض النساء! وإلى مشاكسة الزوجات للأزواج، وتهديدهم بالطرد من الشقة في حالة الخلاف والطلاق! وإلى استذلال بعض الزوجات للأزواج.

بل وقالوا أيضا إنه يخالف روح الشريعة! والغريب في حكاية هذا القانون أنه صدر دون أن يعرض على مجلس الشعب! أي في غيبة البرلمان ! أي أن ودلاته كانت غير طبيعية ! وهذا ماقرره

أحد الذين ناقشوه من الوجهة الشرعية ووافقوا عليه! وهو الدكتور عبدالمنعم النمر وزير الأوقاف الذي صدر في عهده هذا القانون بعد خروج الشعراوي من الوزارة!

وبعد خمس سنوات من التطبيق بدأت الأصوات ترتفع مطالبة بتعديله للثغرات التي كشف عنها التطبيق!

ويعود الشيخ للحديث عن السادات ويقول: السادات كانت له طبائع أولاد البلد.. وكان يحب «الشياكة».. كان «كييف لبس»! و«ابن نكتة» ويحب «القفشات» !

وقال : أذكر أنني ذهبت وأنا وزير إلى «روما» لكي نقيم المركز الاسلامي هناك.. وكان هذا المركز قد أخذ من المفاوضات لإنشائه حوالي ١٥ سنة .. وتدخلت فيها «الفاتيكان» .

كانت الفاتيكان رافضة في أول الأمر.. ثم وافقت بعد ١٥ سنةمن المفاوضات.. وذهبنا لوضع حجر الأساس للمركز الاسلامي والمسجد الملحق به.. وروما كما نعرف مقامة على «سبع ربوات » وكان من توفيق الله لنا أن المركز أقيم في أحسن ربوة، وكان موقعه في حي «باريولي» وهو من أرقى أحياء العاصمة الايطالية.

وقبل السفر، كنت قدالتقيت باثنين من الزملاء الوزراء.. المهندس عبدالعظيم أبوالعطا وزير الري وتوفيق عبدالفتاح وزير التموين.

فسألاني : حتسافر أيطاليا بكرة يا مولانا؟

قلت : أيوه .. ان شاء الله .

فقالا : ايطاليا مشهورة «بالجزم» المتينة الكويسة .. اللي فيها ذوق!

قلت : هذا صحيح .

قالا : كل واحد منا عاوز «جوزين» أسمر وبني.. والمقاس هو كذا وكذا.

قلت : طيب .

وسافرت .. وأدينا مهمة وضع حجر الاساس للمركز الاسلامى والجامع الكبير الملحق به.. واشتريت «الجزم» المطلوبة للزميلين الوزيرين.. واشتريت لنفسي أيضا «جوزين» أسمر وبني.. ورجعت إلى مصر.

وأعطيت لكل وزير «الجزمتين» بتوعه .. وحدث في اليوم التالى أن كان هناك لقاء للوزراء مع السادات في قصر عابدين.

ودخل الوزير عبدالعظيم أبوالعطا فلمح السادات «الجزمة» الجديدة في قدمه.. فسأله وسط الحاضرين:

— «الجزمة» الشيك دى منين يا عبدالعظيم؟

فرد عبدالعظيم أبوالعطا: من مولانا الشيخ الشعراوى! اشتراها لى من ايطاليا.. وبعد فترة دخل الوزير توفيق عبدالفتاح، فلمح السادات «الجزمة» الجديدة في قدمه..

فسأله هو الآخر:

— ايه الحكاية؟ ! «الجزمة» الشيك دى منين يا توفيق؟

فرد توفيق عبدالفتاح: من مولانا الشعراوى!.. اشتراها لى من ايطاليا.. وقال الشعراوى : ودخلت أنا بعدهما.. ففوجئت بالسادات لاينظر إلى «العمامة» وانما إلى «الجزمة» التى في قدمي.. وكانت «جزمة» قديمة! ولاحظت أيضا أن الوزراء الحاضرين يفعلون نفس الشيء وهم يبتسمون. وفوجئت بالسادات يسألنى في دهشة:

— فين «الجزمة» الايطالى يا مولانا ؟!

فضحك الوزراء ! وضحكت أنا الآخر وقلت :

— شايلها فى البيت علشان مقابلة الحكام !

وضحك السادات وقهقه طويلا. وضحك معه الوزراء!

●●●

وقال الشيخ : كان الرئيس السادات لديه نزعة دينية.. وقد حدث وأنا وزير أن اتصل بى الفريق محمد مصطفى الماحى رئيس المخابرات وقتئذ وقال لى: إنه مطلوب منى أن أعمل محاضرة لضباط المخابرات، وأن أرد على أسئلتهم.

فسألته : وهل سينشر كلامي ؟

قال : نعم ، والرئيس السادات مهتم جدا بهذه المحاضرة .. وأنه طلب أن يتم اعداد مكان للصلاة قريب من مكان المحاضرة.. وأن تبدأ المحاضرة قبل صلاة المغرب، ثم تستكمل بعد الصلاة.

وقال الشيخ : كانت فكرة الرئيس السادات هى أن يعطى رمزا ودلالة على التمسك بالدين.

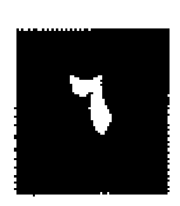
وذهبت وقلت محاضرتي.. ودخلنا فى حوار ساخن مفتوح.

وفى النهاية قلت : إن المخابرات شرعية.. ولكنني أرجو أن تكون المخابرات استدلالا، وليس استغلالا، ولا استذلالا، فمشروعية العمل أنه وسيلة لاستقرار، أو وسيلة لحفظ، أو وسيلة كي نحترس من مجيء عدو، ولكن دون أن نتزيد فى ذلك تزيدا يشبع شهوات النفس.

الشعراوى .. الذى لا تعرفه



حكايتي مع السادات



السادات كان « أحدق » .. من عبد الناصر

● رفضت ٣ ملايين دولار .. أيام المقاطعة العربية لمصر

● إلغاء التواجد الروسى أهم من تأميم القناة

● لم أقل في مجلس الشعب : إن السادات لايسأل عما يفعل

كيف يرى الشيخ الشعراوى «سادات ـ ميت أبو الكوم؟ سادات الجلابية والعباءة والعصا الأبنوس؟»

وهل يختلف «سادات ـ ميت أبو الكوم» عن «سادات القصور»؟ سادات الشياكة والأناقة وعصا المارشالية؟

ولماذا يقول الشيخ الشعراوى: إن السادات كان «أحدق» من عبدالناصر؟

وان إلغاء التواجد الروسي فى مصر كان أهم من تأميم قناة السويس؟

وهل يذكر الشيخ العبارة التي قالها فى مجلس الشعب عن الرئيس السادات والتى أخذها البعض عليه واستنكروا صدورها منه، وهى قوله: إن الرئيس السادات لايسأل عما يفعل ؟

وهل تلقى الشيخ عرضا بتسجيل تفسير القرآن خارج مصر أيام مقاطعة الدول العربية لمصر بعد زيارة السادات للقدس؟

ثم ماذا يقول الشيخ عن قرارات سبتمبر١٩٨١ التى انتهت بالسادات إلى هذا المصير المفجع؟

وما هو تقييمه لفترة حكم السادات؟

تلك أسئلة يضع الشيخ الاجابة عليها فى سياق هذه المواجهة، وبكل صراحة.. للحقيقة .. وللتاريخ..

●●●

سؤال : هل ذهب فضيلة الشيخ الشعراوى إلى «ميت أبوالكرم»؟ هل التقى هناك بالرئيس السادات وهو يرتدى الجلباب ومن فوقه «العباية»؟

ومماهو انطباعه عن «سادات ميت أبوالكرم» بعيدا عن «سادات القصور» وسادات الأناقة والشياكة وعصا المارشالية؟

قال الشيخ : أنا التقيت بالسادات فى «ميت أبو الكوم» مرة أومرتين وأنا وزير.. والسادات كان رئيس دولة.. وكان رجلا ثوريا.. كل هذا صحيح.. ولكنه كان يعطينى الانطباع، وهو فى «ميت أبوالكوم» بأنه كان يتمنى فى نفسه أن يكون من «أعيان الريف الكبار»!

فهو يرتدى ملابس الريف.. ويتكلم لغة الريف . وله طبيعة أهل الريف عندما يتحدث مع الأهالى. وكل هذه تعطى له شخصية أخرى..

وأذكر بهذه المناسبة واقعة لها دلالاتها.. كنا فى «كفر الربيع» بتاع المسانية.. كان السادات وعثمان أحمد عثمان وأنا..

وأثناء مرورنا على الطريق لاحظ السادات أن هناك «قاعدة» جميلة على شاطىء النهر.. وكان صاحبها رجل اسمه سعيد أبو حسين.. فالسادات قال لعثمان: «يا عثمان عايز تعمل لى قاعدة جميلة زى دى!» وكلام السادات هذا جعلنى آخذ فكرة فى ذلك اليوم عنه وهى أنه رجل ليس فيه «غل» أو «حقود على ذى نعمة! أو ثراء.. بدليل انه بيقول «اعمل لى قاعدة جميلة زى دى»!

ومضى الشيخ يقول : إلغاء التواجد الروسى فى مصر.. هذه مسألة ليست سهلة.. وليست هينة.

كنا نسمع ان فى مصر مواقع لايستطيع أى وزير مصر أن يدخلها أو يقترب منها! فيأتى السادات ويلغيها.. يلغى التواجد الروسى بكل هدوء وبدون ضجة .

هذه المسألة.. هى فى تقديرى حدث أهم من تأميم «قنال السويس»!

ولكى نعرف أهمية هذا الحدث بكل أبعاده علينا أن ننظر إلى أفغانستان وما جرى فى أفغانستان !

كل الذى جرى فى أفغانستان كان بسبب «شوية» شيوعيين!

مجموعة من الشيوعيين راحوا أفغانستان فبهدلوهـا وعملوا فيها الذى لايعمل! وكل مـا جـرى ويجرى بعـد ذلك، كـان نتيجـة لما فعلـه الشيوعيـون فى أفغانستان. وكون السادات يلغى التواجـد الروسى، بهدوء، وبدون ضجة، وينجح فى ذلك فهذا شىء كبير يحسب له .

وقال الشيخ : فى تاريخ مصر الحديث حدثان :

تأميم القنال.. وإلغاء التواجد الروسى..

وفى تقديرى، كما قلت ، ان إلغاء التواجد الروسى كان هو الأهم..

وقال : شىء آخـر يحسب للسادات.. وهـو أنه تقبل مسألـة التندر عليه قبل الحرب.. ثم فاجأ العالم والقوتين الدولتين الكبيرتين بإعلان الحرب.. هذه مسألة يتفرد فيها .

●●●

سؤال : هناك من يأخـذ على الشيخ الشعـراوى عبـارة قـالها فى مجلس الشعب أيام كان وزيرا وهى: ان الرئيس السادات لايسأل عما يفعل ! فكيف قالها الشيخ ؟ وما الذى كان يقصده بهذه العبارة ؟

قال الشيخ : الذى يردد هذه العبارة، فى غير السياق الذى قيلت فيه والمعنى المقصود منهـا، هم الخصوم.. وأى إنسـان ينجح فى أداء عمله لابد أن يكـون له خصـوم.. وهؤلاء الخصـوم إن علموا الخير أخفـوه، وإن علموا الشر أذاعوه، وإن لم يعلموا بشىء كذبوا.

وأنـا لم أقل هذه العبـارة على هذا النحـو الذى يقـولونـه.. هل من المعقول أن أقول إن السادات لايسأل عن فعله ؟!

إننى أعلم بربى من السادات.. والقضية التى اختلفت معه فيها هى القضية التى أشرت أنت إليها فى «آخر ساعة» بإسهاب وأسميتها قضية «الحوت» حـوت وزارة الأوقـاف ، أو حـوت المجلـس الأعلى للشئـون الاسـلامية الذى كـانت سلطتـه فـوق سلطة وزراء الأوقـاف، وكـان يشتمهم بأحط الألفاظ! وقد اتخذت قرارا بإبعاده.. ولكنه كان صاحب

نفوذ، وكانت علاقاته واتصالاته واسعة بالدوائر العليا، لذلك أصدر الرئيس السادات قرارا بإعادته إلى العمل ردا لاعتباره، كما جاء فى القرار.

وكان غريبا أن يصدر هذا القرار من الرئيس السادات فى الوقت الذى كانت فيه قضية الحوت منظورة أمام مجلس الدولة لاعادته ولم يكن قد تم الفصل فيها! وقد صدر الحكم فيهما مؤيدا للقرار الذى اتخذته أنا بإبعاده - أى بإبعاد هذا الحوت كما أسميتموه - عن الوظيفة للتجاوزات الخطيرة التى صدرت منه.. أى أن الله قد نصرنى على السادات فى هذه القضية.

وأضاف الشيخ : ونأتى للعبارة التى يرددها الخصوم وهى أنى قلت: ان «الرئيس السادات لايسأل عما يفعل» واننى قلتها عندما أصدر السادات قراره بإعادة الحوت ردا لاعتباره! وهذا غير صحيح والذى قلته بالضبط هو أننى وزير.. وعندى موظف أوقفته وأبعدته لتجاوزاته وانحرافاته، لكن رئيس الدولة له مهمة عنده، وهذه المهمة يعرفها هو ولاأعرفها أنا.. وقد يكون عنده من الأسباب ما يجعله يتخذ هذا القرار، وليس لى أن أسأله.. لأنه رئيس الدولة.. ويعلم ما لا أعلم.. وهو أدرى بمصلحة البلد العليا .

وقال الشيخ : وهذا ما قلته تعليقا على قرار السادات بإعادة الحوت .

ولكن كلمة القضاء فصلت فى هذه القضية، فقد صدر الحكم مؤيدا لقرارى ضد الحوت! وقبل السادات بذلك، لانه رجل ذكى، ولايريد أن يبدو مشجعا ومساندا للفساد أو لواحد من رموز الانحراف!

سؤال : بعد زيارة الرئيس السادات للقدس قطعت الدول العربية علاقاتها بمصر.. وظهر ما كان يعرف بدول الرفض، وهى الدول التى كانت أكثر انتقادا، بل وتهجما، على الرئيس السادات.. وتردد فى ذلك

أن بعض الدول العربية عرضت على الشيخ الشعراوى أن يسجل لها بعض البرامج الدينية، وأن يكون من بين هذه البرامج، تفسير القرآن مقابل مبلغ كبير.. فما هى حقيقة هذا الكلام ؟ وماذا كان رأى الشيخ فى المقاطعة ؟

قال الشيخ : أولا ، أود أن أوضح أننى كنت ضد المقاطعة، فليس من المقبول ولا من المعقول، أن تقاطع الدول العربية مصر، لأن رئيسها رأى أن يزور القدس، وأن يبدى الرغبة فى السلام من موقف القوة، وبعد الانتصار فى الحرب، حقنا للدماء وأن يسقط من يد اسرائيل الورقة التى كانت تلعب بها، وتقول للعالم انها تريد السلام وأن العرب هم الذين يريدون الحرب والعدوان .

لم أكن مع الدول العربية التى قاطعت مصر .

ولم أقبل فى ذلك الوقت أى دعوة وجهت لى من أى دولة عربية .

أما السعودية فتربطنى بها وشائج روحية ودينية ولذلك فهى لها وضعها الخاص عندى.

وقد تلقيت عرضا بالفعل للتسجيل فى إحدى الدول العربية، وكان العرض بأكثر من مليون دولار.. ولكنى رفضت وقلت : لن أسجل كلمة واحدة خارج بلدى .. مصر .

سؤال : هل تلقى الشيخ عرضا من إحدى شركات التليفزيون الأجنبية لتسجيل «تفسير القرآن» على أن تقوم هى بترجمته إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ؟

قال الشيخ : حصل.. تستطيع أن تسأل أصحابى فلان وفلان وفلان. وهم يعرفون تفاصيل هذه الحكاية .

وقال الشيخ : صديقى وجيه أباظة، رحمه الله هو الذى جاء يتوسط لكى أقبل عرض إحدى الشركات الألمانية لتسجيل خواطرى حول القرآن الكريم، وأن يتم ترجمة التسجيل إلى اللغات الألمانية

والانجليزية والفرنسية، وعرضوا المبلغ الذى أشرت أنت إليه.. وقالوا وفى ظنهم أن هذا إغراء لى: ان التسجيل سيكون فى الخارج، حيث لاأدفع ضرائب على هذا المبلغ الذى سأحصل ليه. لكنى رفضت ..

وقلت : ولا كلمة أسجلها خارج مصر، ولا كلمة أسجلها لأى محطة أجنبية.. مهما كان العرض.

ومن باب الاغراء أيضا ، ذهبوا ووضعوا جزءا من المبلغ فى خزانة صديقى الحاج أحمد أبوشقرة.. وظل هذا المبلغ فى الخزانة لفترة حاولوا خلالها إقناعى بالعرض لكن رفضى كان قاطعا .

●●●

سؤال : فى الأيام الأخيرة لحكمه كان الرئيس السادات عصبيا ومتوترا على نحو ملحوظ.. وجاءت قرارات سبتمبر١٩٨١ التى أصدرها باعتقال المئات من رموز الحركة الوطنية فى مصر، فى مختلف الاتجاهات لتؤكد الحالة التى وصل إليها، والتى انتهت بحادث المنصة.. حادث الاغتيال على نحو غير مسبوق فى تاريخ مصر .

فماذا يقول الشيخ عن قرارات سبتمبر التى انتهت بالسادات إلى هذا المصير المفجع ؟ .

قال الشيخ : حين يوجد رئيس ثورى حكم بدون أن يحكّمه شعبه.. فهو يتهيب من كل همسة! ثم تأتى إليه معلومات ليست فى بالنا نحن، فأى همسة لابد أن يتحسب منها.. لأنه يعرف أن بقاءه فى الحكم هو استبقاء للحياة بالنسبة له.. ومن هنا فهو يضرب بشدة كل من يهدد بقاءه فى الحكم.. وهذا ما فعله كل حاكم ثورى.. فهو يحافظ على حكمه محافظته على حياته!

ويضحك الشيخ من قلبه وهو يروى بعض ما كان يجرى فى جلسات مجلس الوزراء من «قفشات» يقول : الدكتور ابراهيم بدران وزير الصحة الأسبق كان يقعد إلى جانبه فى المجلس.. وحدث ذات مرة

أن كانت الجلسة ساخنة من البداية.. كان الموضوع الذى يجرى مناقشته هو البنك الدولى والأزمة مع البنك فى ذلك الوقت، والديون، والكلام الذى يقال فى الخارج عن إعلان إفلاسنا . كان جو الجلسة مكهربا !

وكنت وقتها «أدخن السجاير » بكثرة.. فكان الدكتور ابراهيم بدران كلما شرعت فى تدخين سيجارة، يأخذها من يدى ويطفيها ويقول :

— صحتك يا مولانا !

وكان ممدوح سالم رئيس الوزراء يلاحظ ذلك ويبتسم !

لكن حدث عندما طالت الجلسة واشتدت المناقشات وتكهرب الجو بعد أربع ساعات متواصلة.. حدث أن فوجئت بالدكتور ابراهيم بدران «يخبط» على يدى ويقول :

— هات سيجارة يا مولانا !

فاندهشت ! وأعطيته السيجارة..

فعاد يقول :

— والكبريت لو سمحت يا مولانا ! وأعطيته الكبريت ..

ولاحظ ممدوح سالم ان ابراهيم بدران يضع السيجارة فى فمه ويشعلها ويدخن.. فاستغرب!

وقال ممدوح سالم لابراهيم بدران وهو فى غاية الدهشة :

— إيه الحكاية يا دكتور بدران.. انت موش ضد التدخين وكنت بتقول انك حتفضل ورا مولانا الشيخ لغاية ما يبطل التدخين! فهل انقلبت الآية وأصبح هو وراك حتى أصبحت تدخن !

ورد الدكتور بدران : حاعمل ايه.. الجلسة صعبة.. وأعصابنا تعبت.. وكويس انها «جت على السجاير»! دى بدها حشيش!

وضحك المجلس !

وقال الشيخ : وأنا أحمد الله أننى تخلصت من هـذه العادة السيئة.. عادة التدخين.. وأذكر أن الفضل فى ذلك كان لصديقى الشيخ سيد جلال الذى أمسكنى من يدى ونحن نطوف الكعبة المشرفة ودعا الله أن يخلصنى من «التدخين»! وبعد مرضت فتوقفت عن التدخين، ثم عوفيت وقد تخلصت من هذه العادة السيئة والحمد لله .

●●●

سؤال : ما هو تقييم الشيخ الشعراوى لفترة حكم السادات ؟

قال الشيخ : السادات كان امتدادا للحكم الثورى الصحيح.. ولكنه حاول أن يخرج من الثورية الشرسة إلى الثورية الهادئة الناعمة! ووفقه الله فى أن يزيل عن الناس أشياء أتعبتهم جدا فى عهد عبدالناصر.. من ناحية تهجم رجاله على الأعراض.. وعدم أمانتهم فى الحراسات التى فرضوها على الناس.. وأسباب الحراسة.

كل هذه المسائل، وما أشيع عن عدم الاحترام للأعراض .

فالسادات أمن الناس على حياتهم .. وأمن الناس على أعراضهم، وأمن الناس على نشاطاتهم بحيث لاتتعرض لها الدولة، مادامت حقوق الدولة مرعية.

هذه أشياء لاأحد ينكرها..

ونأتى بعد ذلك للسياسة العامة..

ونحن نعرف كيف كان السادات يستقبل الأحداث..

كان السادات يتصرف أحيانا فى مواجهة بعض الأحداث حسبما قاله شوقى : «ربما تقتضيك الشجاعة أن تجبن ساعة» .

وأحيانا كان يستنيم للأحداث.. وهذه أخذها من عهد عبدالناصر.. وأذكر هنا أننى عندما تكلمت مع شعراوى جمعة ووجيه أباظة رحمهما الله بعد وفاة عبدالناصر، وسألتهما : لماذا عدلتم عن اختيار زكريا محيى الدين للرياسة، واخترتم السادات؟ قالا : ان زكريا

يصعب التغلب عليه فهو «نساب» أما السادات فنستطيع في أي وقت أن نتخلص منه ..

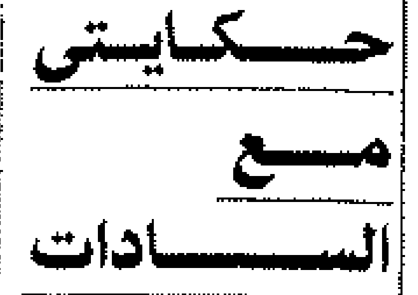
وقال شعراوي جمعة : وان شئت أن نأتي لك به إلى هنا مقبوضا عليه فسوف نفعل !

وقد رددت عليهما يوما بأنهما ومن معهما في تفكيرهما مخطئون من الناحية الدينية والسياسية .

وكان تقديري يومها أن الرجل، وأعني السادات، الذي استطاع أن يعيش مع جمال عبدالناصر عشرين سنة ولم يمكن منه جمال عبدالناصر «الذي كان فاتح جب لكل واحد للوقت الذي يسقطه فيه فلايظهر له أثر »!

هذا الرجل ليس سهلا.. فهو كما نقول عندنا في الفلاحين «أحدق» من جمال عبدالناصر !

ثم جاءت الأيام فأثبتت ذلك !



الشعراوى .. الذى لا نعرفه





يوم خروجي من الوزارة قلت : اترفدنا .. واتعتقنا

● سيد جلال طلب من السادات
الاحتفاظ بممدوح سالم
فقال له : الناس بتحب التغيير
وكان تعليقي :
إلاَّ في الرئاسة !

ويعود الحديث إلى أيامه الأخيرة فى الوزارة .. ويقول إنه التقى بممدوح سالم قبل إقالة الوزارة بأسبوعين وكرر له مطلبه فى الاستقالة وترك الوزارة بعد أن استبد به الضيق ولم يعد قادرا على تحمل المزيد، فرد عليه ممدوح سالم: «انتظر يامولانا.. سنخرج معا قريبا جدا»!

وقال الشيخ: أنا كنت أحب ممدوح سالم كثيرا.. وقد استوقفتنى عبارة «قريبا جدا» فسألته:

ـ صحيح ياسى ممدوح حيعتقونا قريبا جدا؟

قال: صحيح.. وسوف تسمع بذلك خلال أيام.

قلت: ربنا يبشرك بالخير!

وضحك.. وضحكت أنا أيضا.

وبعد يومين بدأ الكلام يتردد عن أن وزارة ممدوح سالم «ماشية».. وإن هذا أصبح فى حكم المؤكد.

كنا فى الاسكندرية فى ذلك الوقت.. وكان معى سيد جلال، والحاج أحمد أبو شقرة.

وحدث أن توفى ابن سيد جلال.. وقالوا: ان الرئيس السادات سيعود إلى القاهرة ويذهب إلى بيت سيد جلال ليعزيه فى وفاة ابنه.

فرجعنا كلنا إلى القاهرة.

وفى اليوم المحدد قال لى سيد جلال انه سينتظر الرئيس السادات فى البيت وبعد أن تنتهى هذه المهمة، سيحضر إلينا عند صديقنا أبوشقرة.

وذهب السادات لتعزية سيد جلال وجلس معه بعض الوقت ودار

بينهما حديث طويل.. وبعد انصراف السادات جاء سيد جلال ولحق بنا عند أبوشقرة، وجلسنا نتكلم.

وقال سيد جلال انه امتدح ممدوح سالم كثيرا، وطلب من الرئيس السادات أن يحتفظ بممدوح سالم.. فرد السادات عليه وقال : «ياعم سيد.. الشعب بيحب التغيير»!

وقلت لسيد جلال: وأنت رديت عليه وقلت ايه يابو لسان طويل؟!

فقال سيد جلال وهو يضحك:

ـ حاقول ايه؟ سكت..

فقلت له: أنت لم تعرف كيف ترد!

فقال: كنت عايزني أقول ايه؟

قلت: لما قال لك.. ان الشعب بيحب التغيير.. كان لازم تقول له «أيوه صحيح.. الا في الرياسة!».

وضحكنا ليلتها..

وفي اليوم التالي عرفنا أن وزارة ممدوح سالم ستقدم استقالتها بعد يومين أو ثلاثة أيام.

●●●

وخلال اليومين كانت هناك جلسة لمجلس الشعب.. وحضرنا هذه الجلسة.. وانتظرنا مجيء الرئيس.. وفجأة دوت القاعة بالتصفيق الحار الذي استمر لمدة ملحوظة وتوقعت انه السادات وانه حضر أخيرا لكنني فوجئت بأن التصفيق الحار كان تحية لممدوح سالم!

لقد استقبله المجلس استقبالا حافلا بعاصفة من التصفيق.

وأذكر انني قلت له يومها: ياممدوح.. كفاك هذا التكريم.

وبعد يومين اثنين عرفنا أن ممدوح سالم قد سلم السيارة التي كان يركبها إلى الحكومة! باعتبار أن مهمته كرئيس للوزراء قد انتهت.. ورجع إلى الاسكندرية بالقطار!

وذهبت أنا وسيد جلال وأبوشقرة، لنزوره فى الاسكندرية..

ذهبنا إلى بيته، فلم نجده..

وقالوا انه موجود فى «الكابينة» التى يملكها على الشاطىء.

وذهبنا إلى «الكابينة» ونحن نتصور انها شيء فخم جدا، فهى كابينة رئيس الحكومة! لكننا وجدناها «كابينة» متواضعة جدا.. لدرجة أن «الكابينة» التى إلى جوارها، وهى لموظف صغير، كان سكانها ينشرون «الغسيل» على باب ممدوح سالم! لأن «سى ممدوح» رجل طيب جدا، ولايمانع فى ذلك!

واستقبلنا الرجل بالترحاب.. وأصر على أن نتناول معه العشاء.

وعلى المائدة، وكنا أربعة أشخاص، كانت أمامنا «صينية بطاطس» وكمية لابأس بها من «أرغفة الخبز» والطرشى.

وكان هذا هو عشاؤنا الشهى مع رئيس الوزراء ممدوح سالم يوم خروجه من الوزارة!

وأنا لا أنسى أننى عندما كنت فى رحلة إلى بريطانيا لحضور أحد المؤتمرات وكان هناك أحد المسئولين الانجليز وهو وزير التعليم البريطاني الذى سأل «من يكون هذا الشيخ؟» فقالوا له: هذا الشيخ الشعراوي وزير الأوقاف وشئون الأزهر فى مصر، فقال: «انه يعمل مع رئيس الوزراء النظيف مدوح سالم»!

وقال الشيخ معلقا على عبارة وزير التعليم البريطاني: «شوف الريحة» النظيفة بتروح لغاية فين؟».

لقد قلت عن ممدوح سالم انه رئيس الوزراء الوحيد فى تاريخ مصر المعاصر الذى لم تجترىء عليه الاشاعات ولو بالكذب!

●●●

وقال الشيخ: ذهبت إليه ذات مساء، فى مكتبه، فوجدته مستغرقا فى العمل.. وسألته: هل تعشيت ياسى ممدوح؟

فقال: لم يأت وقت العشاء بعد.

قلت: وأين ستتعشى؟

قال: هنا.

قلت: ستطلب العشاء هنا؟

قـال: العشـاء موجـود.. وإذا كنت تحب أن تشـاركني فيـه فأهـلا وسهلا.. ويمكن أن نضاعف الكمية فورا.

قلت: وماذا سنأكل إن شاء الله؟

قال: الموجود.. الا إذا أحببت أن أحضر لك العشاء الذى تريد.

قلت: وما هو الموجود؟

قال: الخير كثير والحمدلله.. والأكل فى الثلاجة.

وذهبت وفتحت الثلاجة.. فوجدت فيها عشاء رئيس الوزراء.. وهو عبارة عن رغيفين وقطعة من الجبن وحوالى ربع كيلو طماطم!

وقال الشيخ: أنا لم أحمل نعشا الا نعش ممدوح سالم.. حملته على كتفي هذا لأنني كنت أحبـه وأقدره وأحترمـه كرجل طيب نظيف أعطى كل شيء وتفانى فى أداء واجبه وبإخلاص شديد.

ولم يأخذ شيئا! كان يبتغى وجه الله فقط.

●●●

ويأتى الحديث عن يوم خروج الشيخ من الوزارة..

ويضحك الشيخ طويلا وهو يروى حكايات ونوادر وزراء الأوقاف عند خروجهم من الوزارة.. يقول: كل وزير لـلأوقاف عندما «يرفدوه» يذهب إليه الأصدقاء وكأنهم يواسونه ويقدمون إليه العزاء!

وهؤلاء الأصدقـاء الذين يقومون بواجب العزاء، هم أنفسهم الذين سارعوا بتقديم التهانى عند دخول الوزارة!

وعندما كنت وزيرا للأوقاف وشئـون الأزهر، كان عندى سائق من الوزارة اسمه على شريف، رحمه الله، كان إنسـانا طيبا، وعمل مع كثير من الوزراء، وكنت أسأله ونحن فى الطريق:

— كام وزير «دوبتهم» يا وله؟

فيضحك ويقول: كتير يا مولانا!

وقال الشيخ: وحدث ذات مرة أن كنت فى مؤتمر فى الكويت، وكنت قد خرجت من الوزارة، وكان يحضر هذا المؤتمر وزير الأوقاف المصرى فى ذلك الوقت الأحمدى أبو النور.

وأثناء انعقاد المؤتمر حدث تغيير وزارى فى مصر و«رفدوا» الشيخ الأحمدى.. ولكنه مع ذلك بقى يواصل حضور جلسات المؤتمر!

وتقابلنا فى إحدى جلسات المؤتمر فقلت له وأنا أضحك:

يا جدع أنت.. قاعد هنا ليه؟!! ماخلاص شغلك انتهى.. و«اترفدت» من الوزارة!.. توكل على الله.. وروح شوف حالك!

وضحك الشيخ الأحمدى.. وقال: فعلا.. حاروح أشوف حالى! وترك المؤتمر، وعاد إلى القاهرة.

وقال الشيخ: كان «رفد» الشيخ الأحمدى مفاجأة له!

أما أنا فلم يكن «رفدى» مفاجأة! فقد عشنا أسبوعين، أنا وزملائى فى وزارة ممدوح سالم، ننتظر «الرفد» بين ساعة وأخرى!

كنا نعلم أن الوزارة «ماشية.. ماشية».. وكنا نستمع إلى نشرات الأخبار ونقول: «خلاص» جاءنا الفرج!

وكنت أكثر الوزراء انتظارا لهذا الفرج.

وعندما صدر قرار «الرفد» حمدت الله كثيرا، وقلت: «خلاص اتعتقنا»!

وقال الشيخ: لم يكن ضيقى من أن فلوسى ومدخراتى «والتحويشة» التى كانت معى قد ضاعت كلها على الوزارة التى لم يكن مرتبى فيها أكثر من ٢٧٠ جنيها! وكنت أعطى هذا المرتب للسائق على شريف لكى يدبر به أمورى كوزير للأوقاف وشئون الأزهر.

ولم يكن ضيقى من الجهد أو التعب الذى يصيبنا من العمل.

ولكن ضيقي كان لشعوري بأنني غير قادر على تحقيق ما أريد.

وأنني في مأزق كوزير للأوقاف وشئون الأزهر.

فالذي أريده، والذي أقوله، والذي أسعى لتحقيقه شيء.. والواقع شيء آخر!

ولذلك كنت أقول: ان وزير الأوقاف يصرف أموره كالبهلوان.. يعني «بالحداقة»!

وقال الشيخ وهو لايزال يضحك: ولما «رفدوني» من الوزارة.. لاحظت أن بعض الأصدقاء يأتون «لمواساتي وتعزيتي»! كما كنت أفعل أنا مع الوزراء الذين سبقوني و«اترفدوا».. لكنني كنت أفعل ذلك من باب الضحك.

وقال: وأذكر أن صديقي الحاج أحمد أبو شقرة قال لي بعد خروجي من الوزارة: لماذا لا تذهب في رحلة إلى البرتغال؟ انها بلد جميل وأنت لم ترها من قبل!

فقلت له: هل تريدنا أن نذهب في رحلة إلى البرتغال لأنها بلد جميل لم نره؟.. أم أنك تريد من وراء هذه الرحلة أن تسرِّي عني بعد «رفدي» من الوزارة؟

فقال: إن كان على الوزارة فأنا «باركت لك» يوم خروجك منها!

وضحكنا يومها.. وبعد أسبوع سافرنا إلى البرتغال!

●●●

وقال الشيخ، وحديثه لايزال عن يوم خروجه من الوزارة: أين نحن من مشايخنا العظام؟!

الشيخ سليم البشري، رحمه الله عليه، كان من رجال الأزهر الشريف.

كان من شيوخ الأزهر الأجلاء العظام الذين لا يسمحون لأحد بأن يقول لهم كلمة تخالف أو تتعارض مع قيمهم الدينية.

كان الشيخ البشرى من الشيوخ الذين قال عنهم شوقى:

كانوا أجل من الملوك جلالة. وأعز سلطانا وأفخم مظهرا.

الشيخ البشرى هذا وقف أمام الخديو ولم يتراجع عن موقفه فى مسألة حضوره تشييع جنازة الشيخ محمد عبده.

كان الخديو لايريد له أن يحضر تشييع الجنازة.

وأرسل له «مندوبا» من «السراية» يقول له: «أفندينا بيقول بلاش تمشى فى جنازة الشيخ محمد عبده»!

فرد عليه الشيخ البشرى بكل شجاعة العلماء العظام قائلا:

ـ يعنى هو أفندينا ربنا؟!

ونقلت الكلمة إلى الخديو.. فكانت سببا فى إبعاده عن الأزهر!

وبعد خروجه من الأزهر.. ذهب بعض العلماء إلى بيته لزيارته وتعزيته!

ذهبوا فى الصباح الباكر، فوجدوه يرتدى القميص واللباس والصديرى مثل أهل الريف.. وفى يده «مقشة» وقد انهمك فى الكنس وسط الدار.. ولم يعرفوه! ووقفوا يستعجبون! هل هو الشيخ البشرى؟! أم رجل آخر؟! ولمحهم هو.. وعرفهم.. فناداهم وقال لهم:

ـ أنا.. أنا الذى جئتم تسألون عنه! أنا البشرى.. تعالوا.. اتفضلوا.

ودخلوا يسلمون عليه.. وأبدوا أسفهم لما جرى للشيخ الجليل على يد أفندينا الخديو!

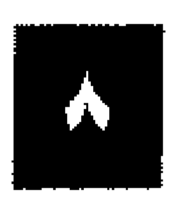
فقال لهم وهو لايزال ممسكا بالمقشة:

ـ لا تأسفوا.. فكل مولى.. معزول!!

الشعراوى .. الذى لا نعرفه

حكايتى مع السادات





الشيخ فى « كامب ديفيد » .. ومعه فسيخ وطعمية وجبنة قديمة !

● حضرت الأيام الثلاثة الأخيرة وسافرت قبل التوقيع

● أبو غزالة قال لى : المباحثات فشلت ونحن نجمع أوراقنا .. وفى اليوم التالى قال : « حصل انفراج يا مولانا » !

لا أحد يعرف أن الشيخ الشعراوى كان فى كامب ديفيد وقت أن كان العالم كله يتابع باهتمام مايجرى هناك من مباحثات بين السادات وبيجن والشريك الأمريكى كارتر!

ولاأحد يعرف أن الشيخ قد أمضى هناك الأيام الثلاثة الأخيرة العصيبة التى شهدت أدق المباحثات وأكثرها صعوبة، والتى انتهت باتفاقية كامب ديفيد أو اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل!

كيف حدث ذلك ؟

وهل كان ضمن الوفد المصاحب للوفد المشارك فى مباحثات كامب ديفيد؟

ومالذى رآه وسمعه وقاله هناك؟

وكيف لم يعلن عن وجود الشيخ هناك؟

تلك أسئلة طافت بذهنى لبعض الوقت عندما سمعت الشيخ يقول فى سياق حديث عابر عن كامب ديفيد «أنا كنت هناك»!

وأدهشتنى العبارة التى كان سماعها مفاجأة، فسألته ليتأكد لى ماسمعت:

— كنت فى كامب ديفيد ياMولانا؟

قال : أيوه.

قلت . وقت المباحثات بين السادات وبيجن وحضور الشريك الأمريكى كارتر؟

قال : أيوه.

قلت للمرة الثانية : فى كامب ديفيد يامولانا؟

قال : قلت لك أيوه.. فى كامب ديفيد.. وقعدنا ثلاثة أيام.. الأيام الثلاثة الأخيرة العصيبة التى سبقت التوقيع!

قلت وقد ازددت دهشة: لم أسمع هذا الكلام منك من قبل يامولانا! لقد تكلمنا كثيرا عن كامب ديفيد والذى جرى قبلها وبعدها لكنك لم تقل لى أنك كنت هناك؟

قال متسائلا: ازاى؟! أنا كنت فاكر اننى كلمتك فى هذا.. وقلت لك الحكاية.

قلت: أبدا.. فلنسمعها.. كيف كان الشيخ فى كامب ديفيد؟

قال الشيخ: لم أكن ضمن الوفد المصرى الرسمى المشارك فى مباحثات كامب ديفيد.

ولم يكن ذهابى الى هناك بدعوة من أية جهة.. لقد ذهبت وحدى.

كان الفندق الذى نزلت فيه ينزل فيه ايضا بعض أعضاء الوفد المصرى.

كان المشير أبوغزالة وقتها ملحقا عسكريا فى واشنطن.. وكان أبوغزالة على صلة بى.. كان يأخذنى فى سيارته ويطوف بنا فى واشنطن.. وكان يحدثنى عما يجرى فى المباحثات.

وقال الشيخ موضحا كلامه الذى يبدو كالألغاز.

رحلتى كان أصلا الى كندا..

كنت قد تلقيت دعوة لإلقاء عدة محاضرات هناك للعرب المغتربين والمهاجرين. وذهبت ومعى بعض الأصدقاء.

وأخذنا معنا، كعادتنا صفائح الفسيخ والجبنة القديمة والطعمية وهى الأكلات التى أحبها ويحبها الأصدقاء الذين كانوا معى..وضحك الشيخ وهو يقول: ورغم أن هذه الأشياء ممنوعة ولايمكن أن تمر فى أى مطار فى الدنيا إلاّ أننا دخلنا بها إلى كندا وإلى أمريكا! وكان ضبطها فى أى فندق يكفى لإعلان حالة الطوارىء وابلاغ النجدة!

وقال الشيخ: أمضينا فى كندا عدة أيام قدمت خلالها محاضرات وندوات فى المراكز الاسلامية. وفى طريق العودة ذهبنا الى واشنطن وإلى كامب ديفيد. نزلنا فى فندق فخم كان ينزل فيه بعض أعضاء الوفد.

وكانت المباحثات بين مصر وإسرائيل في حضور الشريك الأمريكي قد وصلت إلى طريق مسدود وانتهت إلى مأزق.. هكذا سمعت من المشير أبوغزالة.

كان المشير أبوغزالة يحكي لي عن المباحثات ومايدور فيها.

وفي يوم قال لي «خلاص المباحثات فشلت.. ونحن الآن نجمع أوراقنا استعدادا للعودة الى مصر».

لم يذكر لي أية تفاصيل.. لكنني قلت له: «ربنا يقدم اللي فيه الخير»..

وفي اليوم التالي جاءني أبوغزالة وقال: «هناك انفراج يامولانا في المباحثات. هناك تقدم على طريق الاتفاق»

وقال الشيخ:لقد أمضينا ثلاثة أيام كامب ديفيد..ثم غادرناها. وكانت الأيام الثلاثة هي الأيام الأخيرة التي سبقت التوقيع على الاتفاق.

لم أحضر توقيع الاتفاق.. سافرت ليلتها.. في الليلة التي كان من المقرر أن يتم التوقيع في صباح يومها التالي. وعدت إلى مصر.

وقال الشيخ: تسألني لماذا ذهبت إلى «كامب ديفيد»؟ وأقول لك: لم يكن هناك ترتيب مسبق.. لقد «مررنا عليها» ونحن في طريق العودة من كندا إلى القاهرة.

●●●

كان التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد في حديقة البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر١٩٧٨.

وبعدها بـ ٢٨ يوما، أي في ١٥ أكتوبر ١٩٧٨ جرى تغيير الوزارة التي كان يرأسها ممدوح سالم وكان الشيخ فيها وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر..

خرج ممدوح سالم ..

وخرج معه الشيخ الشعراوي ..

وقام مصطفى خليل بتشكيل الوزارة الجديدة..

الشعراوى .. الذى لا نعرفه

حكايتى مع السادات

٩



السادات مات شهيدا
والشماتة فى الموت ليست من أخلاق المسلمين

● قبل اغتياله بأسبوع .. السادات قال :
الشيخ الشعراوى يعلم الناس
كيف يقتلون رؤساءهم !

● السادات شاهد البرنامج
.. وقال قولته

سألت الشيخ الشعراوى عن يوم حادث المنصة.. يوم اغتيال الرئيس السادات.. هل كان الشيخ مدعوا لحضور الاحتفال الذى كان يوافق ذكرى انتصار حرب أكتوبر!

قال الشيخ: لم أكن مدعوا ..

وتساءل : لماذا يدعوننى؟ لم أكن فى ذلك الوقت وزيرا.. كنت قد خرجت من الوزارة من قبلها بزمان!

قلت : وهل كان الشيخ يحضر هذه الاحتفالات عندما كان وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر؟

قال الشيخ : أبدا.. لم أحضرها ولامرة.

وكشف الشيخ عن واقعة مثيرة جرت قبل اغتيال الرئيس السادات بأسبوع.

قال الشيخ : قبل حادث الاغتيال بأسبوع كنت أقدم حديثا فى التليفزيون أشرح فيه الآية التى تقول: «تؤتى الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير».

وأذكر أننى قلت يومها : لاأحد يملك أن يحكم من وراء ربنا، ودون إرادة منه.

ان كان عادلا وخيّرا فهو جزاء على طاعة عباده.

وان كان مستبدا وغير عادل فهو «تأديب» لعباده.

وقلت : «اتيان» الملك خير.. «ونزع» الملك خير.. فالله ذيّل الكلام بقوله «بيدك الخير»

ومعنى ذلك أن اتيان الحكم خير له.. للحاكم.. أى مكنه من عمل شىء.. وخير للناس، لأنه جعل الرئاسة والحكم لصالح الأمة..

«ونزع الحكم» خير أيضا.. خير للحاكم لأنه أوقع سيف البغى من يده كحاكم.. وخير للناس لأنه تخفيف عن الناس من المتاعب والشر الذى يلقونه على يد هذا الحاكم.

وقلت أيضا : إن الحكم يبقى بالهيبة من الحاكم.. هيبة حراسه منه.. فإذا أراد الله نزع الحكم من حاكم فإنه ينزع المهابة من قلب حراسه.. فيوجهون له الرصاص بدلا من أن يوجهوه إلى عدوه.

وقال الشيخ : بعد اذاعة البرنامج.. اتصل بى المهندس عثمان أحمد عثمان وقال:

— ياмولانا.. الرئيس شاف الحلقة وضحك كثيرا وقال «الشيخ الشعراوى بيعلم الناس إزاى يقتلوا رؤساءهم!»

قلت له : أنا باشرح الآية.

وضحكنا.

وبعد أسبوع وقع حادث المنصة.. حادث الاغتيال!

وقال الشيخ: الرئيس السادات كان يشاهد أحاديثى فى التليفزيون، وقد سألوه مرة:

— ماذا تشاهد فى التليفزيون ياسيادة الرئيس؟

فقال : الشيخ الشعراوى.. والأفلام الأمريكانى!

●●●

سؤال : ماذا يقول الشيخ عن اغتيال السادات؟

قال الشيخ : أنا قلت إن السادات مات شهيدا.. والذين فرحوا فى قتله أغبياء.. لماذا؟ لأن السادات بإقراره كانت له أحداث قبل الثورة. دخل فيها فى شىء نسميه «جرائم سياسية» فما الذى يمنع أن يكون الله قد قدر حسناته وأراد أن يذهب بها سيئاته فقتل ليأخذ أصل الشهادة فتمحوا سيئات ماتقدم.

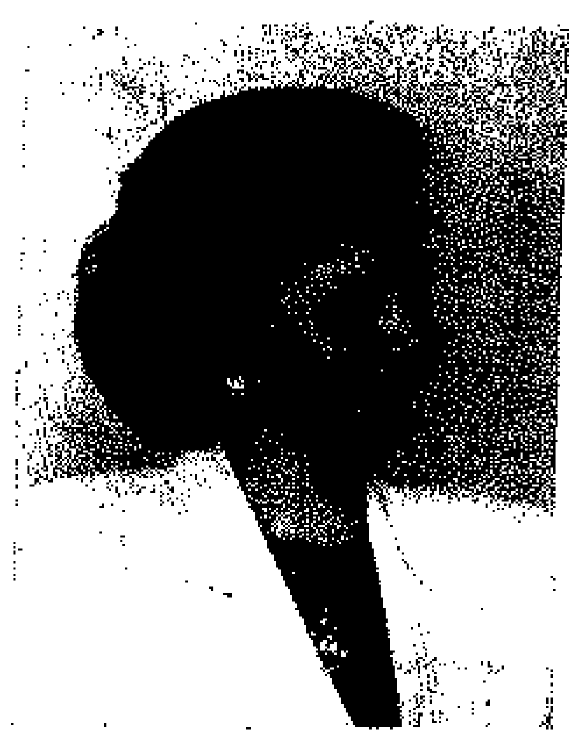
وقال الشيخ : السادات مات على غير فراشه.. مات بإطلاق الرصاص عليه.. وكان للحادث ردود فعل واسعة.

فالذين أحبوه قالوا عنه الكثير..

والذين لم يحبوه قالوا عنه الكثير أيضا..

لكن الشماتة فى الموت، بهذه الطريقة التى سمعنا عنها من بعض البلاد العربية لايمكن أن تكون من أخلاق المسلمين.

رقم الإيـــداع ٩٥٣٠ / ٩٥
الترقيم الـــدولى I.S.B.N
477 - 0860 - 3



وزارة الثقافة
هيئة الكتاب

جائزة السيدة سوزان مبارك لرسوم كتب الأطفال لعام ٩٥

تعلن وزارة الثقافة « هيئة الكتاب »
عن جائزة السيدة سوزان مبارك لعام ١٩٩٥ لرسوم كتب الأطفال
لسن ما قبل المدرسة وهي « كتب مصورة بدون كلام لسن ٤ سنوات .

* تدور حول الموضوعات الآتية :

●● اولا : البيئة
أعماق البحار - الزهور والنباتات
- الفواكه - الحيوانات - الصحراء
- السماء .

●● ثانيا : موضوعات سلوكية
- سلوك الأطفال في البيت .
- سلوك الأطفال في المدرسة .
- سلوك الأطفال في النادي .

●● ثالثا . موضوعات ترفيهية
- مغامرات .
- قصص لشخصية جذابة

* الجوائز :

- الجائزة الأولى ٢٠٠٠ جنيه - الجائزة الثانية ١٥٠٠ جنيه - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ جنيه

وتمنح الجوائز يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٩٥ م في افتتاح معرض القاهرة الدولي الثاني عشر لكتب الأطفال .

* الشروط

- لا يقل عدد صفحات الكتاب المصور عن ٨ صفحات .
- السن مفتوح لجميع الرسامين .
- تسلم الأعمال لمكتب رئيس هيئة الكتاب .
بمقر الهيئة كورنيش النيل
- القاهرة في موعد أقصاه
٣٠ أكتوبر ١٩٩٥ م

لمزيد من المعلومات
يرجى الرجوع إلى الورشة
الفنية بمقر هيئة الكتاب

الشعراوي .. الذي لا نعرفه

هذا الكتاب يكشف الدور السياسي الذي لعبه الشيخ متولي الشعراوي في تاريخ مصر خلال الخمسين عاما الماضية..!!

وقد عرف الناس الشيخ الشعراوي كداعية اسلامي .. وانه أقدر المفسرين على تفسير آيات القرآن الكريم منذ أن قدمه المذيع أحمد فراج في البرنامج التليفزيوني «نور على نور» .. وقد استطاع الشيخ الشعراوي منذ ذلك التاريخ أن يدخل قلوب وعقول ووجدان ملايين المسلمين في مصر وفي العالم العربي والإسلامي.

وهذا الكتاب يلقي الضوء على الشخصية الأخرى للشيخ الشعراوي .. وهي «شخصية السياسي».. فبجانب الفقه والتفسير، لعب الشيخ الشعراوي أدوارا سياسية خطيرة منذ شبابه المبكر.

ومن خلال الحوار الطويل والممتع الذي أجراه الزميل سعيد أبو العينين مع الشيخ الشعراوي اتضح أن الشعراوي بدأ حياته وفديا متحمسا لسعد زغلول والنحاس باشا.. ثم انضم للاخوان المسلمين واشترك في كتابة أول بيان للجماعة عند تأسيسها مع حسن البنا عندما جاء من الاسماعيلية إلى القاهرة لتبدأ الجماعة مرحلة الانتشار والظهور على ساحة العمل السياسي في مصر.

وفي الحوار شرح الشيخ الشعراوي بصراحة السبب الحقيقي الذي جعله يترك الجماعة ويبتعد عنها.. فقد أيقن أنهم لا هم لهم إلا السعي لتولي الحكم .. وخصوصا أنه رأى «السندي» رئيس الجهاز السري يتطاول على الشيخ البنا بعد أن أصبح مركز قوة داخل الجماعة ..

كما لعب الشيخ الشعراوي دورا سياسيا في عهد عبد الناصر لدرجة انه رشح لتولي أمانة الدعوة والفكر للاتحاد الاشتراكي قبل وفاة عبدالناصر..!

أما في عهد السادات فقد لعب أدوارا سياسية بعضها معلن والكثير منها غير معلن عندما عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر .. وكانت له أدوار سياسية خطيرة في تلك الفترة الساخنة من تاريخ مصر .. مثلا لا يعرف أحد أنه كان في كامب ديفيد أثناء المفاوضات بين بيجين والسادات..!!

ومن هذا الحوار الخطير نستطيع أن نقول : ان الشيخ الشعراوي «السياسي» لا يقل لمعانا وبريقا عن الشيخ الشعراوي «الداعية الاسلامي».

نبيل أباظة

■ الثمن ٤ جنيهات ■

طبع بمطابع دار أخبار اليوم